التفسير والمفسرون

بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره . وألوانه ومذاهبه .
مع عرض شامل لأشهر المفسرين . وتحليل كامل لأهم كتب التفسير
من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر

تأليف
الدكتور محمد حسين الذهبي

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الرابعة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله الذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله. الذى أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

وبعد ...

فعقب استشهاد المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى فى يوليو من عام ١٩٧٧، عثرت أسرته بين أوراقه على كراستين كتبهما فضيلته بخطه، عبارة عن نُقُول أعدّها فى الفترة من (١٩٦٠ – ١٩٦٣) أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد.

ويبدو أنه – رحمه الله – كان يمهد بهذه النقول للتعليق عليها لتكون إضافة جديدة إلى بحثه الشامل عن « التفسير والمفسرون » عند الشيعة الإثنى عشرية والإسماعيلية – ولكن قضاء الله سبق فلم يتيسر له ذلك، وبقيت النقول على حالتها كما كتبها دون إضافة أو تعليق.

ولما كانت هذه النُقُول مما ينطبق عليه وصف فضيلته من أنها « تحتوى على اتجاهات منحرفة فى التأويل، فالكثير منها مملوء بخرافات وأباطيل لا يقرها عقل ولا شرع، وكم فيها من لفظ قرآنى حُرِّف عن مدلوله الحقيقى، إلى مدلولات لا وجود لها إلاّ فى عقول أصحابها » [(١)].

لهذا رأينا نشر هذه النُقُول كما كتبها فضيلته، لما لها من قيمة كبيرة فى موضوع: التفسير والمفسرون، وذلك بعد نقل صورة قلمية للشيعة – كما خطتها براعة ابن حزم الظاهرى (المتوفى عام ٤٥٦ هـ)، والشهرستانى (المتوفى عام ٥٤٨ هـ) – لتكون كمقدمة تاريخية تضع أمام القارىء صورة واضحة المعالم للشيعة منذ قيامها حتى عصرنا الحالى، مروراً بالفِرَق التى نشأت عنها – مع التعليق على مواضع منها حين يجب التعليق.

يلى ذلك نبذة عن الشيعة وموقفها من تفسير القرآن الكريم – خاصة الإمامية الإثنا عشرية والإسماعيلية – مما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبى فى الجزء الثانى من « التفسير والمفسرون » كتمهيد بين يدى البحث.

---

(١) انظر: الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم – للدكتور محمد حسين الذهبى – نشر مكتبة وهبة سنة ١٩٨٦، ص ٦١

وحين نشأت الحاجة إلى التعليق على بعض هذه النقول، رأينا أن يكون التعليق من نفس كلام فضيلته - ما أمكن ليكون البحث كله مستلهماً من فكره، ما دمنا لا نملك الإضافة إليه من عند أنفسنا، ولهذا استعنّا بنفس الجزء من «التفسير والمفسرون».

وقد خرّجنا الآيات القرآنية التى وردت فى هذه النقول بعد ضبطها وتصحيح الأخطاء التى وردت فى الكثير منها.

أما بالنسبة للنُقُول - موضوع البحث - فقد كتبها فضيلته بالقلم الرصاص فى كراستين:

الأولى منهما تتكون من ٢٩ صفحة - وبالصفحة ٢٠ سطراً، ومرقمة من ١ إلى ٢٩ - وبأعلى الصفحة الأولى عبارة «سنة ١٩٦٠».. ثم:

«كتاب: «أساس التأويل»، طبع منشورات دار الثقافة ببيروت، تأليف الداعى الإسماعيلى النعمان بن حيون التميمى المغربى قاضى قضاة الدولة الفاطمية المتوفى سنة ٣٦٣ هـ».

- وتنتهى الكتابة فى صفحة ٣ فى وسط الصفحة بعبارة:

«وقال: ومهما يكن من أمر.............».

ثم عبارة: «يُرجع إلى كتاب «أساس التأويل». وكتاب «الرياض» ليكمل البحث». وبقية الصفحة خالية من الكتابة.

- وفى أول صفحة ٤ كتب فضيلته:

«أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية هـ ٧٥، المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة - ميلانو، عنى بتصحيحها الدكتور شتروطمان للمجمع العلمى - غوتينفن.

«الرسالة الأولى: مسائل مجموعة من الحقائق العالمية والدقائق والأسرار السامية، لمؤلف مجهول.

«الرسالة الثانية: رسالة الإيضاح والتبيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين، لعلى بن محمد بن الوليد.

«الرسالة الثالثة: رسالة تحفة المرتاد وغُصة الأضداد، لعلىّ بن محمد بن الوليد.

«الرسالة الرابعة: رسالة الاسم الأعظم، لمؤلف مجهول، طبعت بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨١ هـ».

- وفى نهاية صفحة ١٥ كتب فضيلته:

«نُقُول من رسالة تحفة المرتاد وغُصة الأضداد.. قال: لا شىء».

- وفى صفحة ١٦ :

«نُقُول من كتاب: «مزاج التسنيم»، تأليف ضياء الدين إسماعيل ابن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلى السليمانى، عنى بتصحيحه الدكتور شتروطمان للمجمع العلمى غوتينفن، عن النسخة الخطية هـ ٧٦ المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة – ميلانو».

وقد عنى فضيلة الدكتور الشيخ الذهبى – رحمه الله – فى هذه الصفحة بفك رموز الكتابة السرية الموجودة بالكتاب – كما نقلها فى ص ٢٩ فى نهاية النصوص.. وفى آخر صفحة ٢٩ عبارة «بغداد ٦ / ٥ / ١٩٦٢» ثم الإمضاء.

● أما الكراسة الثانية فهى مكوّنة من ٦٢ صفحة – وبالصفحة ٢٠ سطراً – ومرقمة من (١ – ٦٠)، ويوجد تكرار فى الترقيم عند ص ٣١، ص ٥٠ – وقد كتبها فضيلته أيضاً بالقلم الرصاص.

– وجاء في الصفحة الأولى منها:

«نُقُول عن كتاب «الكافى» لأبى جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى (المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ)، طبع إيران سنة ١٣٨١ هـ، الناشر مكتبة الصدوق».

– وبصفحة ٢٤ عبارة «انتهى النقل من «الكافى» – إمضاء – كلية الشريعة – بغداد ٢٤ / ١ / ١٩٦٣».

– ص ٢٥ : «ترجمة مؤلف «مرآة الأنوار، مشكاة الأسرار» ملخصة من المقدمة التى كتبها محمود بن جعفر الموسوى الزرندى لمرآة الأنوار التى ذيَّلها بتوقيعه، وبأنه كتبها فى طهران بتاريخ ٢٢ محرّم سنة ١٣٧٥ هـ، ومرآة الأنوار طبع كالمقدمة لتفسير البرهان للبحرانى فى طهران فى سنة ١٣٧٤ هـ».

– ص ٣٠ : «إمضاء – كلية الشريعة – بغداد سنة ١٩٦٣».

– ص ٣١ : «البرهان فى تفسير القرآن للسيد هاشم بْن السيد سليمان بن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد الحسينى البحرانى التوبلى (المتوفى سنة ١٩٠٧ / أو ١٩٠٩ م)، والكتاب طبع للمرة الأولى على الحجر فى طهران سنة ١٢٩٥ هـ فى مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما ١١٤٨ صفحة، وطبع للمرة الثانية فى أربع مجلدات يبلغ عدد صفحاتها ١٩٩٦ صفحة، وذلك فى سنة ١٣٧٥ هـ». وتنتهى النُقُول بالصفحة المرقمة (٦٠) من الكراسة الثانية، وبهذا علمنا أن فضيلته قد كتبها فى الفترة من عام (١٩٦٠ – ١٩٦٣)، أثناء عمله أستاذاً بكلية الشريعة ببغداد، كما قدّمنا.

والمطالع لهذه النقول يلمس لأول وهلة اتجاه أصحابها إلى إخضاع النص القرآنى لمذهبهم، وقسره على موافقة آرائهم وأهوائهم، وتأويل ما يصادمهم من ذلك تأويلاً لا ينافى مذهبهم ولا يعارض عقيدتهم.

ولقد استفحل الأمر إلى حد جعلهم يتسعون فى حماية مذهبهم وأهوائهم والترويج لها فى غير محيطهم، بما أخرجوه للناس من تفاسير حمّلوا فيها كلام الله – سبحانه – على وفق أهوائهم، ومقتضى نزعتهم ونحلتهم.

« وكان طبيعياً وهم ينتسبون إلى الإسلام ويعترفون بالقرآن – ولو فى الجملة – نقول : ولو فى الجملة، لأن أكثر الإمامية الإثنى عشرية يقولون : بأن القرآن الكريم وقع فيه التحريف بالزيادة والنقصان، وهو قول باطل من أساسه – كان طبيعياً والأمر كذلك – أن يبحثوا عن مستند يستندون إليه من القرآن الكريم، ويحرصون كل الحرص على أن يكون القرآن شاهداً لهم لا عليهم، فما وجدوه من الآيات القرآنية يمكن أن يكون – فى نظرهم – دليلاً على مذهبهم تمسكوا به، وما وجدوه مخالفاً لمذهبهم، حاولوا بكل ما يستطيعون أن يجعلوه موافقاً له، أو على الأقل غير معارض، ولو أدى ذلك إلى الخروج بالنص القرآنى عن معناه الذى سيق من أجله » [1] .

وهم فى أخذهم بالتقيّة – التى هى المدارة والمصانعة، وهى عندهم مبدأ أساسى وجزء من الدين، فى حين أنها لا تعدو أن تكون مبدأ سياسياً، وباباً من أبواب النفاق والخداع تجل عنه رحمة الله سبحانه وتعالى – لا يتورعون عن الانحراف بالتأويل عن النهج القويم لفهم كتاب الله تعالى، بما ينبو عن سياق السورة، خدمة لمذهبهم وتركيزاً لعقيدتهم، ولو خالفوا فى ذلك ما عليه جمهور المفسرين، أو تعارضوا مع أصول اللغة.

رحم الله الدكتور محمد حسين الذهبى، وجزاه عن الإسلام خيراً.

ونسأله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يسدد خطانا ويحقق رجاءنا، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

القاهرة فى : السبت ٧ شعبان سنة ١٤٠٨ هـ (الموافق ٢٦ مارس سنة ١٩٨٨ م).

محمد الأنور أحمد البلتاجى

* * *

---

(١) عن الانحرافات المحرفة، مرجع سابق، ص ٥٣ (بتصرف).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة : في تاريخ الشيعة (*)

الشيعة : هم الذين شايعوا علياً – كرَّم الله وجهه – على الخصوص وقالوا بخلافته نصاً ووصاية، إما جلياً وإما خفياً (١) ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده.

(*) قدمنا للبحث بهذه المقدمة التاريخية، لنضع أمام القارىء صورة واضحة المعالم للشيعة منذ قيامها إلى عصرنا الحالي – مروراً بالفرق التي نشأت عنها – وكان فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله – قد اكتفى في بحثه بالتعريف بثلاث فرق منها فقط وهي : الإمامية الإثنى عشرية، والإمامية الإسماعيلية، والزيدية ... وهي الفرق التي لا تزال موجودة إلى اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها.

(١) يستند الشيعة في دعواهم بخلافة عليّ كرَّم الله وجهه بالنص والوصاية على الحديث الذى أخرجه الطبراني عن زيد بن أرقم قال : « خطب رسول الله ﷺ ، بغدير خم (نبع في واد قريب من الجحفة على الطريق بين مكة والمدينة، مسكن بني خزاعة وكنانة) ويقولون : إن النبي ﷺ نزل به منصرفه من حجة الوداع، تحت شجرات فقال : « أيها الناس : يوشك أن أدْعَى فأجب، وإني مسئول وإنكم مسئولون، فماذا أنتم قائلون » ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلّغتَ وجاهدتَ ونصحتَ، فجزاكَ الله خيراً، فقال : « أليس تشهدون أنْ لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبدُه ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور » ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك، قال : « اللّهم اشهد » . ثم قال : « يا أيها الناس : إنّ الله مولاى وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاة فهذا مولاه – يعني علياً – اللّهم والِ مَن والاه وعادِ من عاداه » ، ثم قال : « يا أيها الناس : إني فرطكم، وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون على الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجَلَّ، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفكم بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تُبدِّلوا، وعشرتي وأهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض » أ هـ .

ويدفع أهل السُنَّة هذا الحديث بعدم تواتره عند أهل السُنّة، ثم يقولون : « إن حمل الصحابة على الصحة يستوجب تأويل حديث الغدير متواتراً كان أو غير متواتر، ولذا قال أهل السُنَّة : لفظ « المولى » يُستعمل في معاني محدودة ورد بها القرآن العظيم، فتارة يكون بمعنى الأولى، كقوله تعالى مخاطباً للكفار : ﴿ مأْواكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ ﴾ [الحديد : ١٥] ، أي أَوْلى بكم، وتارة بمعنى الناصر، كقوله عز اسمه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد : ١١] ، وبمعنى الوارث كقوله سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ =

=وَالأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣]، أى ورثة، وبمعنى العصبة نحو قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ [مريم: ٥]، وبمعنى الصديق: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ [الدخان: ٤١].

وكذلك لفظ «الولى» يجيء بمعنى الأوْلى بالتصرف كقولنا: فلان ولى القُصَّر، وبمعنى الناصر والمحبوب، قالوا: فلعل معنى الحديث: «من كنت ناصره، أو صديقه، أو حبيبه، فإنَّ علياً كذلك»، وهذا المعنى يوافق كرامة السَّلف الصالح، وإمامة الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم جميعاً.

وربما جعلوا القرينة على إرادته من الحديث، أن بعض من كان مع عليّ فى اليمن رأى منه شدة فى ذات الله، فتكلم فيه ونال منه، وبسبب ذلك قام النبى ﷺ يوم الغدير بما قام فيه من الثناء على الإمام، وأشاد بفضله تنبيهاً إلى جلالة قدره، ورداً على من تحامل عليه، ويرشد بذلك أنه أشاد فى خطابه بعليّ خاصة. فقال: «من كنت وليه فعليّ وليه». وبأهل البيت عامة فقال: «إنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى أهل بيتى». فكان كالوصية لهم يحفظه فى عليّ بخصوصه، وفى أهل بيته عموماً، وقالوا: وليس فيها عهد بخلافة، ولا دلالة على إمامة» (المراجعات: أبحاث جديدة فى أصول المذهب والإمامة العامة، من مطبوعات النجاح بالقاهرة. الطبعة ١٧. سنة ١٩٧٦. ص٢٣٠ المراجعة (٥٧) للشيخ سليم البشرى، شيخ الأزهر كتبها لإمام الشيعة فى مصر عبد الحسين شرف الدين العاملى، فى الخامس والعشرين من المحرَّم سنة ١٣٣٠ هـ).

كما يحتج الشيعة فى الوصاية لعليّ كرَّم الله وجهه بالحديث الذى أخرجه محمد بن حميد الرازى، عن سلمة الأبرش عن ابن إسحاق عن أبى ربيعة الإيادى، عن ابن بريدة، عن أبيه بريدة، عن الرسول ﷺ أنه قال: «لكل نبى وصى ووارث، وإن وصيى ووارثى عليّ بن أبى طالب». وبالحديث الذى أخرجه الطبرانى فى الكبير والإسناد إلى سلمان الفارسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن وصيى وموضع سرى، وخير من أترك بعدى، ينجز عدتى ويقضى دَيْنى: عليّ بن أبى طالب»، ويرون هذا نصاً صريحاً فى أنه الوصى، وأنه أفضل الناس بعد النبى ﷺ، وأن فيه الدلالة الالتزامية على خلافته، ووجوب طاعته.

ويستشهدون على مكانة عليّ كرَّم الله وجهه، بأنَّ الرسول ﷺ كان إذا ألمَّ بالسيدة فاطمة رضى الله عنها، كان يُذكِّرها بنعمة الله ورسوله عليها، إذ زوَّجها من أفضل أمته، ليكون ذلك عزاء لها، وسلوة عما يصيبها من طوارق الدهر، ويسوقون الحديث الذى أخرجه أحمد فى الجزء الخامس من مسنده عن معقل بن يسار، أنَّ النبى ﷺ عاد فاطمة رضى الله عنها فى مرض أصابها على عهده، فقال لها: «كيف تجدينك»؟ قالت: والله لقد اشتد حزنى واشتدت فاقتى وطال سقمى، قال ﷺ: «أوَ ما ترضين أنى زوَّجتك أقدم أمتى سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»؟

وينكر أهل السنَّة والجماعة أحاديث الوصية، بما رواه البخارى فى صحيحه عن الأسود، قال: ذُكِرَ عند عائشة رضى الله عنها، أنَّ النبى ﷺ أوصى إلى عليّ رضى الله عنه، فقالت: «مَن قاله؟ لقد رأيت النبى ﷺ وإنى لمسندته إلى صدرى فدعا بالطست فانخنست فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى عليّ»؟

كما أخرج البخارى فى الصحيح عنها من عدة طرق أنها كانت تقول: «مات رسول الله ﷺ بين حاقنتى وذاقنتى»، وكثيراً ما قالت: «مات بين سَحْرى ونَحْرى»، وربما قالت: «نزل به ورأسه على فخذى»، فلو كانت ثمة وصية لما خفيت عليها.

ويقولون: إنَّ الإمامة ليست قضية مصلحية تُناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضية أصولية هو ركن الدين، ولا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله وتفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولى والتبرى قولاً وفعلاً وعقداً إلا فى حالة التقيّة.

ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك، ولهم فى تعدية الإمامة كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط.

وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية.

وبعضهم يميل فى الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنّة، وبعضهم إلى التشبيه.

١ – الكيسانية [١]

أصحاب كيسان [٢] مولى أمير المؤمنين علىّ – كرَّم الله وجهه – وقيل: تلميذ للسيد محمد ابن الحنفية [٣]، ويعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار كلها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس.

ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان

= وبما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا شاةً ولا بعيراً، ولا أوصى بشىء».

وبما جاء فى الصحيحين عن طرحة بن مصرف قال: «سألت عبد الله بن أبى أوفى: هل كان النبى ﷺ أوصى؟ قال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية ثم تركها؟ قال: أوصى بكتاب الله». ويرون أن هذه الأحاديث أصح من الأحاديث التى يوردها الشيعة لثبوتها فى الصحيحين، دون تلك المقدَّمة عند التعارض وأنَّ عليها المعول. (انظر: المراجعات، المراجعة (٦٩) ص ٢٥٧).

وإنما توسعنا فى الكلام عن هذا الموضوع لأنه الأساس الذى تقوم عليه دعوى الشيعة بأن الخلافة لعلىٍّ كرَّم الله وجهه. منصوص عليها موصى بها من الرسول ﷺ، وعلى هذا فالإمامة عندهم لا تخرج من أولاده، ويرون أنها قضية أصولية من أركان الدين. وبهذا تثبت عندهم عصمة الأئمة فى الكبائر والصغائر كما جاء بنص الشهرستانى (البلتاجى).

(١) فرقة إسلامية منقرضة، كانت تقول بإمامة محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما، المعروف بابن الحنفية.

(٢) كيسان مولى علىّ بن أبى طالب، وكيسان هذا هو الذى دلّ المختار بن أبى عبيد الثقفى على قتلة الحسين فانتقم منهم المختار وقتلهم شر قتلة، وهناك من يقول: إن الكيسانية سميت بهذا الاسم نسبة إلى المختار السالف الذكر، فقد قيل: إنه كان يسمى كيسان. (إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة، طبع الدار المصرية للطباعة والنشر، ص ١٧٠).

(٣) محمد ابن الحنفية: هو محمد بن علىّ بن أبى طالب (١٦ – ٨١ هـ)، ونسب إلى أمه – امرأة من بنى حنيفة اسمها خولة – قضى معظم حياته فى الحجاز بين مكة والمدينة، عُرف بالفقه واعتزل الفتن، ويرى بعض الشيعة أنه المهدى المنتظر.

الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال . . . فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت، فمن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع، ومن معد حقيقة الإمامة إلى غيره ثم متحير عليه متحير فيه، ومن يدع حكم الإمامة فليس من الحيرة وكلهم حيارى منقطعون، ومَن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له، ونعوذ بالله من الحيرة والجور بعد الكور.

● **المختارية :**

أصحاب المختار بن أبى عبيد[1]، كان خارجياً ثم صار زبيرياً، ثم صار شيعياً وكيسانياً، قال بإمامة محمد ابن الحنفية بعد أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنهما، وقيل: لا، بل بعد الحسن والحسين، وكان يدعو الناس إليه ويظهر أنه من رجاله ودعاته، ويذكر علوماً مزخرفة ينوطها به.

ولما وقف محمد ابن الحنفية على ذلك تبرأ منه خاصة، وأظهر لأصحابه عند العامة براءته ليصرف الناس عنه ليمشى أمره على إمارة الحسين، وليجمع أمر زين العابدين[2] على أعداء أهل الدين، وأنه إنما يبث على الخلق ذلك ليتمشى أمره ويجتمع الناس عليه، وإنما انتظم له ما انتظم بأمرين:

أحدهما: انتسابه إلى محمد ابن الحنفية علماً ودعوة.

والثانى: قيامه بثأر الحسين رضى الله عنه، واشتغاله ليلاً ونهاراً بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين.

ومن مذهب المختار أنه يجوز البداء على الله تعالى . . والبداء له معان، فالبداء فى العلم – وهو أن يظهر له خلاف ما علم – ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد، والبداء فى الإرادة – وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبدء فى الأمر –

---

(١) المختار بن أبى عبيد الثقفى (توفى سنة ٦٧ هـ)، من زعماء الثائرين على بني أمية، اشترك فى ثورة «مسلم بن عقيل» فسجنه «عبيد الله بن زياد» ونفاه، ثم ثار فى الكوفة طلباً بثأر الحسين رضى الله عنه، وانتصر قائده «إبراهيم بن مالك الأشتر» على الجيش الأموى فى معركة «الخازر». حيث قُتل «عبيد الله بن زياد» فى محاولة يائسة للدفاع عن الكوفة، وقد حاصره فيها «مصعب بن عمير».

(٢) زين العابدين: هو علىّ بن الحسين (٣٨ – ٩٥ هـ)، رابع الأئمة عند الشيعة، ولد وتوفى بالمدينة، يعتبر المؤسس الثانى للمدرسة فى الإسلام، تميز بإنجازاته فى تحرير العبيد [illegible] الدعاء جُمعت أدعيته فى الصحيفة الـ[illegible]

وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك. ومَن لم يُجوِّز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة.

وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء، لأنه كان يدّعى علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحى يُوحَى إليه، وإما برسالة من قِبَل الإمام. فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونه قوله، جعله دليلاً على صدق دعواه. وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم!!

وكان لا يُفرِّق بين النسخ والبداء، قال: إذا جاز النسخ فى الأحكام جاز البداء فى الأخبار.

وقيل: إن السيد محمد ابن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه أنه قد لبَّس على الناس أنه من دعاته ورجاله، وتبرأ من الضلالات التى ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة، والمخاريق المموَّهة.

فمن مخاريقه: أنه كان عنده كرسى قديم قد غشَّاه بالديباج وزيَّنه بأنواع الزينة وقال: «هذا من ذخائر أمير المؤمنين علىّ عليه السلام، وهو عندنا بمنزلة التابوت لبنى إسرائيل». فكان إذا حارب خصومه يضعه فى الصف ويقول: «قاتلوا ولكم الظفر والنصر، وهذا الكرسى محله فيكم محل التابوت فى بنى إسرائيل، وفيه السكينة والبقية، والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم».

وحديث الحمامات البيض التى ظهرت فى الهواء – وقد أخبرهم قبل ذلك بأن الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض – معروف، والأسجاع التى ألَّفها أبرد تأليف مشهور.

وإنما حمله على الانتساب إلى محمد ابن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه، والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقّاد الفكر مصيب الخاطر فى العواقب، وقد أخبره أمير المؤمنين عن أحوال الملاحم، وأطلعه على مدارج المعالم، وقد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة، وقد قيل إنه كان مستودعاً علم الإمامة حتى سلَّم الأمانة إلى أهلها، وما فارق الدنيا حتى أقرها فى مستقرها، وكان «السيد الحميري» «وكثير» الشاعر من شيعته، قال «كثير» فيه:

ألا إنَّ الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علىّ، والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط، سبط إيمان وبر	وسبط غيَّبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب، ولا يرى فيهم زماناً	برضوى، عنده عسل وماء

وكان «السيد الحميرى» أيضاً يعتقد أنه لم يمت، وأنه فى جبل رضوى بين أسد

ونمر يحفظانه، وعنده نضَّاختان تجريان بماء وعسل، ويعود بعد الغيبة فيملأ العالَم عدلاً كما مُلئت جوراً، وهذا هو الأول حكم بالغيبة، والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك فى بعض الجماعة حتى اعتقدوه ديناً وركناً من أركان التشيع.

ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد ابن الحنفية فى سوق الإمامة، وصار كل اختلاف مذهباً.

● **الهاشمية :**

أتباع أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية، قالوا بانتقال محمد ابن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه هاشم.

قالوا: فإنه أفضى إليه أسرار العلوم، وأطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن.

وقالوا: إنّ لكل ظاهر باطناً، ولكل شخص روحاً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولكل مثال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالَم، والمنتشر فى الآفاق من الحكم والأسرار مجتمع فى الشخص الإنسانى، وهو العلم الذى استأثر علىّ (كرَّم الله وجهه) به ابنه محمد ابن الحنفية، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبى هاشم، وكل مَن اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقاً.

واختلف بعد أبى هاشم شيعته خمس فرق:

قالت فرقة: إنَّ أبا هاشم مات منصرفاً من الشام بأرض الشراة، وأوصي إلى محمد ابن عبد الله بن عباس، وانجزت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة إلى أبى العباس.

قالوا: ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب، وقد توفى رسول الله ﷺ وعمه العباس أولى بالوراثة.

وفرقة قالت: إن الإمامة بعد موت أبى هاشم لابن أخيه الحسن بن علىّ ابن محمد ابن الحنفية.

وفرقة قالت: لا، بل إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه علىّ بن محمد، وعلىّ أوصى إلى ابنه الحسن. فالإمامة عندهم فى بنى الحنفية لا تخرج إلى غيرهم.

وفرقة قالت: إنّ أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى، وأن الإمامة خرجت من بنى هاشم إلى عبد الله، وتحولت روح أبى هاشم إليه.

والرجل ما كان يرجع إلى علم وديانة، فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فأعرضوا عنه، وقالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، وكان من مذهب عبد الله: أنّ الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص، وأن الثواب والعقاب فى هذه الأشخاص، إما أشخاص بنى آدم، وإما أشخاص الحيوانات!!

قال: وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلّت فيه، وادّعى الألوهية والنبوة معاً، وأنه يعلم الغيب، فعبدته شيعته الحمقى، وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون فى الدنيا، والثواب والعقاب فى هذه الأشخاص.

وتأوّل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣] ... الآية، على أنّ من وصل إلى الإمام وعرفه، ارتفع عنه الحرج فى جميع ما يُطعم ووصل إلى الكمال والبلاغ.

وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق ... ومات عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه، فمنهم مَن قال: إنه بعد حى لم يمت ويرجع، ومنهم مَن قال: بل مات وتحوّلت روحه إلى إسحاق بن زيد بن الحارث الأنصارى، وهم الحارثية الذين يبيحون المحرّمات، ويعيشون عيش مَن لا تكليف عليه.

وبين أصحاب عبد الله بن معاوية، وبين أصحاب محمد بن علىّ خلاف شديد فى الإمامة، فإنّ كل واحد منهما يدّعى الوصية من أبى هاشم إليه، ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد.

● **البيانية** [1] :

أتباع بيان بن سمعان النهدى، قالوا بانتقال الإمامة من أبى هاشم إليه، وهم من الغلاة القائلين بألوهية أمير المؤمنين علىّ (كرّم الله وجهه) قال: حَلّ فى علىّ جزء إلهى واتحد بجسده، فبه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر، وبه كان يحارب الكفار وله النُصرة والظفر، وبه قلع باب خيبر.

وعن هذا قال: « والله ما خلعتُ باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية، ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة ». فالقوة الملكوتية فى نفسه كالمصباح فى المشكاة، والنور الإلهى كالنور فى المصباح. قال: وربما يظهر علىٌّ فى بعض الأزمان.

وقال فى تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] : أراد به علياً فهو الذى يأتى فى ظلل، والرعد صوته، والبرق تبسمه!! [2] .

ثم ادّعى « بيان » أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهى بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة، وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة.

---

(١) أتباع بيان بن سمعان التميمى، وقد ألهوا علياً وقالوا: إنّ الألوهية انتقلت إليه بالتناسخ (إسلام بلا مذاهب، ص ١٧٥) .

(٢) لا شك أنّ مثل هذه الترهات قد أساءت إلى أهل البيت وأساءت إلى الشيعة أنفسهم، ومن المضحك أن يظن بعض الشيعة أنّ علياً كرّم الله وجهه لا يزال يعيش فى السحاب، فإذا=

وزعم أنّ معبوده على صورة إنسان، عضواً فعضواً، وجزءاً فجزءاً، وقال: يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** ﴾ !! [القصص: ٨٨].

ومع هذا الخزى الفاحش، كتب إلى محمد بن علىّ بن الحسين الباقر ودعاه إلى نفسه، وفى كتابه: «أسلم تسلم وترتقى من سلم، فإنك لا تدرى حيث يجعل الله النبوة»، فأمر الباقر أن يأكل رسوله «عمر بن أبى عفيف» - قرطاسه الذى جاء به، فأكله فمات فى الحال.. وقد اجتمعت طائفة على بيان ابن سمعان ودانوا بمذهبه، فقتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك.

● **الرزامية :**

أتباع رزام، ساقوا الإمامة من علىّ إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه أبى هاشم ثم منه إلى علىّ بن عبد الله بن عباس بالوصية، وهؤلاء ظهروا بخراسان فى أيام أبى مسلم، حتى قيل إنَّ أبا مسلم كان على هذا المذهب لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم فقالوا: له حظ فى الإمامة، وادّعوا حلول روح الإله فيه، ولهذا أيَّده على بنى أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم.

وقالوا بتناسخ الأرواح، وللمقنَّع الذى ادَّعى الإلهية لنفسه مخاريق أخرجها، كان فى الأول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر، وهؤلاء صنعة من الخرمية دانوا بترك الفرائض، وقالوا: الدين معرفة الإمام فقط.

ومنهم من قال: الدين أمران: معرفة الإمام، وأداء الأمانة، ومَن حصل له الأمران فقد وصل إلى حال الكمال وارتفع عنه التكليف !!

ومن هؤلاء مَن ساق الإمامة إلى محمد بن عبد الله بن عباس، من ابنه أبى هاشم ابن محمد ابن الحنفية وصية إليه لا من طريق آخر.

وكان أبو مسلم - صاحب الدولة - على مذهب الكيسانية فى الأول واقتبس من دعاتهم العلوم التى اختصوا بها، وأحس منهم أن هذه العلوم مستودعة فيهم، وكان بطلب المستقر فيه فأنفذ إلى الصادق جعفر بن محمد: «إنى قد أظهرتُ الكلمة ودعوة الناس عن موالاة بنى أمية إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبتّ فلا مزيد عليك»، فكتب إليه الصادق: «ما أنت من رجالى، ولا الزمان زمانى». فحاد إلى أبى العباس ابن محمد وقلَّده الخلافة، وكذلك كتب إليه أبو مسلم فأحرق كتابه.

=أظلَّت سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، وهؤلاء السحابيون يُعرفون بالمنصورية - نسبة إلى رئيسهم أبى المنصور الكسف الذى سمى بذلك - لأنه كان يتأول قول الله تعالى: ﴿ **وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ** ﴾ [الطور: ٤٤]، فالكسف عندهم هو علىّ وهو فى السحاب. (إسلام بلا مذاهب، ص ١٧٥، ١٧٦).

٢ - الزيدية

أتباع زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ (كرَّم الله وجهه)[١] ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة (رضي الله عنهما) ولم يجوِّزوا ثبوت إمامة في غيرهم، إلا أنهم جوَّزوا أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة، سواء أكان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين.

وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن ابن الحسين اللذين خرجا في أيام المنصور وقُتلا على ذلك.

وجوَّزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.

وزيد بن عليّ، لما كان مذهبه هذا المذهب، أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزَّال[٢] رأس المعتزلة، مع اعتقاد واصل بأن جده عليّ بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وأنّ أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقال: كان عليّ بن أبي طالب أفضل الصحابة، إلا أنّ الخلافة فوِّضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة، فإنّ عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريباً، وسيف أمير المؤمنين عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، وكانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن مَن عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقُرب من رسول الله ﷺ، ألا ترى أنه لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا: لقد وليتَ علينا فظاً غليظاً. فما كانوا يرضون بأمير المؤمنين عمر

---

(١) زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (٨٠ - ١٢٢ هـ) دعا إلى الثورة في عهد هشام بن عبد الملك وحدد منهاجاً لثورته أهم ما جاء فيه: جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم... وفشلت ثورته وقُتل.

(٢) واصل بن عطاء، أبو حذيفة (توفي سنة ١٣١ هـ)، رأس متكلمي المعتزلة وأكبر أركان هذه النحلة، وإليه تنسب «الواصلية»، ولد بالمدينة وانتقل إلى البصرة حيث اتصل بالحسن البصري وعمرو بن عبيد، لقب بالغزّال لتصدقه على فقيرات معامل الغزل، له: «السبيل إلى معرفة الحق»، و «الخطب في التوحيد والعدل».

لشدة وصلابة وغلظ له فى الدين وفظاظة على الأعداء، حتى سكّنهم أبو بكر رضى الله عنه. وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم، فيرجع إليه فى الأحكام ويحكم بحكمه فى القضايا».

ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ عن الشيخين رفضود حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة، وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة، لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء، ويقتبس العلم ممن يجوّز الخطأ على جده فى قتال الناكثين والقاسطين، ومَن يتكلم فى القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً، حتى قال له يوماً: «على قضية والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج».

ولما قُتل زيد بن عليّ وصُلب، قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة، وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد رضى الله عنه بأنه يقتل كما قُتل أبوه، ويُصلب كما صُلب أبوه، فجرى عليه الأمر كما أخبر، وقد فوّض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين وخرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة واجتمع الناس عليهما فقُتلا أيضاً، وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم وعرّفهم أنّ آباءه رضى الله عنهم أخبروه بذلك كله، وأنّ بنى أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بُغض أهل البيت، ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله بزوال ملكهم.

وكان يشير إلى أبى العباس وأبى جعفر ابنى محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، إنّا لا نخوض فى الأمر حتى يتلاعب بها هذا وأولاده - إشارة إلى المنصور - فزيد بن عليّ قُتل بكناسة الكوفة، قتله هشام بن عبد الملك، ويحيى بن زيد قُتل بجوزجان خراسان، قتله أميرها، ومحمد الإمام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان، وإبراهيم الإمام قُتل بالبصرة، أمر بقتلهما المنصور.

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الأطروش، فطُلب مكانه ليُقتل فاختفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعى الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن عليّ فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين.

وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم، وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية فى مسائل الأصول، ومالت أكثر الزيدية بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول. وطعنت فى الصحابة طعن الإمامية، وهم أصناف ثلاثة: جارودية، وسليمانية، وبترية.. والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد.

● **الجارودية :**

أصحاب أبى الجارود(1) ، زعموا أنّ النبى ﷺ نص على علىّ كرَّم الله وجهه بالوصف دون التسمية، والإمام بعده علىّ، والناس قصَّروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف، وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك.. وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة إمامة زيد بن علىّ، فإنه لم يعتقد بهذا الاعتقاد.

واختلفت الجارودية فى التوفيق والسوق، فساق بعضهم الإمامة من علىّ إلى الحسن ثم الحسين ثم إلى علىّ بن الحسين زين العابدين ثم إلى زيد بن علىّ ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بإمامته.

وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الأمر إلى المنصور فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس، وقيل: إنه إنما بايع محمد بن عبد الله الإمام فى أيام المنصور، ولما قُتل محمد بالمدينة بقى الإمام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت، فرُفِع حاله إلى المنصور فتم عليه ما تم.

والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا، فمنهم من قال: إنه لم يُقتل وهو بعد حى وسيخرج فيملأ الأرض عدلاً، ومنهم مَن أقرّ بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علىّ بن الحسين بن علىّ صاحب الطالقان، وقد أسِر فى أيام المعتصم وحُمل إليه فحبسه فى داره حتى مات.

ومنهم مَن قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة، فخرج ودعى الناس واجتمع عليه خلق كثير، وقُتِل فى أيام المستعين وحُمِل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر، حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلتَ أعزَّ مَن ركب المطايا ... وجئتك أستلينك فى الكلام

وعزَّ علىّ أنّ ألقاك إلا ... وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علىّ.

وأما أبو الجارود، فكان يسمى «سرحوب»، سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علىّ الباقر رضى الله عنه، وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر، قاله الباقر تفسيراً.

ومن أصحاب أبى الجارود: فضيل الرسان، وأبو خالد الواسطى، وهم مختلفون فى الأحكام والسير، فزعم بعضهم أنّ علم ولد الحسن والحسين رضى الله عنهما كعلم النبى ﷺ، فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة، وبعضهم يزعم أنّ العلم مشترك فيهم وفى غيرهم، وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة.

---

(1) أبو الجارود: هو زياد بن أبى زياد المنذر (توفى سنة ١٥٠ هـ)، كان من الغلاة من أهل الكوفة، وافترق أصحابه فرقاً متعددة.

● **السليمانية :**

أصحاب سليمان بن جرير، وكان يقول : إنّ الإمامة شورى فيما بين الخلق، ويصح أن تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصح فى المفضول مع وجود الأفضل، وأثبت إمامة أبى بكر وعمر حقاً باختيار الأمة حقاً اجتهادياً، وربما كان يقول : إنَّ الأمَّة أخطأت فى البيعة لهما مع وجود علىّ خطأ لا يبلغ درجة الفسق، وذلك الخطأ خطأ اجتهادى، غير أنه طعن فى عثمان بالأحداث التى أحدثها وكفَّره لذلك، وكفَّر عائشة والزبير وطلحة بإقدامهم على قتال علىّ، ثم إنه طعن فى الرافضة فقال : إنّ أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم. إحداهما : القول بالبداء، فإذا أظهروا قولاً أنه سيكون لهم قوة وشَوْكة وظهور، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا : بدا لله تعالى فى ذلك. والثانية : التقيّة، وكل ما أرادوا تكلموا به، فإذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا : إنما قلناه تقيَة وفعلناه تقيَة.

وتابعه على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة، منهم جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب، وكثير النوى – وهو من أصحاب الحديث. قالوا : الإمامة من مصالح الدين ليس يُحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده، فإنَّ ذلك حاصل بالعقل، لكنها يُحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والأيامى وحفظ البَيْضة وإعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين، وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يُشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأمة علماً وأقومهم رأياً وحكمة، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل.

ومالت جماعة من أهل السُنَّة إلى ذلك حتى جوَّزوا أن يكون الإمام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد، ولكن يجب أن يكون معه مَن يكون من أهل الاجتهاد فيراجعه فى الأحكام ويستفتى منه فى الحلال والحرام، ويجب أن يكون فى الجملة ذا رأى متين وبصر فى الحوادث نافذ.

● **الصالحية والبترية :**

أصحاب الحسن بن صالح بن حى، والبترية أصحاب كثير النوى الأبتر، وهما متفقان فى المذهب، وقولهم فى الإمامة كقول السليمانية، إلا أنهم توقفوا في أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر. قالوا : إذا سمعنا الأخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشَّرين بالجنة، قلنا : يجب أن يُحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة، وإذا رأينا الأحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بنى أمية وبنى مروان واستبداده بأمور لم توافق سيره الصحابة قلنا : يجب أن يُكم بكفره، فتحيرنا فى أمره وتوقفنا فى حاله، ووكلناه إلى أحكم الحاكمين.

وأما عليّ.. فهو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، لكنه سلَّم الأمر لهم راضياً وفوَّض الأمر إليهم طائعاً، وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضي، مسلِّمون لما سلَّم، لا يحل لنا غير ذلك، ولو لم يرض عليّ بذلك لكان أبو بكر هالكاً.

وهم الذين جوَّزوا إمامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الأفضل راضياً بذلك، وقالوا: مَن شهر سيفاً من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام، وشرط بعضهم صباحة الوجه، ولهم خبط عظيم في إمامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفيهما، ينظر إلى الأفضل والأزهد، وإن تساويا ينظر إلى الأمتن رأياً والأحزم أمراً، وإن تساويا تقابلا، فينقلب الأمر عليهم كَلاًّ ويعود الطلب جذعاً، والإمام مأموماً والأمير مأموراً، ولو كانا في قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه، ولو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيباً، وإن أفتى باستحلال دم الآخر.

وأكثرهم في زماننا(١) مقلِّدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد، أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت.

وأما في الفروع، فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله.

والشيعة رجال الزيدية: أبو الجارود زياد المنذر العبدي جعفر بن محمد، والحسن ابن صالح، ومقاتل بن سليمان، والداعي ناصر الحق الحسن بن عليّ بن الحسن بن زيد ابن عمرو بن الحسن بن عليّ، والداعي الآخر صاحب طبرستان، الحسين بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ، ومحمد بن نصر.

٣ - الإمامية

هم القائلون بإمامة عليّ (كرَّم الله وجهه) بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين. قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملاً يرى كل واحد منهم رأياً ويسلك كل واحد طريقاً لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه، وينص على واحد هو الموثوق به والمعوَّل عليه، وقد عين علياً (كرَّم الله وجهه) في مواضع تعريضاً، وفي مواضع تصريحاً.

---

(١) أي زمن الشهرستاني المتوفى عام ٥٤٨ هـ.

أما تعريضاته، فمثل أن بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس فى المشهد، وبعث بعده علياً ليكون هو القارىء عليهم والمبلِّغ عنه إليهم، وقال: «نزل علىّ جبريل فقال: يبلِّغه رجل منك» — أو قال: «من قومك» — وهو يدل على تقديمه علياً (كرَّم الله وجهه)، ومثل ما كان يؤمِّر على أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى البعوث، وقد أمَّر عليهما عمرو بن العاص فى بعث، وأسامة بن زيد فى بعث، وما أمَّرَ على علىّ أحداً قط.

وأما تصريحاته، فمثل ما جرى فى نائأة الإسلام حين قال: «مَن الذى يبايعنى على ماله»؟ فبايعته جماعة، ثم قال: «مَن الذى يبايعنى على روحه وهو وصيى وولى هذا الأمر من بعدى»؟ فلم يبايعه أحد حتى مدّ أمير المؤمنين علىّ (كرَّم الله وجهه) يده إليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تُعَيِّر أبا طالب أنه أمَّر عليك ابنك.

ومثل ما جرى فى كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧]. فلما وصل إلى غدير خم أمر بالدرجات فقمن، ونادوا: الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرحال: «مَن كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللَّهم والِ مَن والاه وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره واخذل مَن خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت»؟... ثلاثاً.

فادعت الإمامية أنَّ هذا نص صريح، فإنَّا ننظر مَن كان النبى ﷺ مولى له وبأى معنى فتطرد ذلك فى حق علىّ وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه، حتى قال عمر حين استقبل علياً: «طوبى لك يا علىّ، أصبحتَ مولى كل مؤمن ومؤمنة».

قالوا: وقول النبى ﷺ: «أقضاكم علىّ»، نص فى الإمامة، فإنّ الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون أقضى القضاة فى كل حادثة، الحاكم على المتخاصمين فى كل واقعة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]، فأولوا الأمر مَن إليه القضاء والحكم حق فى مسألة الخلافة، لما تخاصمت المهاجرون والأنصار كان القاضى فى ذلك هو أمير المؤمنين علىّ دون غيره، فإنّ النبى ﷺ كما حكم لكل واحد من الصحابة بأخص وصف له فقال: «أفرضكم زيد، أقرأكم أبىّ، أعرفكم بالحلال والحرام معاذ»، كذلك حكم لعلىّ بأخص وصف وهو قوله: «أقضاكم علىّ»، والقضاء يستدعى كل علم وليس كل علم يستدعى القضاء.

ثم إنّ الإمامية تخطت عن هذه الدرجة إلى الوقيعة فى كبار الصحابة طعناً وتكفيراً، وأقلّه ظلماً وعدواناً وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم، وقال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، وكانوا إذ ذاك ألفاً وأربعمائة.

وقال تعالى ثناءً على المهاجرين والأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾ فقال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ، وقال: ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] ، وقال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النور: ٥٥] ، وفي ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول، فليت شعرى كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر إليهم وقد قال النبي ﷺ: « عشرة في الجنة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح »؟ ... إلى غير ذلك من الأخبار الواردة فى حق كل واحد منهم على الانفراد، وإن نُقلت هنَّات من بعضهم فليتدبر النقل. فإن أكاذيب الروافض كثيرة.

ثم إنّ الإمامية لم يثبتوا فى تعيين الأئمة بين الحسن والحسين وعليّ بن الحسين على رأى واحد، بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم: إنَّ نيفاً وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى الشيعة خاصة ومَن عداهم فهم خارجون عن الأمة، وهم متفقون فى سَوْق الإمامة إلى جعفر بن محمد الصادق، مختلفون فى المنصوص عليه بعده من أولاده، إذ كان له خمسة أولاد - وقيل ستة: محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل وعليّ، ومَن ادّعى منهم النص والتعيين: محمد وعبد الله وموسى وإسماعيل وعليّ.. ثم منهم مَن مات وأعقب، ومنهم مَن لم يعقب... ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة، ومنهم مَن قال بالسوق والتعدية كما سيأتى فى اختلافاتهم عند ذكر طائفة طائفة، وكانوا فى الأول على مذهب أئمتهم فى الأصول، ثم لما اختلفت الروايات عن أئمتهم وتمادى الزمان، اختار كل فرقة طريقة، وصارت الإمامية بعضها معتزلية - إما وعيدية وإما تفضيلية، وبعضها إخبارية - إما مشبهة وإما سَلَفية، ومَن ضلّ الطريق وتاه لم يبال الله به فى أى واد هلك.

● **الباقرية والجعفرية الواقفة :**

أصحاب أبى جعفر محمد بن عليّ الباقر وابنه جعفر الصادق وقالوا بإمامتهما وإمامة والدهما زين العابدين، إلا أنّ منهم مَن توقف على واحد منهما وما ساق الإمامة إلى أولادهما، ومنهم مَن ساق، وإنما ميّزنا هذه فرقة دون الأصناف المتشيعة التى نذكرها لأن من الشيعة مَن توقّف على الباقر وقال برجعته، كما توقف القائلون بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه،

ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرَّض للإمامة قط، ولا نازع أحداً فى الخلافة، ومَن غرق فى بحر المعرفة لم يطمع فى شط، ومَن تعلَّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط، وقيل: مَن آنس بالله توحَّش عن الناس، ومَن استأنس بغير الله نهبه الوسواس.. وهو من جانب الأب ينتسب إلى شجرة النبوة، ومن جانب الأم ينتسب إلى أبى بكر رضى الله عنه. وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه وتبرأ عنه ولعنهم وبرىء من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبداء والتناسخ والحلول والتشبيه، لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً وأراد أن يُروِّجه على أصحابه ونسبه إليه وربطه به، والسيد برىء من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضاً، هذا قوله فى الإرادة: «إنَّ الله تعالى أراد بنا شيئاً وأراد منا شيئاً، فما أراده بنا طواه عنا، وما أراده منا أظهره لنا، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراد منَّا».

وهذا قوله فى «القَدَر»: «هو أمر بين أمرين، لا جبر ولا تفويض».

وكان يقول فى الدعاء: «اللّهم لك الحمد إن أطعتك، ولك الحُجَّة إن عصيتك، لا صنع لى ولا لغيرى فى إحسان، ولا حُجَّة لى ولا لغيرى فى إساءة».

فنذكر الأصناف الذين اختلفوا فيه وبعده، لا على أنهم من تفاصيل أشياعه، بل على أنهم منتسبون إلى أصل شجرته وفروع أولاده.

● **الناووسية** :

أتباع رجل يقال له «ناوس»، وقيل: نسبوا إلى قرية «ناوسا».. قالت: إنَّ الصادق حى بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره، وهو القائم المهدى.. ورووا عنه أنه قال: «لو رأيتم رأسى يدهده عليكم فى الجبل فلا تصدقوا، فإنى صاحبكم صاحب السيف».

وحكى أبو حامد الزوزنى أن الناوسية زعمت أن علياً مات وستنشق الأرض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلاً.

● **الأفطحية** :

قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه، وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علىّ، وكان أسن أولاد الصادق زعموا أنه قال: الإمامة فى أكبر أولاده الإمام، وقال: الإمام: مَن يجلس مجلسى، وهو الذى جلس مجلسه، وقال: الإمام لا يُغسله ولا يُصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه إلا الإمام، وهو تولى ذلك كله، ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها إلى مَن يطلبها منه وأن يتخذه إماماً، وما طلبها منه أحد إلا عبد الله، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً.

● **الشميطية :**

أتباع يحيى بن أبى شميط، قالوا: إن جعفراً قال: «إنَّ صاحبكم اسمه اسم نبيكم»، وقد قال له والده: إن وُلِد لك ولد فسميته باسمي فهو إمام، فالإمام بعده ابنه محمد.

● **الموسوية أو المفضلية :**

فرقة واحدة قالت بإمامة موسى بن جعفر نصاً عليه بالاسم حيث قال الصادق: «سابعكم قائمكم»، وقيل: «صاحبكم قائمكم، الا وهو سمي صاحب التوراة».

ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق، فمن ميت فى حال أبيه لم يعقب، ومن مختَلف فى موته، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة غير معقب.. وكان موسى هو الذى تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه رجعوا إليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر، وزرارة بن أعين، وعمارة السباطى.

وروت الموسوية عن الصادق (رضى الله عنه) أنه قال لبعض أصحابه: عد الأيام، فعدها من الأحد حتى بلغ السبت، فقال له: كم عددتَ؟ فقال: سبعة، فقال جعفر: سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور، مَن لا يلهو ولا يلعب، وهو سابعكم قائمكم هذا» – وأشار إلى موسى. وقال فيه أيضاً: إنه شبيه بعيسى.

ثم إنَّ موسى لما خرج وأظهر الإمامة حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر، ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندى بن شاهك، وقيل: إنّ يحيى بن خالد بن يرمك سمَّه فى رطب فقتله وهو فى الحبس، ثم أخرِج ودُفن فى مقابر قريش ببغداد. واختلف الشيعة بعده، فمنهم من توقف فى موته وقال: لا ندرى أمات أم لم يمت – ويقال لهم «الممطورة» – سماهم بذلك علىّ بن إسماعيل فقال: ما أنتم إلا كلاب ممطورة. ومنهم مَن قطع بموته – ويقال لهم «القطعية»، ومنهم مَن توقف عليه وقال: إنه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم «الواقفية».

● وأسماء الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية: المرتضى، والمجتبى، والشهيد، والسجّاد، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضى، والتقى، والنقى، والزكى، والحجَّة، والقائم، والمنتظر[1].

---

(١) المرتضى: علىّ بن أبى طالب (كرَّم الله وجهه) (توفى سنة ٤٠ هـ) رابع الخلفاء الراشدين، ربيب النبى ﷺ وابن عمه وصهره على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها، من أبطال المعارك الأولى التى خاضها المسلمون فى «بدر» و «أحُد» و «خيبر» و «الخندق» و «حنين»، وكان من رأى فريق من المسلمين مبايعته بالخلافة بعد وفاة النبى ﷺ لكن بيعته تمت بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، أنهى بسرعة عصيان البصرة فى معركة الجمل وكاد ينهى عصيان معركة صفين لولا شبهات الخوارج، وبينما هو يتهيأ لحسم الموقف اغتاله عبد الرحمن =

= ابن ملجم – أحد الخوارج – ويعتبر صاحب المدرسة الأولى فى الإسلام التى انبثق منها مجرى ثقافى عريض، وبموته انتهى عصر الخلفاء الراشدين.

– المجتبى : الحسن بن عليّ رضى الله عنه (٣ – ٥٠ هـ) بكر أبناء علي وفاطمة رضى الله عنهما، بايعه أهل الكوفة بعد مقتل أبيه، ولكنه آثر عدم القتال وترك الخلاف، فكاتب معاوية على الصلح بعد أن أيقن أن أهل العراق ليسوا جادين فى نصرته، ثم عاد إلى المدينة حيث عاش بها بقية حياته.

– الشهيد : الحسين بن عليّ رضى الله عنه، (٤ – ٦١ هـ) الابن الثانى لعليّ وفاطمة رضى الله عنهما، امتنع هو وعبد الله بن الزبير عن مبايعة يزيد بن معاوية، بايعه أهل الكوفة فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل لأخذ البيعة، فبايعه ٣٠،٠٠٠ شخص، ولما تولى عبد الله بن زياد على الكوفة – من قِبَل يزيد بن معاوية – قبض على مسلم وأمر بقتله، فسار الحسين رضى الله عنه إلى العراق – فى مائة من أهل بيته – ودارت معركة « كربلاء » التى انتهت باستشهاد الحسين رضى الله عنه في العاشر من المحرّم سنة ٦١ هـ، ولما حُملت رأسه إلى يزيد غضب لذلك وتألم، ودُفن الرأس بالمدينة، وقيل : بعسقلان، وقيل : إن طلائع بن رُزّيك الوزير الفاطمى نقلها إلى القاهرة وبنى عليها مسجد الإمام الحسين، أما الجسد فقد دفن فى كربلاء.

– السجّاد : عليّ بن الحسين (زين العابدين)، (٣٨ – ٩٥ هـ)، رابع الأئمة عند الشيعة، لقب بزين العابدين لكثرة عبادته وورعه حتى قيل إنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، أمه من سبايا الفُرس من عقب أنوشروان، اشترك مع أبيه في موقعة كربلاء التى قُتل بها الحسين، وعاد بعدها إلى المدينة، اشتهر ببره بالفقراء وتحرير العبيد وشدة حلمه، وهو الذى قال فيه الفرزدق قصيدته المشهورة التى مطلعها : « هذا الذى تعرف البطحاء وطأته » ويعتبر المؤسس الثانى للمدرسة فى الإسلام.

– الباقر : محمد بن عليّ زين العابدين (٥٧ – ١١٤ هـ)، الإمام الخامس للشيعة، ولد وتوفى بالمدينة، تابع توسيع مدرسة أبيه وتخرج العلماء فيها من كل الأقطار الإسلامية.

– الصادق : جعفر بن محمد الباقر (٨٠ – ١٤٨ هـ)، الإمام السادس للشيعة، وإليه ينسب المذهب الجعفرى الشيعي وعليه معظم الشيعة، ولد وتوفي بالمدينة، كانت مدرسته امتداداً لمدرسة أبيه الباقر ونجحت نجاحاً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية وبلغ عدد المنتمين إليها فى المدينة أربعة آلاف من كل الأقطار الإسلامية وكان لها فرع في الكوفة، من أعظم إنجازات الصادق دعوته إلى التأليف والتدوين – وكان قبله قليل الحدوث – وبلغ ما ألف تلاميذه أربعمائه كتاب لأربعمائة مؤلف.

– الكاظم : موسى بن جعفر الصادق (١٢٨ – ١٨٣ هـ)، الإمام السابع للشيعة، ولد فى الأبواء قرب المدينة، ومات مسموماً فى سجن هارون الرشيد فى بغداد، إليه تنسب ضاحية بغداد « الكاظمية » التى تضم قبره وقبر حفيده محمد الجواد.

– الرضى : على الرضا بن موسى الكاظم (١٥٣ – ٢٠٣ هـ)، الإمام الثامن للشيعة، ولد فى المدينة وتوفى بطوس (خراسان)، ومكان قبره اليوم مدينة مقدسة فى إيران تسمى « مشهد »، جعله المأمون ولياً لعهده واستدعاه إلى « مرو » ثم توفي بطريق عودته مع المأمون إلى بغداد، وقيل إن المأمون هو الذى سمّه. =

– التقي : محمد الجوَّاد بن على الرضا (١٩٥ – ٢٢٠ هـ) ، الإمام التاسع للشيعة ، ولد فى المدينة وتوفى ببغداد ، ودُفن مع جده موسى الكاظم فيما عُرف بعد ذلك باسم « الكاظمية » التى أصبحت من العتبات المقدسة .

– النقى : على الهادى بن محمد الجوَّاد (٢١٤ – ٢٥٤ هـ) ، الإمام العاشر للشيعة ، ولد فى المدينة وتوفى فى سامراء ، خاف المتوكل العباسى من ميل الناس إليه فى المدينة فاستدعاه إلى سامراء ، ولما دخل عليه استنشده المتوكل شعراً ، فانشده قصيدة مطلعها :

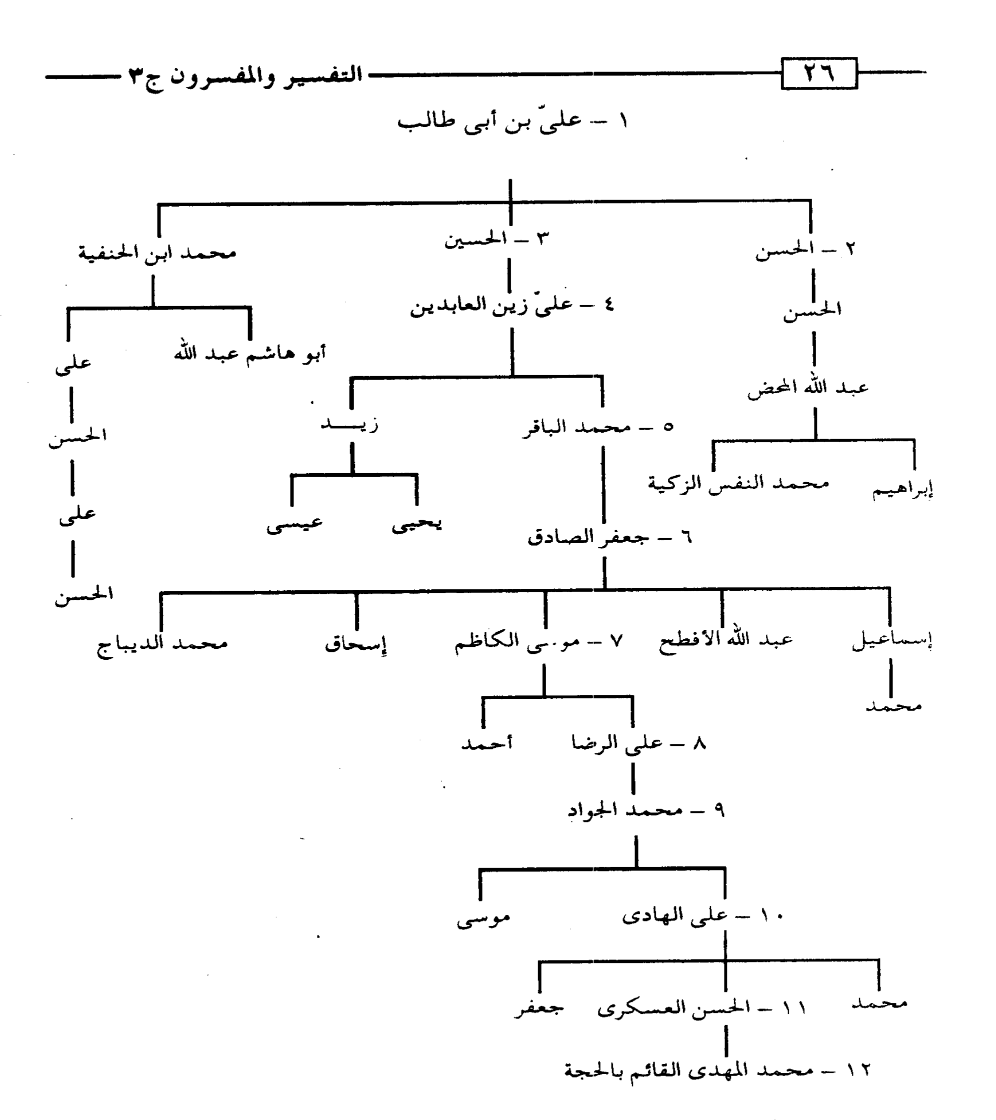
باتوا على قلل الجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

فبكى المتوكل ومَن فى مجلسه تأثراً .

– الزكى : الحسن العسكرى ابن على الهادى (٢٣١ – ٢٦٠ هـ) ، الإمام الحادى عشر للشيعة ، لقب بالعسكرى لسكنه وأباه فى محلة تعرف بالعسكر بـ « سامراء » ، ولد فى المدينة وجاء سامراء مع أبيه الإمام على الهادى حين استدعاه المتوكل وتوفى فيها .

– الحُجَّة ، والقائم ، والمنتظر : محمد المهدى بن الحسن العسكرى ، وهو الذى يزعم الشيعة أنه دخل سرداباً فى دار أبيه بـ « سر مَن رأى » واختفى عام (٢٦٠ هـ) فى حياة أبيه ، وينتظر الشيعة خروجه ليملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً .

وانظر : شجرة نسب الأئمة من ولد علىّ بن أبى طالب كرَّم الله وجهه (البلتاجى) .



شجرة نسب الأئمة من ولد عليّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه

● **الإسماعيلية الواقفية :**

قالوا : إن الإمام بعد جعفر : « إسماعيل » ، نصاً عليه باتفاق من أولاده ، إلا أنهم اختلفوا فى موته فى حال حياة أبيه ، فمنهم مَن قال : لم يمت إلا أنه اظهر موته تقيَّة من خلفاء بنى العباس وعقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، ومنهم مَن قال : الموت صحيح ، والنص لا يرجع قهقرى ، والفائدة فى النص بقاء الإمامة فى أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل محمد ابن إسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم « المباركية » .

ثم منهم مَن وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم مَن ساق الإمامة فى المستورين منهم ، ثم فى الظاهرين القائمين من بعدهم وهم « الباطنية » وسنذكر مذهبهم على الانفراد ، وإنما هذه فرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر ومحمد ابن إسماعيل المشهورة فى الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة .

● **الإثنا عشرية أو الجعفرية :**

إنّ الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا « قطعية » ساقوا الإمامة بعده فى أولاده ، فقالوا : الإمام بعد موسى علىّ الرضا ومشهده بـ « طوس » ، ثم بعده محمد التقى وهو فى مقابر قريش ، ثم بعده علىّ بن محمد النقى ومشهده بـ « قم » ، وبعده الحسن العسكرى الزكى ، وبعده ابنه القائم المنتظر الذى هو بـ « سر مَن رأى » ، وهو الثانى عشر . . هذا هو طريق الإثنى عشرية فى زماننا[1] إلا ان الاختلافات التى وقعت فى حال كل واحد من هؤلاء الإثنى عشر والمنازعات التى جرت بينهم وبين إخوتهم وبنى أعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره ومقالة لم نوردها .

فاعلم ان من الشيعة مَن قال بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علىّ الرضا ، ومَن قال بـ « علىّ » شك أولاً فى محمد بن علىّ إذ مات أبوه وهو صغير غير مستحق للإمامة ولا علم عنده بمناهجها ، فثبت قوم على إمامته واختلفوا بعد موته .

فقال قوم بإمامة موسى بن محمد ، وقال قوم بإمامة علىّ بن محمد ويقولون هو « العسكرى » .

واختلفوا بعد موته أيضاً ، فقال قوم بإمامة الحسن بن علىّ ، وكان لهم رئيس يقال له علىّ بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوّى أسباب جعفر بن علىّ وأمال الناس إليه ، وأعانه فارس بن حاتم بن ماهوية ، وذلك أن محمداً قد مات وخلف الحسن العسكرى قالوا : امتحنا الحسن ولم نجد عنده علماً ، ولقبوا مَن قال بإمامة الحسن : « الحمارية » ، وقوّوا أمر جعفر بعد موت الحسن واجتمعوا بأن الحسن مات بلا خلف

---

(١) أى زمن الشهرستانى المتوفى عام ٥٤٨ هـ .

فبطلت إمامته لأنه لم يعقب، والإمام لا يكون إلا ويكون له خلف وعقب، وجاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه أنه فعَل ذلك من حبل فى جواريه وغيره، وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة مَن قال بإمامة الحسن وتفرّقوا أصنافاً كثيرة فتثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثير ممن قال بإمامة الحسن، منهم الحسن بن علىّ بن فضال وهو من أجَلّ أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث.

ثم قالوا بعد جعفر بعلىّ بن جعفر وفاطمة بنت على أخت جعفر.

وقال قوم بإمامة علىّ بن جعفر دون فاطمة السيدة، ثم اختلفوا بعد موت علىّ وفاطمة اختلافاً كثيراً، وغلا بعضهم فى الإمامة غلو أبى الخطاب الأسدى، وأما الذين قالوا بإمامة الحسن فقد افترقوا بعد موته إحدى عشرة فرقة وليست لهم ألقاب مشهورة، ولكنَّا نذكر أقاويلهم:

الفرقة الأولى: قالت إنَّ الحسن لم يمت وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهراً لأن الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبت عندنا أنَّ القائم له غيبتان، وهذه إحدى الغيبتين وسيظهر ويُعرف ثم يغيب غيبة أخرى.

الثانية: قالت إنّ الحسن مات لكنه يحى وهو القائم، لأنَّا رأينا أنَّ معنى القائم هو القيام بعد الموت، فنقطع بموت الحسن لا نشك فيه، ولا ولد له فيجب أن يحيى بعد الموت.

الثالثة: قالت إنَّ الحسن قد مات وأوصى إلى جعفر أخيه ورجعت إمامة جعفر.

الرابعة: قالت إن الحسن قد مات والإمام جعفر وإنَّا كنا مخطئين فى الائتمام به إذ لم يكن إماماً، فلما مات ولا عقب له تبيَّناً أنَّ جعفراً كان محقاً فى دعواه والحسن مبطلاً.

الخامسة: قالت إنَّ الحسن قد مات وكنا مخطئين فى القول، وإنَّ الإمام كان محمد ابن علىّ أخو الحسن وجعفر لما ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به وعلمنا أنَّ الحسن كان على مثل حاله إلا أنه كان يتستر، عرفنا أنهما لم يكونا إمامين فرجعنا إلى محمد ووجدنا له عقباً وعرفنا أنه كان هو الإمام دون أخويه.

السادسة: قالت: إنَّ للحسن ابناً، وليس الأمر على ما ذكروا أنه مات ولم يعقب، ولد قبل وفاة أبيه بسنتين فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء واسمه محمد وهو الإمام القائم المنتظر.

السابعة: قالت: إنَّ له ابناً ولكنه وُلد بعد موته بثمانية أشهر، وقول مَن ادّعى أنه مات وله ابن باطل لأن ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان.

الثامنة: قالت: صحَّت وفاة الحسن وصحَّ أنه لا ولد له وبطل ما ادعى من الحبل فى

سرية له وثبت أنه لا إمام بعد الحسن وهو جائز فى المعقول أن يرفع الله الحَجَّة عن أهل الأرض لمعاصيهم وهى فترة وزمان لا إمام فيه والأرض اليوم بلا حُجَّة كما كانت الفترة قبل مبعث النبى ﷺ .

التاسعة : قالت : إنَّ الحسن قد مات وصحَّ موته، وقد اختلف الناس هذاالاختلاف ولا ندرى كيف هو، ولا نشك أنه قد وُلد له ابن، ولا ندرى قبل موته أو بعد موته، إلا أنَّا نعلم يقيناً أن لا تخلو عن حُجَّة وهو الخلف الغائب، فنحن نتوالاه ونتمسك باسمه حتى يظهر بصورته.

العاشرة : قالت : نعلم أنَّ الحسن قد مات ولا بد للناس من إمام ولا تخلو الأرض من حُجَّة ولا ندرى من ولده أو من غيره.

الحادية عشرة والثانية عشرة : فرقة توقفت فى هذه المخابط وقالت : لا ندرى على القطع حقيقة الحال لكنَّا نقطع فى « الرضا » ونقول بإمامته، وفى كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية فى ذلك إلى أن يُظهر الله الحُجَّة ويظهر بصورته فلا يشك فى إمامته مَن أبصره ولا يحتاج إلى معجزة وكرامة وبيِّنة، بل معجزته اتباع الناس بأسرهم إياه من غير منازعة ومدافعة.

فهذه جملة فرق الإثنا عشرية، قطعوا على واحد واحد منهم ثم قطعوا على كل بأسرهم.

ومن العجب أنهم قالوا : الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال : إن خرج القائم وقد طعن فى الأربعين فليس بصاحبكم، ولسنا ندرى كيف ينقضى مائتان وخمسون سنة فى أربعين سنة[1] ، وإذا سُئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور؟ قالوا : أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف السنين لا يحتاجان إلى طعام وشراب؟ فلمَ لا يجوز ذلك في واحد من أهل البيت؟ قيل لهم : ومع اختلافكم هذا، كيف يصح لكم دعوى الغيبة؟ ثم الخضر عليه السلام مكلفاً بضمان جماعة والإمام عندكم ضامن مكلَّف بالهداية والعدل، والجماعة مكلَّفون بالاقتداء به والاستنان بسُنَّته، ومَن لا يُرى كيف يُقتدى به؟ فلهذا صارت الإمامية متمسكين بالعدلية فى الأصول وبالمشبهة في الصفات، متحيرين تائهين، وبين الإخبارية منهم والكلامية سفه وتكفير، وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل.٠ أعاذنا الله من الحيرة.

---

(١) يعجب الشهرستانى من مرور أكثر من ٢٥٠ عاماً على غيبة الإمام الثانى عشر للشيعة وعدم ظهوره حتى عصره، وقد مضت الآن (سنة ١٤٠٨ هـ) على غيبته ما ينيف على الـ(١١٤٨ سنة)، ومع هذا لا يزالون ينتظرون رجوعه – فى سن الأربعين – ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً !! (البلتاجى).

ومن العجب أنَّ القائلين بإمامة المنتظر – مع هذا الاختلاف العظيم – لا يستحيون فيدَّعون فيه أحكام الإلٰهية ويتأوَّلون قوله تعالى: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ [التوبة: ١٠٥] عليه، قالوا: هو الإمام المنتظَر الذى يُرَد إليه علم الساعة، ويدَّعون فيه أنه لا يغيب عنا ويخبرنا بأحوالنا حين يُحاسب الخلق، إلى تحكمات باردة وكلها عن العقول ردة:

لقد طفتُ تلك المعاهد كلها وسيَّرتُ طرفى بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر على ذقنٍ، أو قارعاً سن نادم

٤ – الغـــلاة

الغالية هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلٰهية، فربما شبَّهوا واحداً من الأئمة بالإلٰه، وربما شبَّهوا الإله بالخلق، وهم على طرفى الغلو والتقصير، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبَّهت الخالق بالخلق، والنصارى شبَّهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام إلٰهية في حق بعض الأئمة، وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة، وإنما عادت إلى بعض أهل السُّنَّة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أنَّ ذلك أقرب إلى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول.

وبدع الغلاة محصورة في أربع: التشبيه، والبداء، والرجعة، والتناسخ.

ولهم ألقاب، وبكل بلد لقب، يقال لهم بأصفهان: «الخرمية» و «الكودية»، وبالرى «المزدكية» و «السنبارية» وبأذربيجان: «الذقولية»، وبموضع الحمرة وبما وراء النهر: «المبيضة».

● **السبئية:**

أصحاب عبد الله بن سبأ [١] الذى قال لعلىّ (كرَّم الله وجهه): أنت أنت الإلٰه، فنفاه إلى المدائن وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم، وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن

---

(١) عبد الله بن سبأ اليهودى: أول مَن دعا إلى تأليه علىّ (كرَّم الله وجهه)، ونشر هذه الفتنة في حياة علىّ نفسه، ولم يكن يقصد من ذلك إلا الإساءة إلى الإسلام، وقد نُسبت إليه أموراً شيطانية هدَّامة، فقد طوَّف فى الأمصار الإسلامية يمهد لدعوته الخبيثة فكان يُطرَد حيناً ويوفق حيناً آخر، ومن أهم تعاليمه الوصاية والرجعة، فأما الوصاية: فهى أنَّ لكل إمام وصىّ مَن قبله أى أن علياً وصى الرسول، والحسن وصى علىّ، والحسين وصى الحسن وهكذا. وأما الرجعة: فهى أن محمداً ﷺ سيرجع، ثم تحوَّل بعد ذلك فقال إنَّ علياً سيرجع، وكان يقول حين قتل علىّ: لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدّقنا موته، ولا يموت مَن يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

واتخذ ابن سبأ من الوصاية ذريعة لتأليب المسلمين على عثمان، فذكر لهم أنَّ عثمان قد =

نون وصىّ موسى مثل ما قال فى علىّ (كرَّم الله وجهه)، وهو أول مَن أظهر القول بالغرض بإمامة علىّ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة، وزعموا أن علياً حى لم يُقتل، وفيه الجزء الإلَهى، ولا يجوز أن يُستولى عليه، وهو الذى يجىء من السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل بعد ذلك فيملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً.

وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علىّ (كرَّم الله وجهه) واجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة، وقالت بتناسخ الجزء الإلَهى فى الأئمة بعد علىّ.

● **الكاملية :**

أصحاب أبى كامل، أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علىّ (كرَّم الله وجهه) وطعن فى علىّ أيضاً بتركه طلب حقه ولم يعذره فى القعود. قال: وكان عليه أن يخرج ويُظهر الحق، على أنه غلا فى حقه وكان يقول: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور فى شخص يكون نبوة، وفى شخص يكون إمامة، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة.. وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت.

والغلاة على أصنافها كلهم متفقون على التناسخ والحلول، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقوها من المجوس والمزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة. ومذهبهم أنَّ الله تعالى قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر بشخص من أشخاص البَشر، وذلك معنى الحلول. وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل، أما الحلول بجزء فهو كإشراق الشمس فى كوة، أو كإشراقها على البللور.. وأما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان.

ومراتب التناسخ أربعة: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ[1].

= اغتصب الخلافة من علىّ بن أبى طالب، وما فتىء يؤلب الناس على عثمان وينسب إليه من الأخطاء ما جعل حياته تنتهى بالشكل الذى انتهت به: قتيلاً يتلو كتاب الله.

ولم يقف الأمر بابن سبأ عند ذلك، بل إمعاناً فى الكيد للعقيدة وضع علياً بن أبى طالب موضع الإلَه، ولم يكن أمر الغالين الذين بذر فيهم ابن سبأ بذور الخبث والزيغ ليقف عند حد، فقد ألَّهوا أبناء علىّ: الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، ثم ألَّهوا أبناءهم بعد ذلك، وأدخلوا إلى الدين كثيراً من العادات الفارسية والمجوسية والبوذية، فقالوا بتناسخ الأرواح، وتحللوا من بعض أحكام الدين - إلى غير ذلك - غير أنَّ كل ما أتوا به من بدع وانحرافات يتضاءل إلى جانب الإشراك بالله وتأليه علىّ وأبنائه. (إسلام بلا مذاهب، ص ١٦٦، ١٦٧).

(١) يقول مذهب التناسخ: إنَّ الأرواح تتناسخ فى الأجساد وتنتقل من شخص إلى شخص، وما يلقى من الراحة والتعب، والدعة والنصب فمرتب على ما أسلفه قبل، وهو فى بدن آخر جزاء على ذلك، والإنسان - عندهم - أبداً فى أحد أمرين، أما فى فعل وإما فى جزاء وهو ما فيه، فإما مكافأة على عمل قدَّمه وإما عمل ينتظر المكافأة عليه، والجنة والنار فى هذه الأبدان، وأعلى =

وأعلى المراتب مرتبة الملكية أو النبوة، وأسفل المراتب الشيطانية والجنيِّة. . . وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهراً من غير تفصيل مذهبهم.

● العليائية :

أصحاب العليا بن ذراع الدوسى، وقال قوم: هو الأسدى، وكان يُفضِّل علياً على النبي ﷺ، وزعم أنه الذى بعث محمداً، وسماه إلَهاً، وكان يقول بذم محمد، وزعم أنه بُعث ليدعو إلى عليّ فدعا إلى نفسه، ويسمون هذه الفرقة «الذمية» ومنهم مَن قال بآلهيتهما جميعاً ويقدِّمون علياً فى أحكام الإلَهية ويسمونهم «العينية»، ومنهم مَن قال بآلهيتهما جميعاً ويقدمون محمداً فى الإلَهية ويسمونهم «الميمية»، ومنهم مَن قال بإلَهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء: محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وقالوا: خمستهم شيء واحد والروح حالّة فيهم بالسوية، فلا فضل لواحد على الآخر. وكرهوا أن يقولوا فاطمة - بالتأنيث - بل قالوا: فاطم، وفى ذلك يقول بعض شعرائهم:

توليتُ بعد الله فى الدين خمسة نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً

● المغيرية :

أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى، ادّعى أن الإمام بعد محمد بن عليّ بن الحسين: محمد بن عبد الله بن الحسين الخارج بالمدينة[١]. وزعم أنه حى لم يمت[٢]. وكان المغيرة مولى لخالد بن عبد الله القسرى، وادّعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد، وبعد

= عليين درجة الملائكية أو النبوة، وأسفل السافلين دركة الشياطين والجن، فلا وجود أعلى من درجة الرسالة، ولا وجود أسفل من درجة الشياطين (البلتاجى).

(١) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ - المعروف بمحمد النفس الزكية - وكان قد استولى علي مكة والمدينة أيام في مستهل الدولة العباسية، كما استولى أخوه إبراهيم على البصرة وما جاورها، واستولى أخوهما الثالث - إدريس - على جزء من بلاد المغرب. فأرسل أبو جعفر المنصور - الملك العباسي - إلي محمد النفس الزكية، جيشاً كثيفاً والتحم الجيشان بالمدينة فى معركة كبيرة قُتل فيها محمد النفس الزكية، ثم ثنى المنصور بجيش آخر أنفذه إلى العراق حتى التحم مع جيش إبراهيم في معركة عرفت باسم «باب خمرين» أو «باخمرا» قُتل فيها إبراهيم.

وقال أنصار محمد النفس الزكية بإمامته بعد موت محمد الباقر مستندين إلى حديث نسبوه إلى الرسول ﷺ يقول فى المهدى: «إنَّ اسمه يُوافق اسمى واسم أبيه اسم أبي» فلما قُتل فى المعركة السالفة الذكر زعموا أنه لم يُقتل ولم يمت، وأنه فى جبل «حاجر» من ناحية نجد مقيم هناك إلى أن يُؤمر بالخروج ويملك الأرض وتُعقد له البيعة بمكة بين الركن والمقام. (إسلام بلا مذاهب، ص ١٧٨، ١٧٩).

(٢) يزعم أنصار النفس الزكية أنَّ الذى قتلته جيوش المنصور لم يكن النفس الزكية نفسه، وإنما هو شيطان تمثل فى صورته. =

ذلك ادّعى النبوة وغلا فى حق علىّ (كرَّم الله وجهه) غلواً لا يعتقده عاقل، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه، فقال: إنّ الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله قلب ينبع منه الحكمة...

وزعم أنّ الله تعالى لما أراد خلق العالَم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً، قال: وذلك قوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ [الأعلى: ١ - ٢]، ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه، فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران، أحدهما مالح والآخر عذب، والمالح مظلم والعذب نيِّر، فاطلع في البحر النيِّر فأبصر فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر، وأفنى باقى ظله وقال: لا ينبغى أن يكون معى إلَه غيرى.

قال: ثم خلق الخلق كله من البحرين، فخلق المؤمنين من البحر النيِّر، والكفار من البحر المظلم، وخلق ظلال الناس.

وأول ما خلق هو ظل محمد وعلىّ قبل ظلال الكل، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة، وهى أن يمنعن علىّ بن أبى طالب من الإمامة فأبين ذلك، ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن يتحمل منعه من ذلك، وضمن أن يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده، فقبل منه وأقدما على المنع متظاهرين، فذلك قوله: ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر: ١٦].

ولما أن قُتلَ المغيرة، اختلف أصحابه، فمنهم مَن قال بانتظاره ورجعته، ومنهم مَن قال بانتظار إمامة محمد، كما كان يقول هو بانتظاره، وقد قال المغيرة لأصحابه: انتظروه، فإنه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام.

● **المنصورية:**

أصحاب أبى منصور العجلى، وهو الذى عزا نفسه بين أبى جعفر محمد بن على الباقر فى الأول، فلما تبرأ عنه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه،

= وقد ردّ بعض رجال السُّنَّة عليهم قائلين لهم: إن أجزتم أن يكون المقتول بالمدينة غير محمد النفس الزكية وأجزتم أن يكون المقتول هنا شيطاناً تصوّر فى صورته، فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه، وإنما كانوا شياطين تصوّروا للناس بصور الحسين وأصحابه، وانتظروا حسيناً كما انتظرتم محمداً النفس الزكية، وانتظروا علياً كما انتظرته السبئية منكم الذين زعموا أنه فى السحاب والذي قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطاناً تصوَّر بصورة علىّ للناس. (إسلام بلا مذاهب، ص ١٧٩).

ولما توفى الباقر قال: انتقلت الإمامة إلىّ، وتظاهر بذلك وخرج جماعة منهم بالكوفة فى بنى كندة حتى وقف يوسف بن عمر الثقفى والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته، فأخذه وصلبه.

زعم العجلى أن علياً (كرَّم الله وجهه) هو الكسف الساقط من السماء، وربما قال: الكسف الساقط من السماء هو الله عزَّ وجَلَّ !!

وزعم حين ادّعى الإمامة أنه عُرِج به إلى السماء، ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له: يا بنى أنزل فبلِّغ عنى، ثم أهبطه إلى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء !!

وزعم أيضاً أنَّ الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع !!

وزعمَ أنَّ الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت، وأنهَ النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام !!

وتأوّل المحرَّمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم، وتأوَّل الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم !!

واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وهم صنف من الخرمية، وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرَّمات على أسماء رجال هو أنَّ مَن ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع عنه الخطاب أو وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال.

ومما أبدعه العجلى أن قال: أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم علىّ بن أبى طالب !!

● **الخطابية :**

أصحاب أبى الخطاب محمد بن أبى زينب الأسدى الأجدع، وهو الذى عزا نفسه إلى أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه وشدَّد القول فى ذلك وبالغ فى التبرى عنه واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادّعى الأمر لنفسه، وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلَهية جعفر بن محمد وإلَهية آبائه، وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلَهية نور فى النبوة، والنبوة نور فى الإمامة، ولا يخلو العالَم من هذه الآثار والأنوار.

وزعم أنَّ جعفراً هو الإلَه فى زمانه، وليس هو المحسوس الذى يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالَم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها !!

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة، وافترقت الخطابية بعده فرقاً، فزعمت فرقة أنَّ الإمام بعد أبى الخطاب رجل يقال له « معمر » ودانوا به كما دانوا بأبى الخطاب.

وزعموا إنَّ الدنيا لا تفنى، وأنَّ الجنة هى التى تصيب الناس من خير ونعمة وعافية، وأنَّ النار هى التى تصيب الناس من شر ومشقة وبليَّة.

واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرّمات، ودانوا بترك الصلاة والفرائض، وتسمى هذه الفرقة «معمرية».

وزعمت طائفة أنَّ الإمام بعد أبى الخطاب «يزيغ»، وكان يزعم أن جعفراً هو الإلَه، أى ظهر بصورته للخلق، وزعم أنَّ كل مؤمن يُوحَى إليه، وتأوّل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٥] : أى بوحى من الله إليه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ** ﴾ [النحل: ٦٨].

وزعم أنّ فى أصحابه مَن هو أفضل من جبريل وميكائيل، وزعم أنَّ الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات، لكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل: رُفِع إلى الملكوت. وادَّعوا كلهم معاينة أمواتهم، وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشياً، وتسمى هذه الطائفة «اليزيغية».

وزعمت طائفة أنَّ الإمام بعد أبى الخطاب «عمير بن بنان العجلى»، وقالوا كما قالت الطائفة الأولى إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة. يجتمعون فيها على عبادة الصادق، فرُفِع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة، فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة، وتسمى هذه الطائفة «العجلية».

وزعمت طائفة أنَّ الإمام بعد أبى الخطاب «مفضل الصيرفى» وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته.

وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم، فإنَّ القوم كلهم حيارى جاهلون، بحال الأئمة تائهون.

● **الكيالية:**

أتباع أحمد بن الكيال، وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق، وأظنه من الأئمة المستورين، ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه الفائل وفكره العاطل، وأبدع مقالة فى كل باب علمى على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة، وربما عاند الحسن فى بعض المواضع، ولما وقفوا على بدعته تبرأوا منه ولعنوه، وأمروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته، ولما عرف الكيال ذلك صرف الدعوة إلى نفسه وادَّعى الإمامة أولاً، ثم ادّعى أنه القائم ثانياً.

وكان من مذهبه أنَّ كل من قدر الآفاق علي الأنفس وأمكنه أن يبين مناهج العالَمين - أعنى عالَم الآفاق وهو العالَم العلوى، وعالَم الأنفس وهو العالَم السفلى، كان هو الإمام، وأن مَن قرر الكل فى ذاته، وأمكنه أن يبين كل كلى فى شخصه المعين الجزئى، كان هو القائم، قال: ولم يوجد فى زمن من الأزمان أحد يقرر هذا التقرير إلا أحمد

الكيال، فكان هو القائم، وإنما قبله مَن انتمى إليه أولاً على بدعته، ذلك أنه الإمام ثم القائم، وبقيت من مقالته فى العالَم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعاً وعقلاً:

قال الكيال: العوالم ثلاثة: العالَم الأعلى، والعالَم الأدنى، والعالَم الإنسانى، وأثبت فى العالَم الأعلى خمسة أماكن: الأول مكان الأماكن وهو مكان فارغ لا يسكنه موجود ولا يدبره روحانى وهو محيط بالكل.

قال: والعرش الوارد فى الشرع عبارة عنه، ودونه مكان النفس الأعلى، ودونه مكان النفس الناطقة، ودونه مكان النفس الحيوانية، ودونه مكان النفس الإنسانية.

قال: وأرادت النفس الإنسانية الصعود إلى عالَم النفس الأعلى فصعدت وخرقت المكانين - أعنى الحيوانية والناطقية - فلما قربت من الوصول إلى عالَم النفس الأعلى كلَّت وانحسرت وتحيَّرت وتعفنت واستحالت أجزاؤها، فاهْبطت إلى العالَم السفلى ومضت عليها أكوار وأدوار وهى فى تلك الحالة من العفونة والاستحالة، ثم ساحت عليها النفس الأعلى وأفاضت عليها من أنوارها جزء التراكيب فى هذا العالَم، فحدثت وحدثت السموات والأرض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، ووقعت فى بلايا هذا التركيب تارة سروراً وتارة غماً، وتارة فرحاً وتارة ترحاً، وطوراً سلامة وعافية، وطوراً بليِّة ومحنة، حتى يظهر القائم ويردها إلى حال الكمال وتنحل التراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحانى على الجسمانى وما ذلك القائم إلا أحمد الكيال.

ثم دلّ على تعيين ذاته بأضعف ما يتصور وأوهي مايقدر، وهو أن اسم أحمد مطابق للعوالم الأربعة، فالألف من اسمه في مقابلة النفس الأعلي، والحاء في مقابلة النفس الناطقة، والميم في مقابلة النفس الحيوانية، والدال في مقابلة النفس الإنسانية.

قال: فالعوالم الأربعة هي المبادئ والبسائط وأما مكان الأماكن فلا وجود فيه البتَّة.

ثم أثبت في مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني. قال: فالسماء خالية وهي في مقابلة مكان الأماكن، ودونها النار ودونها الهواء ودونها الأرض ودونها الماء، وهذه الأربعة في مقابلة العوالم الأربعة.

ثم قال: الإنسان في مقابلة النار، والطائر في مقابلة الهواء، والحيوان في مقابلة الأرض، والحوت في مقابلة الماء، فجعل مركز الماء أسفل المراكز والحوت أخس المركبات.

ثم قابل العالم الإنساني الذي هو أحد الثلاثة وهو عالم الأنفس مع آفاق العالمين الأولين الروحاني والجسماني.

قال: الحواس المركبة فيه خمس. فالسمع في مقابلة مكان الأماكن إذ هو فارغ، وفي مقابلة السماء والبصر في مقابلة النفس الأعلي من الروحاني، وفي مقابلة النار من الجسماني وفيه إنسان العين، لأن الإنسان مختص بالنار، والشم في مقابلة الناطق من الروحاني والهواء من الجسماني، لأن الشم من الهواء يتروح ويبتسم والذوق في مقابلة الحيواني من الروحاني والأرض من الجسماني، والحيوان مختص بالأرض والطعم بالحيوان، واللمس في مقابلة الإنساني من الروحاني والماء من الجسماني، والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت، وربما عبر عن اللمس بالكناية.

ثم قال: «أحمد: ألف وحاء وميم ودال، وهو في مقابلة العالمين، أما في مقابلة العالم العلوي الروحاني فقد ذكرنا، وأما في مقابلة العالم السفلي الجسماني، فالألف يدل علي الإنسان، والحاء علي الحيوان، والميم علي الطائر والدال علي الحوت، فالألف من حيث استقامة القامة كالإنسان، والحاء كالحيوان لأنه معوج منكوس ولأن الحاء من ابتداء اسم الحيوان، والميم يشبه رأس الطير، والدال يشبه ذنب الحوت».

ثم قال: «إن الباري تعالي إنما خلق الإنسان علي شكل اسم أحمد. فالقامة مثل الألف، واليدان مثل الحاء، والبطن مثل الميم، والرجلان مثل الدال».

ثم من العجب أنه قال: الأنبياء هم قادة أهل التقليد، وأهل التقليد عميان والقائم قائد أهل البصيرة، وأهل البصيرة أولو الألباب، وإنما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والأنفس، والمقابلة كما سمعتها من أخس المقالات وأوهي المقابلات، بحيث لا يستجيز عاقل أن يسمعها فكيف يرضي أن يعتقدها.

وأعجب من هذا كله تأويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض الشرعية والأحكام الدينية وبين موجودات عالمي الآفاق والأنفس، وادعاؤه أنه متفرد بها، وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك، لا علي الوجه المزيف الذي قرره الكيال، وحمله الميزان علي العالمين والصراط علي نفسه، والجنة علي الوصول إلي علمه من البصائر، والنار علي الوصول إلي ما يضاده.. ولما كانت أصول علمه ما ذكرناه، فانظر كيف يكون حال الفروع!!

● **الهشامية:**

أصحاب الهشامين: هشام بن الحكم [١] صاحب المقالة في التشبيه، وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج علي منواله في التشبيه، وكان هشام بن الحكم من

---

(١) هشام بن الحكم (توفي سنة ١٩٠هـ)، كوفي من كبار أصحاب الإمام جعفر الصادق، برع في المناظرة والجدل وتقدم بذلك وهو شاب علي شيوخ الشيعة، وهو من أوائل المؤلفين في الإسلام، له كتاب (الألفاظ) في أصول الفقه (البلتاجي).

متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام منها في التشبيه، ومنها في تعلق علم الباري تعالي.

حكي ابن الراوندي عن هشام أنه قال: إن بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه، ولولا ذاك لما دلت عليه. حكي الكعبي عنه أنه قال: هو جسم ذو أبعاض له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شئ. وقيل عنه وإنه قال: هو سبعة أشبار بشبر نفسه، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة، أنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلي مكان، وقال: هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة.

وحكي عنه أبو عيسي الوراق أنه قال: إن الله تعالي مماس لعرشه لا يفضل منه شئ من العرش ولا يفضل عن العرش شئ منه.

ومن مذهب هشام: أنه لم يزل عالما بنفسه ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه: محدث أو قديم، لأنه صفة والصفة لا توصف ولا يقال فيه هو أو غيره أو بعضه، وليس قوله في القدرة والحياة كقوله في العلم، لأنه لا يقول بحدوثهما. قال: ويريد الأشياء وإرادته حركة ليست غير الله ولا هي عينه.

وقال في كلام الباري وتعالي: إنه صفة لله تعالي، ولا يجوز أن يقال هو مخلوق ولا غير مخلوق.

وقال: الأعراض لا تصلح دلالة علي الله تعالي، لأن منها ما يثبت استدلالا، وما يستدل به علي الباري تعالي يجب أن يكون ضروري الوجود.

وقال: الاستطاعة كل ما لا يكون الفعل إلا به كالآلات والجوارح والوقت والمكان.

وقال هشام بن سالم: إنه تعالي علي صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وله وفرة سوداء، وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم.

وقال هشام: الاستطاعة بعض المستطيع، وقد نقل عنه أنه أجاز المعصية علي الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة، ويفرق بينهما بأن النبي يوحي إليه فينبه علي وجه الخطأ فيتوب منه، والإمام لا يوحي إليه فيجب عصمته.

وغلا هشام بن الحكم في حق علي حتي قال: إنه إله واجب الطاعة، وهذا هشام ابن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته علي المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزمه علي الخصم ودون ما يظهره من التشبيه،وذلك أنه ألزم العلاف فقال: إنك تقول: الباري عالم بعلمه وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم، وبيانها في أن علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقدار؟...إلي غير ذلك.

ووافقه ذرارة بن أعين في حدوث علم الله تعالي، وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته، وأنه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالما ولا قادرا ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا ولا متكلما.

وكان يقول بإمامة عبد اَلله بن جعفر، ،فلما فاوضه في مسائل ولم يجده بها مليا رجع إلي موسي بن جعفر وقيل أيضا، إنه لم يقل بإمامته، إلا إنه أشار إلي المصحف فقال: هذا إمامي، وأنه كان قد التوي علي جعفر بعض الالتواء، وحكي عن الزرارية: أن المعرفة ضرورية، وأنه لا يسع جهل الأئمة، فإن معارفهم كلها ضرورية وكل ما يعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أوَّلي ضروري ونظرياتهم لا يدركها غيرهم.

● **النعمانية:**

إصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الأحول، الملقب بشيطان الطاق، والشيعة تقول: هو مؤمن الطاق، وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالي لا يعلم شيئا حتي يكون، والتقدير عنده الإدارة، والإرادة فعله تعالي.

وقال: إن الله تعالي نور علي صورة إنسان، ويأبي أن يكون جسما، لكنه قال: قد ورد في الخبر أن الله قد خلق آدم علي صورته، وعلي صورة الرحمن، فلابد من تصديق الخبر.

ويحكي عن مقاتل بن سليمان مثل مقالته في الصورة، وكذلك يحكي عن داود الجواربي ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من أصحاب الحديث، أنه تعالي ذو صورة وأعضاء.

ويحكي عن داود أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية، واسألوني عما وراء ذلك فإن في الأخبار ما يثبت ذلك.

وقد صنف ابن النعمان كتبا جمة للشيعة منها: افعل لم فعلت.. ومنها أفعل لا تفعل ويذكر فيها أن كبار الفرق أربعة: القدرية، والخوارج والعامة، والشيعة، ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق.

وذكر عن هشام بن سالم ومحمد بن النعمان أنهما امسكا عن الكلام في الله، ورويا عمن يوجبان تصديقه أنه سئل عن قول الله: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم:٤٢]. قال: إذا بلغ الكلام إلي الله فامسكوا، فامسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتي ماتا، هذا نقل الوراق.

● **اليونسية:**

أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي مولي آل يقطين، زعم أن الملائكة تحمل العرش، والعرش يحمل الرب تعالي، إذ قد ورد في الخبر: أن الملائكة تئط أحيانا من

وطأة عظمة الله تعالي علي العرش، وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتبا في ذلك.

● **النصيرية والإسحاقية** (١)

من غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية علي الأئمة من أهل البيت قالوا: « ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، إما في جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي، والتمثيل بصورة البشر، وإما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان حتي يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتي يتكلم بلسانه، فلذلك نقول: إن الله تعالي ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي عليه السلام، وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم ونطق بألسنتهم وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره، لأنه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالي مما يتعلق بباطن الأسرار، قال النبي ﷺ (أنا أحكم بالظاهر والله يتولي السرائر) وعن هذا كان قتال المشركين إلي النبي ﷺ وقتال المنافقين إلي علي، وعن هذا شبهه بعيسي ابن مريم) ، وقال: (لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسي ابن مريم وإلا قلت فيك مقالا)، وربما أثبتوا له شركة في الرسالة إذ قال: (فيكم من يقاتل علي تأويله كما قاتلت علي تنزيله، ألا وهو خاصف النعل) فعلم التأويل، وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية، من أدل الدليل علي أن علي فيه جزء إلهيا وقوة ربانية أو يكون هو الذي أظهر الإله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه، وعن هذا قالوا: كان هو موجودا قبل خلق السموات والأرض، قال: كنا أظلة علي يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال وتلك الصورة العرية عن الأظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالي إشراقا لا ينفصل عنها سواء أكانت في هذا العالم أو في ذلك العالم وعن هذا قال: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، يعني لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما أسبق والثاني لاحق به. قال له: وهذا يدل علي نوع شركة، فالنصيرية أميل إلي تقرير الجزء الإلهي، والإسحاقية أميل إلي تقرير الشركة في النبوة، ولهم اختلافات أخر لم نذكرها.

وقد نجزت الفرق الإسلامية ومابقت إلا فرقة الباطنية، وقد أوردهم أصحاب

---

(١) النصيرية (او العلويون) طائفة تقطن جبل العلويين وشمالي سوريا (سهول حمص وحماة وحلب) دعوا كذلك نسبة إلي محمد بن نصير مؤسس الطائفة أو راعيها (توفي سنة ٢٦٠هـ).

التصانيف في كتب المقالات ، إما خارجة عن الفرق وإما داخلة فيها . . وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة .

● **رجال الشيعة ومصنفو كتبهم:**

من الزيدية : أبو خالد الواسطي، ومنصور بن الأسود، وهارون بن سعيد العجلي، ووكيع بن الجراح، ويحيي بن آدم،و وعبد الله بن موسي، وعلي بن صالح، والفضل بن دكين من الجارودية، وأبو حنيفة بشرية، وخرج محمد بن عجلان مع الإمام، وخرج إبراهيم بن عباد بن عوام، ويزيد بن هارون والعلاء بن راشد، وهشيم بن بشر، والعوام بن حوشب، ومسلم بن سعيد مع إبراهيم الإمام.

ومن الإمامية وسائر أصناف الشيعة : سالم بن أبي الجعد، وسالم بن أبي حفصة، وسلمة بن كميل، وتوبة بن أبي فاختة، وحبيب بن أبي ثابت أبو المقدام، وشعبة، والأعمش، وجابر الجعفي، وأبو عبد الله الجدلي، وأبو إسحاق السبيعي، والمغيرة،وطاووس، والشعبي ، وعلقمة، وهبيرة بن بريم، وحبة الغرني، والحارث الأعور.

ومن مؤلفي كتبهم : هشام بن الحكم، وعلي بن منصور، ويونس بن عبد الرحمن، وشكال، والفضل بن شاذان، والحسين بن إشكاب، ومحمد بن عبد الرحمن بن رقية، وأبو سهل النوبختي، وأحمد بن يحيي الراوندي.

ومن المتأخرين: أبو جعفر الطوسي.

* * *

٥ - الإسماعيلية (١)

ذكرنا أن الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الإثنا عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر، قالوا: ولم يتزوج الصادق علي أمه بواحدة من النساء ولا اشتري جارية كسنة رسول الله ﷺ في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة.

وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال: إنه مات وإنما فائدة النص عليه انتقال الإمامة منه إلي أولاده خاصة، كما نص موسي إلي هارون عليهما السلام، ثم مات هارون في حال حياة أخيه، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه إلي أولاده، فإن النص لا يرجع قهقري، والقول بالبداء محال، ولا ينص الإمام

---

(١) الإسماعيليون: هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه، ولم يختلفوا عن بقية المذاهب الإسلامية إلا بهذا القول حتي خلافة المستنصر الفاطمي، فلما تولي الخلافة بعده ابنه أحمد المستعلي انشق عن خلافته فريق من الإسماعيليين بزعامة الحسن بن الصباح، وبايعوا لأخيه نزار، وبعد أن فشلت ثورتهم في الإسكندرية، انتقل الحسن بن الصباح إلي قلعة (الموت) وعندما أعلن الحسن بن محمد زعيم النزاريين (عام ٥٥٨ هـ) إلغاء الشعائر الدينية والامتناع عن إقامة الفرائض، أصبح النزاريون (أو الحشاشون) مغايرين لأصحاب المذهب الإسماعيلي الفاطمي، في حين ظلوا يحملون اسم الإسماعيلية حتي الآن، وهم أتباع أغاخان ، أما الآخرون فهم المعروفون اليوم باسم البهوة أو السبعية.

وتسميتهم (الحشاشون) مأخوذة من الكلمة الإفرنجية (Assassins)وهي بمعني (فاتك) أطلقها عليهم الصليبيون لاشتهارهم بالاغتيال، ويبدأ تاريخهم باحتلال (الموت) (عام ٤٨٣هـ) علي يد الحسن الصباح، واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم للوزير السلجوقي نظام الملك (عام ٤٨٥هـ)، وعمل السلاجفة علي إخضاعهم عبثا، فاستولوا علي قلاع مصياف، وعليقة وقدموس (عام ٥٣٦هـ)، عرف رئيسهم بـ (شيخ الجبل) وقد قضي عليهم المغول(٦٥٤ - ٦٥٩هـ) ووجه إليهم بيبرس الضربة القاتلة (عام ٦٧١هـ).

والسبعية: اسم يطلق علي الإسماعليلية المستعلية، لأنهم انفصلوا عن الشيعة ابتداء من الإمام السابع، وهم المعروفون اليوم باسم (البهرة) وعلي هذا الرأي كان الخلفاء الفاطميون.

والدعوة عند الإسماعيلية علي درجات لكل درجة اسم خاص بمن يشغلها.. فهناك: الناطق والأساس والحجة، فالناطق يبلغ الكلام المنزل، والأساس يئوله، والحجة يثبت صدق رسالة الأساس فالنبي محمد ﷺ عندهم ناطق، وعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أساس.

وتقوم فلسفتهم علي اعتبار العقل الكلي مجمع صفات الله، وتنال السعادة بالعلم ولا ينال العلم إلا بحلول العقل الكلي في الأئمة بعد الناطق. ويلاحظ أن نظرية الفيض تلعب دورا هاما، ولهم كتب كثيرة ما يزال أغلبها مخطوطا ويوجد الإسماعيليون الآن في إيران وأواسط آسيا وأفغانستان والهند وعمان والشام وزنجبار وتنزانيا (البلتاجي).

علي واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز علي الإبهام والجهالة.

ومنهم من قال: إنه لم يمت، لكن أظهر موته تقية عليه، حتي لا يقصد بالقتل، ولهذا القول دلالات، منها أن محمدا كان صغيرا وهو أخوه لأمه مضي إلي السرير الذي كان إسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فأبصره وهو قد فتح عينه، وعدا إلي أبيه مفزعا وقال: عاش أخي، عاش أخي، قال والده: إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم في الآخرة. قالوا: وما السبب في الاستشهاد علي موته وكتب المحضر عليه، ولم يعهد ميتا سجل علي موته؟!.

وعن هذا، لما رفع إلي المنصور أن إسماعيل بن جعفر مر بالبصرة علي مُقعد فدعا فبرئ بإذن الله، بعث المنصور إلي الصادق أن إسماعيل في الأحياء وأنه رؤي بالبصرة، فأنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة.

قالوا: وبعد إسماعيل، محمد، ابن إسماعيل السابع التام، وإنما تم دور السبعة به، ثم ابتدأ بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد ويظهرون الدعاة جهرا.

وقالوا ولن تخلو الأرض قط من إمام حي قاهر، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور.. فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن تكون حجته مستورة، وإذا كان الإمام مستورا فلابد أن تكون حجته ودعاته ظاهرين.

وقالوا: إنما الأئمة تدور أحكامهم علي سبعة، كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع.

والنقباء تدور أحكامهم علي اثني عشر، قالوا: وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة.

ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص علي إمام بعدإمام، ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، وكانت لهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان، فتذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة.

وأشهر ألقابهم (الباطنية) وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ولهم ألقاب كثيرة سوي هذه علي لسان قوم قوم.

فبالعراق: يسمون الباطنية [١] والقرامطة [٢]، والمزدكية. وبخراسان: التعليمية، والملحدة...

وهم يقولون: نحن إسماعيلية، لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص.. ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج.. فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول هو موجود ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليه، وذلك تشبيه، فلم يكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين والحاكم بين المتضادين.

ويقولون في هذا أيضا عن محمد بن علي الباقر أنه قال: لما وهب العلم للعالمين قيل: هو عالم، ولما وهب القدرة للقادرين قيل: هو قادر، فهو عالم وقادر بمعنى أنه وهب العلم والقدرة، لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة، أو وصف بالعلم والقدرة.

فقيل فيهم: إنهم نفاة الصفات حقيقة، معطلة الذات عن جميع الصفات.

قالوا: وكذلك نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث، بل القديم أمره وكلمته، والمحدث خلقه وفطرته، أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس الثاني الذي هو غير تام، ونسبة النفس إلى الفعل إما نسبة

---

(١) الباطنية: فرق إسماعيلية تقول بالوحدانية ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ولكنهم في نفس الوقت يقولون أن لكل ظاهر باطنا، وأن لكل تنزيل تأويلا، تأويلا ظاهرا وتأويلا باطنا، فالتأويل الظاهر للإيمان وللقرآن يتفق إلى حد كبير مع التشريعات السنية، ولعلهم قد عمدوا إلى هذه التأويلات الظاهرية لكي يردوا على أهل السنة ممن رموهم بالزيغ والكفر، وقد جعلوا من شروط الإيمان أن يؤمن الإسماعيلي بالظاهر والباطن معا، والإيمان بواحد منهما دون الآخر يعتبر خروجا على المذهب وكفرا. (إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٥).

(٢) القرامطة: أصحاب دعوة كانوا يدينون بمذهب الإسماعيلية، اتخذوا الدعوة إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق وسيلة لتحقيق أغراضهم، عرفوا بذلك نسبة إلى أحد دعاتهم، حمدان ابن الأشعث الملقب بقرمط، انتشرت دعوتهم باليمن حين بعث الإمام الإسماعيلي، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، اثنين من الدعاة إلى اليمن هما علي ابن الفضل الحميري اليمني الأصل، ومنصور بن حسن الكوفي، للدعوة له، و نجح علي بن الفضل نجاحا كبيرا في نشر الدعوة الإسماعيلية في اليمن، أما منصور بن حسن فتغلب على جزء من بلاد اليمن، وجعل مركز دعوته في «مسور» (البلتاجي).

النطفة إلي تمام الخلقة. والبيض إلي الطير، وإما نسبة الولد إلي الوالد والنتيجة إلي المنتج، وإما نسبة الأنثي إلي الذكر والزوج إلي الزوج [١].

قالوا: ولما اشتاقت النفس إلي كمال العقل احتاجت إلي حركة من النقص إلي الكمال، واحتاجت الحركة إلي آلة الحركة.، فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس، وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامت بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان، واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان [٢].

وكان نوع الإنسان متميزا عن سائر الموجدات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابل العالم كله.

وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي، وجب أن يكون في هذا العالم عقل شخص هو كل، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ، ويسمونه الناطق وهو النبي ، ونفس

---

(١) وبهذا ينكرون صفات الله أو يكادون، ويعللون ذلك بأن الله تعالي فوق متناول العقل، ومن أجل ذلك يقولون: لا نقول موجود ولا نقول غير موجود،ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وعلي ذلك فلا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق، بل هو إله المتقابلين، وخالق المتخاصمين،والحاكم بين المتضادين، وليس هو بالقديم، كما أنه ليس بالمحدث، فالقديم أمره وكلمته، وبالحديث خلقه وفطرته (البلتاجي).

(٢) هنا يقول الإسماعيليون: إن الله تعالي لم يخلق العالم خلقا مباشرا، بل أبدع العقل الكلي بعمل من أعمال الإرادة، والعقل الكلي محل لجميع الصفات الإلهية، وفي نظرهم الإله ممثلا في مظاهره الخارجية، ويعللون هذه الفلسفة فيقولون: لما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدي لكائن لا يدرك، فهي تؤدي – في رأيهم – لمظهره الخارجي وهو العقل الذي أصبح تبعا لذلك الإله الحقيقي من وجهة نظرهم، ولما كان الإنسان غير قادر علي معرفة ذات الله وإنما يعرف العقل وحده، فإنهم يسمون العقل (الحجاب) أو (المحل) أو (الصلة)، ولبلوغ السعادة عندهم ينبغي علي الإنسان تحصيل العلم، ولا يمكن تحصيل السعادة التي هي العلم إلا بحلول العقل الكلي في إنسان هو النبي، وفي الأئمة الذين يخلفونه، والعقل الحال يسمي (ناطقا)، والنفس الحالة تسمي (أساسا)، والناطق هو النبي الذي يبلغ الكلام المنزل، والأساس هو الإمام الذي يفسره معتمدا علي التأويل ، ولذلك يقولون إن محمدا ﷺ هو (الناطق) وعليا (كرم الله وجهه) هو الأساس. فالخالق إذن – عندهم – تبعا لهذا الاعتقاد هو العقل الكلي والنفس الكلية، وبمعني آخر أن ما يقوله جمهور المسلمين عن الله تعالي خلعه الإسماعيليون علي العقل الكلي الذي هو الإله عندهم، وهم لم يذهبوا هذا المذهب في التعريف بالله ولم يركبوا هذا المركب الصعب عبثا، بل عمدوا إلي ذلك لإسباغ صفة خاصة علي الإمام الذي قالوا إنه من البشر، فقالوا إن العقل الكلي في العالم العلوي، يقابله الإمام في العالم الجسماني، وانتهوا من ذلك إلي أن جميع الأسماء والصفات التي خلعت علي العقل الكلي هي أيضا أسماء وصفات خلعت علي الإمام، لأن الإمام مثل للعقل الكلي، فأسماء الله تعالي جميعا هي أسماء للإمام. (إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٦، ٢٣٧).

مشخصه هو كل أيضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه إلي الكمال، أو حكم النطفة المتوجهة إلي التمام، أو حكم المزدوج الذكر، ويسمونه الأساس وهو الوصي.

قالوا: ولما تحركت الأفلام بتحريك النفس والعقل والطبائع، كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي، والوصي في كل زمان دائرا علي سبعة سبعة، حتي ينتهي إلي الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع.

وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس إلي حال كمالها، وكمالها بلوغها إلي درجة العقل واتحادها ووصولها إلي مرتبة فعلا، وذلك هو القيامة الكبري، فتنحل تراكيب الأفلاك والعناصر والمركبات، وتنشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الأرض غير الأرض، وتطوي السموات كطي السجل للكتاب المرقرم فيه، ويحاسب الخلق ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي، وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي، وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل، فمن وقت الحركة إلي السكون هو المبتدأ، ومن وقت السكون إلي ما لا نهاية له هو الكمال.

ثم قالوا: ما من فريضة وسنة وحكم من أحكام الشرع، من بيع وإجازة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية، إلا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد، وحكما في مقابلة حكم، فإن الشرائع عوالم روحانية أمرية، والعوالم شرائع جسمانية خلقية.

وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات علي وزان تركيبات الصور والأجسام والحروف المفردة نسبتها إلي التركيبات من الكلمات كالبسائط المجردة إلي المركبات من الأجسام، ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس، فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الأغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للأبدان، وقد قدر الله تعالي أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه.

فعلي هذا الوزان صاروا إلي ذكر أعداد الكلمات والآيات، وأن التسمية مركبة من سبعة واثني عشر، وأن التهليل مركب من أربع كلمات في إحدي الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية، وسبع قطع في الأولي وست في الثانية واثنا عشر حرفا في الثانية، وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه إلا ويعجز عن ذلك خوفاعن مقابلته بضده.

وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم، قد صنفوا فيها كتبا، ودعوا الناس إلي إمام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدي إلي مدارج هذه الأوضاع والرسوم.

ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح [١]. دعوته، وقصر عن الإلزامات كلمته، واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع.

وكان بدء صعوده إلي قلعة الموت في شعبان سنة (٤٨٣هـ) وذلك بعد أن هاجر ألي بلاد إمامه وتلقي منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه، فعاد ودعا الناس أول دعوة إلي تعيين إمام صادق قائم في كل زمان، وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة، وهو أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام، وإنما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا علي بدء بالعربية والعجمية علي هذا الحرف، ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية إلي العربية ولا معاب علي الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل، والله الموفق والمعين.

فنبدأ بالفصول الأربعة التي ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها...

قال للمفتي: في معرفة الباري تعالي أحد قولين، إما أن يقول: أعرف الباري تعالي بمجرد العقل والنظر من غير احتياج إلي تعليم معلم، وإما أن يقول: لا طريق إلي المعرفة مع العقل والنظر إلا بتعليم معلم صادق.

قال: ومن أفتي بالأول فليس له الإنكار علي عقل غيره ونظره، فإنه متي أنكر فقدعلم، والإنكار تعليم ودليل علي أن المنكر عليه يحتاج إلي غيره.

قال: والقسمان ضروريان، فإن الإنسان إذا أفتي بفتوي أو قال قولا فإما أن يقول من نفسه أو من غيره، وكذلك إذا اعتقد عقدا، فإما أن يعتقده من نفسه أو من غيره.

هذا هو الفصل الأول وهو كسر علي أصحاب الرأي والعقل.

---

(١) الحسن بن الصباح (توفي سنة ٥١٨هـ) داع فاطمي، عارض أنصار المستعلي وأيد اتباع نزار وهرب به من القاهرة إلي الإسكندرية فثار هناك ففشلت ثورته وقتل نزار، ففر إلي إيران حيث أسس طائفة (الحشاشين) عام (٤٨٣هـ) في قلعة الموت الجبلية التي اتخذها مقرا لدعوته، وكان أهم ما يميز هذه الفرقة الإسماعيلية هو اتخاذ الاغتيال وسيلة للتخلص من أعدائها، وكان يرأسها (السيد) أو (شيخ الجبل) صاحب الأمر والنهي، ويليه الدعاة الذين يتلقون أوامرهم منه وينفذون تعليماته، وكان الدعاة منقسمين إلي مراتب حسب إطلاعهم علي أسرار الفرقة.

وكانت مرتبة الفدائيين أهم المراتب وذلك لقيامهم باغتيال الأعداء، وكان شيخ الجبل يكافئهم علي أعمالهم التي كانوا يتدربون عليها - بإدخالهم من حين لآخر في جنة غناء قائمة داخل الحصن، حيث يسمح لهم بتعاطي الحشيش وممارسة كل أنواع الملذات الحسية.

وقد خلف ابن الصباح بعد وفاته ستة من شيوخ الجبل، كان لهم أهمية سياسية كبيرة، واتسع نطاق دعوتهم حتي شمل الشام، وفي عام (٦٥٤هـ) هاجم هولاكو قلعة الموت وقضي علي الفرقة، كما قضي عليهم في الشام بيبرس سلطان المماليك عام (٦٧١هـ) وقد بقيت منهم فئات متفرقة في سوريا وإيران والهند.

وذكر في الفصل الثاني : أنه إذا ثبت الاحتياج إلي معلم، أفيصلح كل معلم علي الإطلاق، أم لابد من معلم صادق؟ قال : ومن قال إنه يصلح كل معلم ما ساغ له الإنكار علي معلم خصمه، وإذا أنكر فقد سلم أنه لابد من معلم معتمد صادق . . قيل : وهذا كسر علي أصحاب الحديث .

وذكر في الفصل الثالث : أنه إذا ثبت الاحتياج إلي معلم صادق، أفلا بد من معرفة المعلم أولا والظفر به ثم التعلم منه، أم جاز من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه؟ والثاني رجوع إلي الأول ومن لم يمكنه سلوك الطريق إلا بمقدم ورفيق، فالرفيق ثم الطريق . . وهو كسر علي الشيعة .

وذكر في الفصل الرابع : أن الناس فرقتان ، فرقة قالت : يحتاج في معرفة الباري تعالي إلي معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه أولا، ثم التعلم منه . . وفرقة أخذت من كل علم من معلم وغير معلم .

وقد تبين بالمقدمات السابقة أن الحق مع الفرقة الأولي، فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين، وإذا تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية، فرؤساؤهم يجب أن يكونوا رؤساء المبطلين .

قال : وهذه الطريقة التي عرفتنا المحق بالحق معرفة مجملة، ثم نعرف بعد ذلك الحق بالحق معرفة مفصلة حتي لا يلزم دوران المسائل، وإنما عني بالحق ههنا الاحتياج وبالمحق المحتاج إليه .

وقال : بالاحتياج عرفنا الإمام، وبالإمام عرفنا مقادير الاحتياج ، كما بالجواز عرفنا الوجوب، أي واجب الوجود، وبه عرفنا مقادير الجواز من الجائزات ، قال : والطريق إلي التوحيد كذلك حذ و القذة بالقذة .

ثم ذكر فصولا في تقرير مذهبه، إما تمهيدا وإما كسرا علي المذاهب وأكثرها كسر وإلزام واستدلال بالاختلاف علي البطلان، وبالاتفاق علي الحق، منها فصل الحق والباطل، والصغير والكبير .

يذكر أن في العالم حقا وباطلا، ثم يذكر أن علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة، وأن الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي، والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الإمام، والرأي مع الفرق المختلفة وهي مع رؤسائهم وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه، والتمايز بينهما من وجه التضاد في الطرفين، والترتيب في أحد الطرفين ميزانا يزن به جميع ما يتكلم فيه .

قال : وإنما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها، من النفي والإثبات، أو النفي والاستثناء، قال : فما هو مستحق النفي باطل، وما هو مستحق الإثبات حق .

ووزن بذلك الخير والشر والصدق والكذب وسائر المتضادات، ونكتته أن يرجع في كل مقالة وكلمة إلي إثبات المعلم،وأن التوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتي يكون توحيدا، وأن النبوة هي النبوة والإمامية معا حتي تكون نبوة، وهذا هو منتهي كلامه، وقد منع العوام عن الخوض في العلوم، وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من عرف كيفية الحال في كل كتاب ودرجة الرجال في كل علم، ولم يتعد بأصحابه في الإلهيات عن قوله: إن إلهنا إله محمد.

قال: أنا وأنتم تقولون إلهنا إله العقول: أي ما هدي إليه عقل كل عاقل.

فإن قيل لواحد منهم: ما تقول في الباري تعالي وأنه هل هو واحد أم كثير؟ عالم قادر أم لا؟ لم يجب إلا بهذا القدر: إن إلهي إله محمد وهو الذي أرسل رسوله بالهدي، والرسول هو الهادي إليه.

يقول الإمام الشهرستاني.... وكم قد ناظرت القوم علي المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم: أفنحتاج إليك أو نسمع هذا منك أو نتعلم عنك، وكم قد ساهلت القوم في الاحتياج وقلت: أين المحتاج إليه؟ وإيش يقدر لي في الإلهيات؟ وماذا يرسم في المعقولات؟ إذ المعلم لا يعني لعينه، وإنما يعني ليعلم، وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد، وليس يرضي عاقل بأن يستفد مذهبا علي غير بصيرة، وأن يسلك طريقا من غير بينة، فكانت مبادئ الكلام تحكميات وعواقبها تسليمات: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

ويقول أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (المتوفي سنة ٤٥٦هـ) تحت عنوان (ذكر شنع الشيعة): أهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف أولها الجارودية من الزيدية، ثم الإمامية من الرافضة، ثم الغالية.

فأما الجارودية: فإن طائفة منهم قالت: إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن أبي طالب القائم بالمدينة علي أبي جعفر المنصور، فوجه إليه المنصور عيسي بن موسي بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فقتل محمد بن عبد الله ابن الحسن رحمه الله.. فقالت هذه الطائفة: إن محمدا المذكور حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقالت طائفة أخري منهم: إنه يحيي بن عمر بن يحيي بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب القائم بالكوفة أيام المستعين فوجه إليه محمد بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بأمر المستعين ابن عمه الحسن ابن إسماعيل بن الحسين، وهو ابن أخي طاهر بن الحسين، فقتل يحيي بن عمر رحمه الله..

فقالت الطائفة المذكورة: إن يحيي بن عمر هذا حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقالت طائفة منهم: إن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، القائم بالطالقان أيام المعتصم، حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقال الكيسانية - وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد - وهم عندنا شعبة من الزيدية في سبيلهم: إن محمد بن علي بن أبي طالب - وهو ابن الحنفية - حي بجبال رضوي عن يمينه أسد وعن يساره نمر، تحدثه الملائكة، يأتيه رزقه غدوا وعشيا، لم يمت ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقال بعض الروافض الإمامية - وهي الفرقة التي تدعي الممطورة - إن موسي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [١] حي لم يمت ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقال طائفة منهم - وهم الناووسية - أصحاب ناوس المصري مثل ذلك في أبيه جعفر بن محمد [٢]، وقالت طائفة منهم مثل ذلك في أخيه إسماعيل ابن جعفر.

وقالت السبئية - أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي - مثل ذلك في علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وزادوا أنه في السحاب.. فليت شعري في أي سحابة هو من السحاب والسحاب كثير في أقطار الهواء، مسخر بين السماء والأرض كما قال الله تعالي..وقال عبد الله بن سبأ إذ بلغه قتل علي رضي الله عنه: لو أتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته، ولا يموت حتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

وقال بعض الكيسانية: بأن أبا مسلم السراج حي لم يمت، وسيظهر ولابد، وقال بعض الكيسانية بأن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حي بجبال أصبهان إلي اليوم ولا بد له من أن يظهر، وعبد الله هذا هو القائم بفارس أيام مروان بن محمد، وقتله أبو مسلم بعد أن سجنه دهرا، وكان عبد الله هذا ردي الدين، معطلا، مستصحبا للدهرية.

قال أبو محمد [٣]: فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بأن ملكصيدوق بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح، والعبد الذي وجهه إبراهيم عليه السلام ليخطب

---

(١) يقصد موسي الكاظم سابع الائمة الإثني عشر.
(٢) يقصد جعفر الصادق سادس الائمة الإثني عشر.
(٣) يعني ابن حزم نفسه.

(ريقا) بنت بنؤال بن ناخور بن تارخ علي إسحاق ابنه عليه السلام، والياس عليه السلام السلام، وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام، أحياء إلي اليوم، وسلك هذا السبيل بعض تركي الصوفية، فزعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام حيان إلي اليوم، وادعي بعضهم أنه يلقي إلياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض، وأنه متي ذكر حضر علي ذكراه.

قال أبو محمد :فإن ذكر في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وفي ألف موضع في دقيقة واحدة كيف تصنع؟

ولقد لقينا من يذهب إلي هذا خلقا وكلمناهم ، منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بـ(طلبيرة) وهو مع ذلك من أهل العناية وسعة الرواية، ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب، وأخبرني أنه جالس الخضر وكلمه مرارا أو غيره كثير.

هذا مع سماعهم قول الله تعالي :﴿ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقول رسول الله ﷺ :(لا نبي بعدي) فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده – عليه السلام – نبيا في الأرض،حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسي ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان؟!

وكفار برغواطة إلي اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم.

وقال القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم، وهم جمهور الشيعة، ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم ، بأن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسي بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [١] حي لم يمت ولا يموت حتي يخرج فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا، وهو عندهم المهدي المنتظر.

ويقول طائفة منهم: إن مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة سنتين ومائتين، سنة موت أبيه، وقالت طائفة منهم: بل بعد موت أبيه بمدة، وقالت طائفة منهم: بل في حياة أبيه، ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسي، وأنها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه يقرأ القرآن، وأن أمه (نرجس) وأنها كانت هي القابلة. وقال جمهورهم: بل أمه (صقيل) وقالت طائفة منهم: بل أمه (سوسن).

وكل هذا هوس، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرا ولا أنثي، فهذا أول نوك [٢] الشيعة ومفتاح عظيماتهم وأخفها وإن كانت مهلكة.

---

(١) يقصد محمد المهدي بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر من أئمتهم، والذي دخل السرداب، ولا يزالون ينتظرون عودته!!

(٢) النوك: الحمق، يقال: نوك نوكا، ونواكا: حمق.

ثم قالوا كلهم إذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون؟ يقولون: حجتنا الإلهام وأن من يخالفنا ليس لرشدة [١] فكان هذا طريفا جدا.

ليت شعري ما الفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي في إبطال قولهم الإلهام وأن الشيعة ليسوا لرشدة، أوأنهم نوكة، أو أنهم جملة ذوو شعبة من جنون في رؤوسهم؟

وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار في غيرهم، أو من كان في غيرهم فصار منهم، أتراه ينتقل من ولادة الغية إلي ولادة الرشدة، ومن ولادة الرشدة إلي ولادة الغية؟

فإن قالوا: حكمه لما يموت عليه، قيل لهم: فلعلكم أولاد غية إذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم إلي خلاف ما هو عليه.

والقوم بالجملة ذوو أديان فاسدة وعقو ل مدخولة وعديمو حياء، ونعوذ بالله من الضلال.

وذكر عمرو ابن خولة الجاحظ – وهو وإن كان أحد المجان ومن غلب عليه الهزل وأحد الضالين المضلين، فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها وإن كان كثيرا لا يراد كذب غيره – قال: أخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام، وبشر بن خالد، أنهما قالا لمحمد بن جعفر الراضي – المعروف بشيطان الطاق – ويحك، أما استحييت من الله أن تقول في كتابك في الإمامة: إن الله تعالي لم يقل قط في القرآن: ﴿ **ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة: ٤٠] قالا: فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتي كأنا نحن الذين أذنبنا:

قال النظام: وكنا نكلم علي بن ميتم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم، فنسأله: أرأي أم سماع عن الأئمة؟ فينكر أن يقوله برأي فتخبره بقوله فيها قبل ذلك، فوالله ما رأيته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط.

ومن قول الإمامية كلها قديما وحديثا: أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه، ونقص منه كثير – حاشا علي بن الحسن بن موسي بن محمد ابن إبراهيم بن موسي بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب – وكان إماميا يظاهر بالاعتزال مع ذلك، فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله، وكذلك صاحباه أبو يعلي ميلاد الطوسي وأبو القاسم الرازي.

قال أبو محمد: القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح، وتكذيب لرسول الله ﷺ.

---

(١) يقال: ولد رشدة، ولرشدة: صحيح النسب، أو من نكاح صحيح، وفي الحديث: «من ادعي ولدا لغير رشدة، فلا يرث ولا يورث» ويقال في نقيضه: هو ولد غية: أي ولد زنية.

وقال طائفة من الكيسانية بتناسخ الأرواح: وبهذا يقول السيد الحميري الشاعر - لعنه الله - ويبلغ الأمر بمن يذهب إلي هذا أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه، علي أن روح أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فيه!!

فاعجبوا لهذا الحمق الذي لا نظير له، وما الذي خص هذا البغل الشقي أو الحمار بنقل الروح إليه دون سائر البغال والحمير.

وكذلك يفعلون بالعنز علي أن روح أم المؤمنين (١) رضي الله عنها فيها !!

وجمهور متكلميهم كهشام بن الحكم الكوفي، وتليمذه أبي علي الصكاك وغيرهما، يقول: إن علم الله تعالي محدث، وإنه لم يكن يعلم شيئا حتي أحدث لنفسه علما وهذا كفر صريح.

وقد قال هشام هذا في حين مناظرته لأبي الهذيل العلاف: إن ربه سبعة أشبار بشبر نفسه، وهذا كفر صريح.

وكان داود الجوازي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم علي صورة الإنسان، ولا يختلفون في أن الشمس ردت علي علي بن أبي طالب مرتين،أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجرأة علي الكذب أكثر من هذا علي قرب العهد وكثرة الخلق؟!

وطائفة منهم تقول: إن الله تعالي يريد الشئ ويعزم عليه، ثم يبدو له فلا يفعله، وهذا مشهور للكيسانية.

ومن الإمامية من يجيز نكاح تسعة نسوة!!

ومنهم من يحرم الكرنب لأنه إنما نبت علي دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا من قلة الحياء قريب مما قبله.

وكما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمي قبله، وهذا جهل عظيم، بل كان في العرب كثير يسمون بهذا الاسم، كعلي بن بكر بن وائل، وإليه يرجع كل بكري في العالم في نسبه، وفي الأزد علي، وفي بجيلة علي وغيرها، كل ذلك في الجاهلية مشهور، وأقرب من ذلك: عامر بن الطفيل يكني أبا علي ... ومجاهراتهم أكثر مما ذكرنا.

ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار، وفي الكيسانية من يقول إن الدنيا لا تفني أبدا.

ومنهم طائفة تسمي النحلية - نسبوا إلي الحسن بن علي بن ورصند

---

(١) يقصد السيدة عائشة رضي الله عنها.

النحلي – كان من أهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلية من كور إفريقيا، ثم نهض هذا الكافر إلي السوس في أقاصي بلاد المصامدة، فأضلهم وأضل أمير السوس أحمد ابن إدريس بن يحيي بن إدريس بن عبد الله بن الحسين بن الحسن ين علي بن أبي طالب، فهم هناك كثير سكان في ربض مدينة السوس، معلنون بكفرهم، وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين، لا يأكلون شيئا من الثمار زبل أصله، ويقولون أن الإمامة في ولد الحسن دون ولد الحسين – ومنهم أصحاب أبي كامل – ومن قولهم: إن جميع الصحابة (رضي الله عنهم) كفروا بعد موت النبي ﷺ، إذ جحدوا إمامة علي، وأن عليا كفر إذ سلم الأمر إلي أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم قال جمهورهم: إن عليا ومن اتبعه رجعوا إلي الإسلام إذ دعا إلي نفسه بعد قتل عثمان، وإذ كشف وجهه وسل سيفه، وأنه وإياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الإسلام كفارا مشركين، ومنهم من يرد الذنب في ذلك إلي النبيﷺ إذ لم يبين الأمر بيانا رافعا للإشكال.

قال أبو محمد: وكل هذا كفر صريح لا خفاء به.

فهذه مذاهب الإمامية – وهي المتوسطة في الغلو، من فرق الشيعة – وأما الغالية من الشيعة فهم قسمان:، قسم: أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، والقسم الثاني: أوجبوا الإلهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصاري واليهود، وكفروا أشنع الكفر.

فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ فرق: فمنهم الغرابة، وقولهم إن محمداﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وإن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلي علي، فغلط جريل بمحمد، و لا لوم علي جبريل في ذلك لأنه غلط، وقالت طائفة منهم: بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله.

قال أبو محمد: فهل سمع بأضعف عقولا وأتم رقاعة من قوم يقولون إن محمداﷺ كان يشبه علي بن أبي طالب، فياللناس!! أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن إحدي عشرة سنة حتي يغلط به جبريل عليه السلام؟!

ثم محمد عليه الصلاة والسلام فوق الربعة إلي الطول، قويم القناة، كث اللحية، أدعج العينين، ممتلئ الساقين – ﷺ – قليل شعر الجسد، أفرع، وعلي دون الربعة إلي القصر، منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر، عظيم اللحية قد ملأت صدره من منكب إلي منكب إذ التحي، ثقيل العينين دقيق الساقين، أصلع عظيم الصلع، ليس في رأسه شعر إلا في مؤخره يسير، كثير شعر اللحية، فاعجبوا لحمق هذه الطبقة!!

ثم لو جاز أن يغلط جبريل – و حاشا لروح القدوس الأمين – كيف غفل الله عز

وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثا و عشرين سنة. ثم أظرف [1] من هذا كله من أخبرهم بهذا الخبر ومن خرفهم بهذه الخرافة، وهذا لا يعرفه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام، ثم شاهد خلافه، فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين، ما دام لله في عالمه خلق.

وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسي بن جعفر، وعلي بن موسي، ومحمد بن علي، والحسن بن محمد، والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط، وهم طائفة من القرامطة، فرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية. وقد حام المختار حول أن يدعي النبوة لنفسه، وسجع أسجاعا وأنذر بالغيوب عن الله، واتبعه علي ذلك بطوائف من الشيعة الملعونة، وقال بإمامة محمد ابن الحنفية.

وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد، مولي بجيلة بالكوفة وهو الذي أحرقه خالد بن عبد الله القسري بالنار، وكان لعنه الله يقول: إن معبوده صورة رجل علي رأسه تاج، وأن أعضاءه علي عدد حروف الهجاء، الألف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذي شيعة من دين به – تعالي الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا.

وكان لعنه الله يقول: إن معبوده لما أراد أن يخلق الخلق تكلم باسمه الأكبر فوقع علي تاجه، ثم كتب بأصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات، فلما رأي المعاصي ارفض به عرقا فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح مظلم والثاني نير عذب، ثم اطلع في البحر فرأي ظله فذهب ليأخذه فطار، فأخذه فقلع عين ذلك الظل ومحقه، فخلق من عينيه الشمس وشمسا أخرس، وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب، في تخليط له كثير!

وكان مما يقول: إن الأنبياء لم يختلفوا قط في شئ من الشرائع.

وقد قيل: إن جابر بن يزيد الجعفي الذي يروي عن الشعبي، كان خليفة المغيرة بن سعيد إذ حرقه خالد بن عبد الله القسري، فلما مات جابر خلفه بكر الأعور الهجري، فلما مات فوضوا أمرهم إلي عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة.

---

(١) أي أعجب

وآخر ما وقف عليه المغيرة بن سعيد القول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وتحريم ماء الفرات، وكل ماء نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة، فبرئت منه عند ذلك القائلون بالإمامة في ولد الحسين.

وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي، صلبه وأحرقه خالد بن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد، وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبنا شديدا حتي ضم إليها قهرا، وبادر بيان بن سمعان إلي الحزمة فاعتنقها من غير إكراه ولم يظهر منه جزع، فقال خالد لأصحابهما: في كل شئ أنتم مجانين، هذا كان ينبغي أن يكون رئيسكم لا هذا الفسل.

وكان بيان – لعنه الله – يقول: إن الله تعالي يفني كله حاشا وجهه فقط، وظن المجنون أنه تعلق في كفره هذا بقول الله تعالي ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧]، ولو كان له أدني عقل أو فهم لعلم أن الله تعالي إنما أخبر بالفناء عما علي الأرض فقد بنص قوله الصادق: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾، ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما علي الأرض، ووجه الله تعالي هو الله وليس هو شيئا غيره، وحاشا لله من أن يوصف بالتبعيض، والتجزئ، هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد، ولا له مثل.

وكان لعنه الله يقول: إنه المعني بقوله تعالي: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وكان يذهب إلي أن الإمام هو هاشم بن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، ثم هي في سائر ولد علي كلهم.

وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلي، وهو الملقب بالكسف، وكان يقال أنه المراد بقول الله عز وجل: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ [الطور: ٤٤]، وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة.

وكان لعنه الله يقول: إنه عرج به إلي السماء، وأن الله تعالي مسح رأسه بيده وقال له: ابني، اذهب فبلغ عني، وكان يمين أصحابه: لا والكلمة.

وكان لعنه الله يقول: بأن أول من خلق الله تعالي عيسي ابن مريم، ثم علي بن أبي طالب.

وكان يقول بتواتر الرسل، وأباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم، وقال: إنما هم أسماء رجال، وجمهور الرافضة اليوم علي هذا، وأسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج، وأصحابه كلهم خناقون رضاخون، وكذلك أصحاب المغيرة بن سعيد.

ومعناهم في ذلك، أنهم لا يستحلون حمل السلاح حتي يخرج الذي ينتظرونه، فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة، والخشبية بالخشب فقط.

وذكر هشام بن الحكم الرافضي في كتابه المعروف بـ(الميزان) – وهو أعلم الناس بهم لأنه جارهم بالكوفة وجارهم في المذهب – أن الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم، ويقولون: نعجل المؤمن إلي الجنة والكافر إلي النار.

وكانوا بعد موت أبي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقوه إلي الحسن ابن أبي المنصور، وأصحابه فرقتان، فرقة قالت: إن الإمامة بعد محمد بن علي بن الحسن صارت إلي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وفرقة قالت: بل إلي أبي المنصور الكسف ولا تعود في ولد علي أبدا.

وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة، وإن وقع هذه الدعوة لهم لفي حائك لظريفة [1].

وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة.

وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة، وكان لعنه الله يقول لأصحابه: لو شئت أن أعيد هذا التبن تبرا لفعلت، وقدم إلي خالد بن عبد الله القسري بالكوفة فتجلد وسب خالدا، فأمر خالد بضرب عنقه فقتل إلي لعنة الله.

وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية.

وقالت فرقة في أولئك – شيعة بني العباس – بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به أسد بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري فقتله إلى لعنة الله.

والقسم الثاني من فرقة الغالية، الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله، أتوا إلي علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو. فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: الآن صح عندنا أنه الله،لأنه لا يعذب بالنار إلا الله.. وفي ذلك يقول رضي الله عنه:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت نارا ودعوت قنبرا

يريد قنبر مولاه، وهو الذي تولي طرحهم في النار.. نعوذ بالله من أن نفتتن بمخلوق أو يفتتن بنا مخلوق فيما جل أو دق، فإن محنة أبي الحسن رضي الله عنه من بين أصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسي ﷺ بين أصحابه من الرسل عليهم السلام.

---

(١) أي عجيبة.

وهذه الفرقة باقية إلي اليوم [١] فاشية عظيمة العدد، يسمون العليائية، منهم كان إسحاق بن محمد النخعي الأحمر الموفي وكان من متكلميهم، وله في ذلك كتاب سماه (الصراط) نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنا ويقولون إن محمدا رسول علي.

وقالت طائفة من الشيعة – يعرفون بالمحمدية – إن محمدا عليه السلام هو الله – تعالي الله عن كفرهم – ومن هؤلاء كان البهنكي والفياض بن علي، وله في هذا المعني كتاب سماه(القسطاس) وأبوه الكاتب المشهور الذي كتب لإسحاق بن كنداج أيام ولاته، ثم لأمير المؤمنين المعتضد، وفيه يقول البحتري القصيدة المشهورة التي أولها:

شط من ساكن الغدير فراره   وطوته البلاد والله حاره

والفياض هذا – لعنه الله – قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب، لكونه من جملة من سعي به أيام المعتضد، والقصة مشهورة.

وفرقة قالت بإلهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا إلي محمد عليه السلام، ثم بإلهية علي، ثم بإلهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا ههنا، وأعلنت الخطابية بذلك نهارا بالكوفة في ولاية عيسي بن موسي بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في أزر وأردية محرمين ينادون بأعلي أصواتهم لبيك جعفر، لبيك جعفر. قال ابن عياش وغيره: كأني أنظر إليهم يومئذ، فخرج إليهم عيسي بن موسي فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم.

ثم زادت فرقه علي ما ذكرنا فقالت بإلهية محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بإلهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده، ومنهم من قال بإلهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمي بالمنصور.

وقالت طائفة منهم بإلهية عبيد الله ثم الولاة من ولده إلي يومنا هذا [٢] وقالت طائفة بإلهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولي بني أسد بالكوفة، وكثر عددهم بها حتي تجاوزوا الألوف، وقالوا: هو إله، وجعفر بن محمد إله، إلا أن أبا الخطاب أكبر منه.

وكانوا يقولون: جميع أولاد الحسن أبناء الله وأحباؤه، وكانوا يقولون: إنهم لا

---

(١) أي إلي أيام ابن حزم الذي مات عام ٤٥٦هـ.
(٢) أي في عهد ابن حزم.

يموتون ولكنهم يرفعون إلي السماء، وأشبه علي الناس بهذا الشيخ الذي ترون.

ثم قالت طائفة منه بإلهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه، وكان من أصحاب أبي الخطاب، لعنهم الله أجمعين.

وقال طائفة بإلهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله أيام المقتدر.

وقالت طائفة بإلهية محمد بن علي بن السمعاني الكاتب المقتول ببغدا أيام الراضي، وكان أمر أصحابه أن يفسق الأرفع قدرا منهم به ليولج فيه النور، وكل هذه الفرق تري الاشتراك في النساء.

وقالت طائفة منهم بإلهية شباس المقيم في وقتنا هذا حيا بالبصرة، وقالت طائفة منهم بإلهية أبي مسلم السراج، ثم قالت طائفة من هؤلاء بإلهية المقنع الأعور القصار القائم بثأر أبي مسلم ، واسم هذا القصار هاشم، وقتل لعنه الله أيام المنصور، وأعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وأفناهم إلي لعنة الله.

وقالت الرنودية بإلهية أبي جعفر المنصور، وقالت طائفة منهم بإلهية عبد الله بن الحرب الكندي الكوفب وعبدوه، وكان يقول بتناسخ الأرواح، وفرض عليهم تسعة عشر صلاة في اليوم والليلة، في كل صلاة خمسة عشر ركعة، إلي أن ناظره رجل من متكلمي الصفرية، وأوضح له براهين الدين فأسلم وصح إسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه، وأعلم أصحابه بذلك وأظهر التوبة فتبرأ منه جميع أصحابه الذين مانوا يعبدونه ويقولون بإلهيته ولعنوه وفارقوه، ورجعوا كلهم إلي القول بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

وبقي عبد الله بن الحرب علي الإسلام وعلي مذهب الصفرية إلي أن مات وطائفته اليوم تعرف بالحربية وهي من السبأية القائلين بإلهية علي، وطائفة تدعي النصرية غلبوا في وقتنا هذا علي جند الأردن بالشام وعلي مدينة طبرية خاصة [١].

ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولعن الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم وسبهم بأقذع السب وقذفهم بكل بلية، والقطع بأنها وابنيها - رضي الله عنهم ولعن مبغضيهم - شياطين تصوروا في صورة الإنسان، وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رضي الله عنه: علي علي لعنة الله ورضي الله عن ابن ملجم - فيقول هؤلاء: إن عبد الرحمن بن ملجم المرادي أفضل أهل الأرض وأكرمهم في الآخرة، لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره.

(١) كل ذلك كان أيام ابن حزم.

فاعجبوا لهذا الجنون، واسألوا الله العافية من بلاء الدنيا والآخرة، فهي بيده لا بيد أحد سواه، جعل الله حظنا منها الأوفي.

واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمي إلي الإسلام، فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية، فإن من الصوفية من يقول: إن من عرف الله تعالي سقطت عنه الشرائع، وزاد بعضهم: واتصل بالله تعالي!!

وبلغنا أن بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلا يكني أبا سعيد أبا الخير - هكذا معا - من الصوفية، مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم علي الرجال، ومرة يصلي في اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض، نعوذ بالله من الضلال» [١].

وبعد..

يقول الله تعالي: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر:٧].

ويقول سبحانه: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال:٤٦].

ويقول جل شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء:٥٩].

ويقول جل وعلا: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء:٦٥].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر. وذراعا بذراع، حتي لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتوهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصاري؟ قال: «فمن»؟ [٢].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «افترق اليهود علي إحدي وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصاري علي ثنتين وسبعين فرقة، فإحدي وسبعون في النار، وواحدة في الجنة.. والذي نفسي بيده، لتفترقن أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله من تراهم؟ قال: «الجماعة» [٣].

---

(١) انظر: الفصل بين الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: ٤/١٣٧ - ١٤٤ نشر مكتبة السلام العالمية، وكذا: الملل والنحل للشهرستاني - مطبوع بهامش الفصل المذكور: ١/ ١٥١ - ٦١و٢/٢ - ٣٠.

(٢) رواه البخاري. (٣) رواه ابن ماجه.

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» (١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس.. فمن اتقي الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعي حول الحمي يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمي، ألا وإن حمي الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢).

صدق الله العظيم ... وصدق رسوله الكريم.

فاللهم ربنا: أصلح فساد قلوبنا، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وجنبنا يا رب الشبهات، واحفظ قلوبنا من الزيغ والضلال، واهدنا إلى الصراط المستقيم.

محمد الأنور أحمد البلتاجي

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) متفق عليه.

بين يدي البحث

الشيعة وموقفهم من تفسير القرآن

● كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم:

الشيعة في الأصل، هم الذين شايعوا عليا وأهل بيته ووالوهم، وقالوا: إن عليا هو الإمام بعد رسول الله ﷺ، وإن الخلافة حق له، استحقها بوصية من رسول الله ﷺ، وهي لا تخرج عنه في حياته، ولا عن أبنائه بعد وفاته، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلي واحد من أمرين.

أحدهما: أن يغتصب غاصب ظالم هذا الحق لنفسه.

ثانيهما: أن يتخلي صاحب الحق عنه في الظاهر، تقية منه، ودرءا للشر عن نفسه وعن أتباعه.

وهذا المذهب الشيعي، من أقدم المذاهب الإسلامية، وقد كان مبدأ ظهوره في آخر عهد عثمان رضي الله عنه [1] ثم نما واتسع علي عهد علي رضي الله عنه، إذ كان كلما اختلط -رضي الله عنه- بالناس تملكهم العجب، واستولت عليهم الدهشة، مما يظهر لهم من قوة دينه، ومكنون علمه، وعظيم مواهبه، فاستغل الدعاة كل هذا الإعجاب وأخذوا ينشرون مذهبهم بين الناس.

ثم جاء عصر بني أمية وفيه وقعت المظالم علي العلويين، ونزلت بهم محن قاسية، أثارت كامن المحبة لهم، وحركت دفين الشفقة عليهم، ورأي الناس في علي وذريته شهداء هذا الظلم الأموي، فاتسع نطاق هذا المذهب الشيعي وكثر أنصاره، ويظهر لنا أن هذا الحب لعلي وأهل بيته، وتفضيلهم علي من سواهم ليس بالأمر الذي جد وحدث بعد عصر الصحابة، بل وجد من الصحابة من كان يحب عليا ويري أنه أفضل من سائر الصحابة، وأنه أولي بالخلافة من غيره، كعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله... وغيرهم كثير.

غير أن هذا الحب والتفضيل لم يمنع أصحابه من مبايعة الخلفاء الذين سبقوا عليا رضي الله عنه، لعلمهم أن الأمر شوري بينهم، وأن صلاح الإسلام والمسلمين لا بد له من شمل متحد وكلمة مجموعة، كما أن الأمر لم يصل بهم إلي القول بالمبدأ الذي تكاد تتفق عليه كلمة الشيعة، ويرونه قوام مذهبهم وعقيدتهم وهو: «أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلي نظر الأمة، ويعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلي الأمة، بل

---

(١) وقيل عند انتخاب الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ.

يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر، وأن عليا رضي الله عنه، هو الذي عينه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه» (١).

لم يكن الشيعة جميعا متفقين في المذهب، والعقيدة، بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلي فرق عدة، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلي عاملين قويين كان لهما كل الأثر تقريبا في تعدد فقرق الشيعة وتفرق مذاهبهم.

أولهما: اختلافهم في المبادئ والتعاليم فمنهم من تغالي في تشيعه وتطرف فيه إلي حد جعله يلقي علي الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم، ويرمي كل من خالف علياً وحزبه بالكفر. ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلي درجة الكفر.

وثانيهما: الاختلاف في تعيين الأئمة، وذلك أنهم اتفقوا جميعا علي إمامة علي رضي الله عنه، ثم علي إمامة ابنه الحسن من بعده، ثم علي إمامة الحسين من بعد أخيه، ولما قتل الحسين علي عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضي الله عنه:

ففريق يري أن الخلافة بعد قتل الحسين انتقلت إلي أخيه من أبيه، محمد بن علي، المعروف بابن الحنفية، فبايعوه بها.

وفريق ثان: يري حصر الإمامة في ولد علي من فاطمة، وقد أصبحت بعد قتل الحسين حقا لأولاد الحسن، لأنه أكبر إخوته فلا يؤثر بها غير أولاده، وهم ينتظرون كبرهم ليبايعوا أرشدهم.

وفريق ثالث: يري ما يراه الفريق الثاني من حصرها في ولد علي من فاطمة غاية الأمر أن يقول: أن الحسن قد تنازل عنها فسقط حق أولاده فيها، وبقيت الإمامة حقا لأولاد الحسين الذي قتل من أجلها فهم أولي بالانتظار.

بلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حدا كبيرا من الكثرة، منها من تغالي في تشيعه وتجاوز بمعتقداته حد العقل والإيمان، ومنها من اعتدل في تشيعه فلم تبالغ كما بالغ غيرها.

ولست بمستوعب كل هذه الفرق، ولكنني سأقتصر علي فرقتين هما: الزيدية والإمامية (الإثنا عشرية)، و (الإسماعيلية)، لأني لم أعثر علي مؤلفات في التفسير لغير هاتين الفرقتين من فرق الشيعة.

● **الزيدية**:

أما الزيدية.. فهم أتباع زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، طمحت نفسه

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٨.

إلي استرداد الخلافة، فخرج علي الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك، ولكن أتباعه خذلوه وتفرقوا عنه فقتل وصلب، ثم أحرق جسده، وقد ورد في سبب تفرق أصحابه عنه وخذلانهم له «أنه لما اشتد القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك، قال الذين بايعوه: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: أثني عليهما جدي علي، و قال فيهما حسنا، وإنما خروجي علي بني أمية، فإنهم قاتلوا جدي عليا، وقتلوا جدي حسينا، فخرجوا عليه ورفضوه، فسموا رافضة بذلك السبب» (١).

والزيدية أقرب فرق الشيعة إلي الجماعة الإسلامية، إذ أنها لم تغل في معتقداتها، ولم يكفر الأكثرون منها أصحاب رسول الله ﷺ، ولم ترفع الأئمة إلي مرتبة الإله أو إلي درجة النبيين.

● **قوام مذهب الزيدية:**

وقوام مذهب زيد وأتباعه إلي ما قبل طروء التغير عليه والتفرق بين أصحابه هو ما يأتي:

١ - أن الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم، وهذه الأوصاف هي: كونه فاطميا، ورعا، سخيا، يخرج داعيا الناس لنفسه.

٢ - أنه يجوز إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه بتوفر هذه الصفات فيه.

وبنوا علي هذا أنه لو وقع اختيار أولي الحل والعقد علي إمام تتوفر فيه هذه الصفات مع وجود من تتوفر فيه صحت إمامته، ولزمت بيعته، ولهذا قالوا بصحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما.

ولقد كان من مذهب الزيدية جواز خروج إمامين في قطرين مختلفين لا في قطر واحد، كما كان من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد في النار وهذا هو عين مذهب المعتزلة. ويظهر أن هذه العقيدة تسربت من المعتزلة إلي الزيدية فقالوا بها كما قالوا بكثير من مبادئهم، والسر في ذلك هو أن زيدا رحمه الله تتلمذ لواصل ابن عطاء، فأخذ عنه آراء الاعتزالية وقال بها (٢).

غير أن الزيدية لم يدوموا علي وحدتهم المذهبية زمنا طويلا، بل تفرقوا واختلفت عقائدهم. وقد ذكر لنا صاحب المواقف أنهم تفرقوا إلي ثلاق فرق، وذكر لكل فرقة خصائصها ومميزاتها وعقائدها (٣).

ولا نطيل بذكر ذلك. ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إليه في موضعه.

---

(١) التبصير في الدين ص١٨.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني: ٢ / ٢٠٨.
(٣) المواقف: ٢ / ١٠.

● **الإمامية :** (١)

أما الإمامية فهم القائلون بأن النبي ﷺ نص علي إمامة علي رضي الله عنه نصا ظاهرا، لا بطريق التعريض بالوصف كما يقول الزيدية، كما أنهم يحصرون الإمامة بعد علي في ولده من فاطمة رضي الله عنها.

وأصحاب هذا المذهب قد بالغوا في تشيعهم وتعدوا حدود العقل والشرع فكفروا الكثير من الصحابة، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعلي رضي الله عنه، فأوجبوا التبرؤ منهما، ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل، كالعلامة الطبرسي صاحب التفسير.

وقد اتفق الإمامية علي إمامة علي رضي الله عنه، ثم انتقلت الإمامة إلي ابنه الحسن بالوصية له من أبيه، ثم إلي أخيه الحسين من بعده، ثم إلي ابنه علي زين العابدين، ثم إلي ابنه محمد الباقر، ثم إلي ابنه جعفر الصادق، ثم اختلفوا بعد ذلك في سوق الإمامة، وانقسموا إلي فرق عدة أشهرها فرقتان الإمامية الإثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية.

● **الإمامية الإثنا عشرية :**

أما الإمامية الإثنا عشرية،فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلي ابنه موسي الكاظم، ثم إلي ابنه علي الرضا، ثم إلي ابنه محمد الجواد، ثم إلي ابنه علي الهادي، ثم إلي ابنه الحسن العسكري،ثم إلي ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويزعمون أنه دخل سردابا في دار أبيه بـ(سر من رأي) ولم يعد بعد، وأنه سيخرج في آخر الزمان، ليملأ الدنيا عدلا وأمنا، كما ملئت ظلما وخوفا.

وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة، فزعموا أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء. وقالوا: أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت علي الكفر، وغيرذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة.

● **أشهر تعاليم الإمامية الإثني عشرية :**

وأشهر تعاليم الإمامية الإثني عشرية أمور أربعة: العصمة، والمهدية والرجعة، والتقية.

أما العصمة: فيقصدون منها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم، ولا يجوز عليهم شئ من الخطأ والنسيان.

---

(١) الإمامية نسبة إلي «الإمام» لأنهم آكثر وا من الاهتمام به، وركزوا كثيرا في تعاليمهم حوله.

وأما المهدية: فيقصدون منها الإمام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أمنا وعدلا، بعد أن ملئت جورا وخوفا، وأول من قال بهذا هو كيسان مولي علي بن أبي طالب في محمد ابن الحنفية، ثم تسربت إلي طوائف الإمامية فكان لكل منها مهدي منتظر(١).

وأما الرجعة: فهي عقيدة لازمة لفكرة المهدية ومعناها: أنه بعد ظهور المهدي المنتظر، يرجع النبي ﷺ إلي الدنيا، ويرجع علي، والحسن، والحسين بل وكل الأئمة، كما يرجع خصومهم، كأبي بكر وعمر، فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومه، ثم يموتون جميعا، ثم يحييون يوم القيامة.

وأما التقية: فمعناها المداراة والمصانعة، وهي مبدأ أساسي عندهم، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس، فهي نظام سري يسيرون علي تعاليمه، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة.

هذه هي أهم تعاليم الإمامية الإثني عشرية، وهم يستدلون علي كل ما يقولون ويعتقدون بأدلة كثيرة، غير أنها لاتسلم لهم، ولا تثبت مدعاهم، ونحن نمسك عنها وعن ردها خوف الإطالة، وسيمر بك - إن شاء الله تعالي - شئ من ذلك.

● **الإمامية الإسماعيلية:**

وأما الإمامية الإسماعيلية فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلي ابنه إسماعيل، بالنص من أبيه علي ذلك، قالوا: وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة في عقبه، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلي ابنه محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين، وبعده تتابع أئمة مستورون إلي أن ظهر بالدعوة الإمام عبد الله المهدي رأس الفاطميين.

ثم إن هؤلاء الإمامية الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب، وبعض هذه الألقاب أسماء لبعض فرقهم، وهذه الألقاب هي ما يأتي:

١ - الإسماعيلية: لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق كما قلناه.

---

(١) وردت بعض الأحاديث في شأن المهدي، رواها الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم كقوله عليه الصلاة السلام: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك حتي يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي) ومثل قوله: (لو لم يبق إلا يوم، لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا) وقد وقع بين المسلمين خلاف في شأن المهدي هذا، فمنهم من يقول به، ومنهم من ينكره، ولكن لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية في تعيين المهدي ودعواهم أنه الإمام الثاني عشر الذي اختفي حيا وسيعود في آخر الزمان.

٢ – الباطنية: لقولهم بالإمام الباطن – أي المستور – أو لقولهم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، والمراد منه باطنه دون ظاهره.

٣ – القرامطة: لأن أولهم الذي دعا الناس إلي مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط[١].

٤– الحرمية: لإباحتهم المحرمات والمحارم.

٥ – السبعية: لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة: آدم ، ونوح وإبراهيم، وموسي ، وعيسي، ومحمد، ومحمد المهدي المنتظر سابع النطقاء وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته، ولابد في كل عصر من سبعة بهم يقتدي وبهم يهتدي.

٦ – البابكية أو الخرمية: لاتباع طائفة منهم بابك الخرمي الذي خرج بأذربيجان.

٧ – المحمرة : للبسهم الحمرة أيام بابك، أو لتسميتهم المخالفين لهم حميرا[٢].

هذا ولا يفوتنا أن نقول: إن هذه الطوائف من الشيعة قد باد معظمها، وأشهر ما بقي منها إلي اليوم ثلاث فرق، هي : الإمامية الإثنا عشرية، والإمامية الإسماعيلية (وهم المسمون بالباطنية)، والزيدية.

أما الإمامية الإثنا عشرية .. فينتشرون اليوم في بلاد إيران، وبلاد العراق كما يوجد منهم جماعة بالشام.

وأما الإسماعيلية.. فينتشرون في بلاد الهند، كما يوجدون في نواح أخري متفرقة وزعيمهم أغاخان الزعيم الهندي الإسماعيلي المعروف، وهو من نسل الحسن بن الصباح صاحب قلعة الموت، والحسن هذا من نسل علي بن أبي طالب[٣].

وأما الزيدية فيوجدون ببلاد اليمن.

إذن فالأجدر بنا أن نمسك عن موقف هذه الفرق البائدة من تفسير القرآن ما دامت قد بادت ولم يبق لها أثر، وما دمنا لم نقف لها علي شئ في التفسير أكثر من هذه النبذ المتفرقة التي وجدناها للبعض منهم وجمعناها من بطون الكتب المختلفة.

والذي يستحق عنايتنا وبحثنا بعد ذلك، هو تلك الفرق الثلاث التي لا تزال موجودة إلي اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها، وسنبدأ أولا بالإمامية الإثني عشرية، ثم بالإمامية الإسماعيلية، ثم بالزيدية.

---

(١) قرمط: قرية من قري واسط، أو نسبة لقرمطة في خطوه – وقيل في خطه، وقرمطة الخطي: تتابعها.

(٢) المواقف :٨/ ٣٨٨ – ٣٨٩.

(٣) ضحي الإسلام:٣/ ٢٢٥.

- **موقف الإمامية الإثني عشرية من تفسير القرآن الكريم:**

للإمامية الإثني عشرية معتقدات يدينون بها، وينفردون بها عمن عداهم من طوائف الشيعة، وهم حين يعتقدون هذه المعتقدات لابد لهم – ما داموا يقرون بالإسلام ويعترفون بالقرآن ولو بوجه ما – أن يقيموا هذه العقائد علي دعائم من نصوص القرآن الكريم، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل وقوة الدليل.

- **موقفهم من الأئمة وأثر ذلك في تفسيرهم:**

وإذا نحن استعرضنا هذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أئمتهم، فهم يلقون علي الأئمة نوعا من التقديس والتعظيم ويرون أن الأئمة (أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجة الله البالغة علي من فوق الأرض ومن تحت الثري) ويرون أن الأمامة (زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين)[1].

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يحكم عليه، وفوق الناس في طينته وتصرفاته، فإنا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالي كتلك الصلة التي للأنبياء والرسل وأنه مشرع ومنفذ، وأن الله قد فوض النبي والإمام في الدين ويروون عن الصادق أنه قال: (إن الله خلق نبيه علي أحسن أدب وأرشد عقل، ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم أثني الله عليه فقال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم: ٤].

ثم بعد ذلك فوض إليه دينه، فوض إليه التشريع فقال: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** ﴾ [النساء: ٨٠]، الله فوض دينه إلي نبيه، ثم إن نبي الله فوض كل ذلك إلي علي وأولاده سلمتم وجحده الناس، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله، وما جعل الله لأحد خيرا في خلاف أمرنا)[2].

وحيث إن الله تعالي خلق النبي وكل إمام بعده علي أحسن أدب وأرشد عقل، فلا يختار النبي ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب، ولا يخطر بقلب النبي ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يناقض مصلحة الأمة. فيفوض الله تعيين بعض الأمور إلي رأي النبي ورأي الإمام مثل الزيادة في عدد ركعات الفرض ومثل تعيين النوافل من الصلاة والصيام، وذلك إظهارا لكرامة النبي والإمام، ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحي، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام وله في الشرع شواهد: حرم الله الخمر، وحرم النبي كل مسكر فأجازه الله، وفرض الله الفرائض ولم يذكر الجد، فجعل النبي للجد السدس وكان النبي يبشر ويعطي الجنة علي الله ويجيزه الله.

---

(١) ضحي الإسلام: ٣ / ٢١٥ – نقلا عن أصول الكافي ص٩٣. (٢) الوشيعة ص٨٧.

وأيضا فوض الله النبي والأئمة من بعده أمور الخلق، وأمور الإدارة والسياسة من التأديب والتكميل والتعليم، وواجب علي الناس طاعتهم في كل ذلك، قالوا: وهذا حق ثابت دلت الأخبار عليه.

وأيضا فوضهم الله تعالي في البيان، بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات القرآن وتأويلها، ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا، ولهم فوق ذلك البيان كيفما أرادوا وعلي أي وجه شاءوا تقية منهم وعلي حسب الأحوال والمصلحة. والتفويض بهذا المعني يدعون أنه حق ثابت لهم، والأخبار ناطقة به وشاهدة عليه. يقول صاحب (الكافي): «سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة في كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب، أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة. واختلاف الأجوبة في مسألة واحدة كان يقع إما علي سبيل التقية وإما علي سبيل التفويض» [١].

وهناك نوع آخر من التفويض يثبتونه للنبي والأئمة، ذلك هو أن النبي أو الإمام له أن يحكم بظاهر الشريعة، وله أن يترك الظاهر ويحكم بما يراه وما يلهمه الله من الواقع وخالص الحق في كل واقعة، كما كان لصاحب موسي في قصة الكهف، وكما وقع لذي القرنين [٢].

ثم كان من توابع هذه العقيدة التي يعتقدونها في أئمتهم أن قالوا بعصمة الأئمة، وقالوا بالمهدي المنتظر، وقالوا بالرجعة، وقالوا بالتقية، وهذه كلها عقائد رسخت في أذهانهم وتمكنت من عقولهم، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلي القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقا لهواهم، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم العقيدة ويزينه لهم الهوي.. وهذا تفسير بالرأي المذموم، تفسير من اعتقد أولا، ثم فسر ثانيا بعد أن اعتقد.

● تأثر الإمامية الاثنا عشرية بآراء المعتزلة وأثر ذلك في تفسيرهم:

هذا وإن الإمامية الإثني عشرية لهم في نصوص القرآن التي تتصل بمسائل علم الكلام نظرة تتفق إلي حد كبير مع نظرة المعتزلة إلي هذه النصوص نفسها ولم يكن بينهم وبين المعتزلة خلاف إلا في مسائل قليلة، ويظهر أن هذا الارتباط الوثيق الذي كان بين الفريقين راجع إلي تتلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلمائهم لبعض شيوخ المعتزلة، كما يظهر لنا جليا أن هذا الارتباط في التفكير شئ قديم غير جديد، فالحسن العسكري، والشريف المرتضي، وأبو علي الطبرسي وغيرهم من قدماء الشيعة، ينظرون هذه النظرة الاعتزالية في تفاسيرهم التي بأيدينا، والتي تعرضنا لبعضها وسنعرض لبعضها آخر قريبا، بل إننا نجد الشريف المرتضي في أماليه يحاول محاولة جدية أن

(١) الوشيعة ص ٨٩.

(٢) الوشيعة ص ٨٩.

يجعل عليا رضي الله عنه معتزليا أو رأس المعتزلة علي الأصح، وقد تقدمت لنا مقالته التي عرضنا لها عند الكلام عن أماليه [١]. وليس من شك في أن هذه النظرات الاعتزالية كان لها أثر كبير في تفسيرهم، وسنقف علي شئ من ذلك إن شاء الله تعالي.

● **تأثرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية في تفاسيرهم:**

ثم إن الشيعة لهم في الفقه وأصوله آراء خالفوا بها من سواهم، فمثلا نجدهم يذكرون أن أدلة الفقه أربعة وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، ودليل العقل.

أما الكتاب فلهم رأي فيه سنعرض له فيما بعد.

وأما السنة فهم غير أمناء عليها ولا ملتزمين ما صح منها، وسنعرض لها فيما بعد أيضا.

وأما الإجماع فليس حجة بنفسه،وإنما يكون حجة إذا دخل الإمام المعصوم في المجمعين، أو كان الإجماع كاشفا عن رأيه في المسألة، أو كان الإجماع عن دليل معتبر فهو في الحقيقة داخل في الكتاب أو السنة.

وأما دليل العقل عندهم فلا يدخل فيه القياس ولا الاستحسان، ولا المصالح المرسلة، لأن ذلك كله ليس حجة عندهم [٢].

وفي الفقه لهم مخالفات يشذون بها، فمثلا تراهم يقولون: إن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح دون الغسل، ولا يجوزون المسح علي الخفين، وجوزوا نكاح المتعة، وجوزوا أن تورث الأنبياء ،ولهم مخالفات في نظام الإرث كإنكارهم للعول مثلا، ولهم مخالفات كثيرة غير ذلك في مسائل الاجتهاد. لهذا كان طبيعيا أن يقف الإمامية الإثنا عشرية من الآيات التي تتعلق بالفقه وأصوله موقفا فيه تعصب وتعسف، حتي يستطيعوا أن يخضعوا هذه النصوص ويجعلوها أدلة لآرائهم

---

(١) يري بعض العلماء أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله – والحسن – ابنا محمد ابن الحنفية – وعن أبي هاشم أخذ واصل بن عطاء (مقدمة تبيين كذب المفتري ص ١٠، ١١) ويقول أبو الحسن الطرائفي الشافعي (المتوفي سنة ٣٧٧هـ) في كتابه (رد أهل الأهواء والبدع): عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم له الأمر، اعتزل جماعة من أصحاب علي الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة) (انتهي من هامش تبيين كذب المفتري ص ١٠).

(٢) انظر: أعيان الشيعة: ١/ ٤٧٧، وقد مثل لدليل العقل بالبراءة من التكليف بواجب لم يرد فيه نص. (انظر ص ٢٣٦ من كتاب (أصول الاستنباط) للسيد علي تقي الحيدري، طبع شركة النشر والطباعة العراقية سنة ١٩٥٠).

ومذاهبهم، كما كان طبيعيا، أن يتأولوا ما يعارضهم من الآيات والأحاديث، بل ووجدناهم أحيانا يزيدون في القرآن ما ليس منه ويدعون أنه قراءة أهل البيت، وهذا إمعان منهم في اللجاج، وإغراق في المخالفة والشذوذ.

● **احتيالهم علي تركيز عقائدهم وترويجها :**

ويظهر لنا أن الإمامية الإثني عشرية لم يجدوا في القرآن كل ما يساعدهم علي أغراضهم وميولهم، فراحوا - أولا - يدعون أن القرآن له ظاهر وباطن بل وبواطن كثيرة، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة، سواء في ذلك ما يتعلق بالظواهر وما يتعلق بالبواطن، وحجروا علي العقول فمنعوا الناس من القول في القرآن بغير سماع من أئمتهم.

وراحوا - ثانيا - يدعون أن القرآن وارد كله أو جله في أئمتهم ومواليهم وفي أعدائهم ومخالفيهم كذلك.

وراحوا - ثالثا - يدعون أن القرآن حرف وبدل عما كان عليه زمن النبي ﷺ وكل هذا لا أعتقد إلا أنه من قبيل الاحتيال علي تركيز عقائدهم وإيهام الناس أنها مستقاة من القرآن الذي هو المنبع الأساسي والأول للدين.

وأعجب من هذا أنهم أخذوا يموهون علي الناس، ويغرون العامة بما وضعوه من أحاديث علي رسول الله ﷺ وعلي أهل بيته، وطعنوا علي الصحابة إلا نفرا قليلا منهم، ورموهم بكل نقيصة في الدين، ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بخناقهم الأحاديث الصحيحة التي يرويها هؤلاء الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ويحسن بنا ألا نمر سراعا علي هذه النقاط الأربعة بالذات، بل علينا أن نقف أمامها وقفة طويلة ودقيقة حتي نستطيع أن نقف علي مدي هذه الأوهام والدعاوي التي كان لها أكبر الأثر في اتجاه التفسير عند الإمامية الإثني عشرية، فنقول وبالله التوفيق:

١ - ظاهر القرآن وباطنه

يقول الإمامية الإثنا عشرية : إن القرآن له ظاهر وباطن، وهذه حقيقة نقرهم عليها ولا نعارضهم فيها بعد ما صح لدينا من الأحاديث التي تقرر هذا المبدأ في التفسير، غاية الأمر أن هؤلاء الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد، بل تجاوزوا إلي القول بأن للقرآن سبعة وسبعين بطنا، ولم يقتصروا علي ذلك بل تمادوا وادعوا أن الله تعالي جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلي التوحيد والنبوة والرسالة، وجعل باطنه في الدعوي إلي الإمامة والولاية وما يتعلق بهما.

● **حرصهم علي التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه :**

ولقد كان من أثر هذا الرأي في القرآن، أن اشتد حرص هؤلاء القائلين به علي أن يعقدوا صلة بين المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة للقرآن، ويعملوا بكل ما في وسعهم

وطاقاتهم علي إيجاد مناسبة بينهما حتي يقربوا هذا المبدأ من عقول الناس ويجعلوه أمرا سائغا مقبولا . ومن أمثلة هذا التوفيق والربط بين ظاهر القرآن وباطنه قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [محمد : ١٥] ، فهم يقرون أن هذا الظاهر مراد الله تعالي، ومراد له مع هذا الظاهر معني آخر باطني هو علوم الأئمة عليهم السلام، ويقولون : إن الجامع بين المعنيين هو الانتفاع بكل منهما وبمثل هذا يوفقون بين المعاني الظاهرة والباطنة، حتي لا يكون مستبعدا إرادة الله لمعني خاص بحسب ما يدل عليه ظاهر اللفظ، وإرادته لمعني آخر بحسب ما يدل عليه باطن الأمر.

● **حملهم الناس علي التسليم بما يدعون من المعاني الباطنة للقرآن :**

وكأني بالإمامية الإثني عشرية بعد أن ربطوا بين ظاهر القرآن وباطنه وجمعوا بينهما بجامع التناسب والتشابه . . كأني بهم يعتقدون أن مثل هذا الربط لا يكفي في حمل الناس علي أن يذهبوا مذهبهم هذا، فحاولوا أن يحملوهم عليه من ناحية العقيدة والإرهاب الديني، الذي يشبه الإرهاب الكنسي للعامة في العصور المظلمة، من حمل الناس علي ما يوحون به إليهم بعد أن حظروا عليهم إعمال العقل وحالوا بينهم وبين حريتهم الفكرية، فقالوا إن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه علي السواء، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، ولابد أن يكون ذلك علي سبيل التفصيل إن وصل إليه علم ذلك مفصلا عن آل البيت، ويكفي فيه الإجمال إن لم يصل إليه التفصيل، قالوا: ولا يجوز أن ينكر الباطن بحال، وعليه أن يسلم بكل ما وصل إليه من ذلك عن طريق آل البيت وإن لم يفهم معناه،، ولو أن إنسانا آمن بالظاهر وأنكر الباطن لكفر بذلك ، كما لو أنكر الظاهر وآمن بالباطن أو الظاهر والباطن جميعا.

وحرصا منهم علي تعطيل عقول الناس ومنعهم من النظر الحر في نصوص القرآن الكريم، قالوا: إن جميع معاني القرآن، سواء منها ما يتعلق بالظاهر وما يتعلق بالباطن، اختص بها النبي ﷺ والأئمة من بعده، فهم الذين عندهم علم الكتاب كله، لأن القرآن نزل في بيتهم (وأهل البيت أدري بما في البيت) أما من عداهم من الناس فلا يرون أدني شبهة في قصور علمهم، وعدم إدراكه لكثير من معاني القرآن الظاهرة، فضلا عن معانية الباطنة، قالوا: ولهذا لا يجوز لإنسان أن يقول في القرآن إلا بما وصل إليه من طريقهم، غاية الأمر أنهم جوزوا لمن أخلص حبه وانقياده لله ولرسوله ولأهل البيت واستمد علومه من أهل البيت حتي أنس من نفسه العلم والمعرفة . . جوزوا لمثل هذا أن يستنبط من القرآن ما يتيسر له، لأنه بحبه لآل البيت وأخذه عنهم صار كأنه منهم وقد قيل: « سلمان منا آل البيت » .

● أثر التفسير الباطني في تلاعبهم بنصوص القرآن:

ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطني للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطربا بالغا ومجالا رحبا، يتسع لكل ما يشاؤه الهوي وتزينه لهم العقيدة، فأخذوا يتصرفون في القرآن كما يحبون، وعلي أي وجه يشتهون، بعد ما ظنوا أن العامة قد انخدعت بأوهامهم وسلموا بأفكارهم ومبادئهم.

فقالوا - مثلا - إن من لطف الله تعالي أن يشير بواسطة المعاني الباطنة لبعض الآيات إلي ما سيحدث في المستقبل من حوادث، ويعدون هذا من وجوه إعجازه، ثم يفرعون علي هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوي، وما يزينه في أعينهم داعي العقيدة وسلطانها، فيقولون مثلا في قوله تعالي: ﴿ **لتركبن طبقا عن طبق** ﴾ [الانشقاق: ١٩]، إنه إشارة إلي أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

كذلك مكن لهم القول بباطن القرآن من أن يقولوا: إن اللفظ الذي يراد به العموم ظاهرا كثيرا ما يراد به الخصوص بحسب المعني الباطن فمثلا لفظ (الكافرين) الذي يراد به العموم، يقولون: هو في الباطن مخصوص بمن كفر بولاية علي.

كما مكنهم أيضا من أن يصرفوا الخطاب الذي هو موجه في الظاهر إلي الأمم السابقة أو إلي أفراد منها، إلي من يصدق عليه الخطاب في نظرهم من هذه الأمة بحسب الباطن، فمثلا قوله تعالي: ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ [الأعراف: ١٥٩] يقولون فيه : قوم موسي في الباطن هم أهل الإسلام.

ولقد مكنهم أيضا من أن يتركوا أحيانا المعني الظاهر ويقولوا بالباطن وحده، كما في قوله تعالي: ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾ [الإسراء: ٧٤ - ٧٥]، فالظاهر غير مراد عندهم، ويقولون: عني بذلك غير النبي، لأن مثل هذا لا يليق أن يكون موجها للنبي ﷺ، وإنما هو معني به من قد مضي، أو هو من باب «إياك عني واسمعي يا جارة» كذلك مكنهم هذا المبدأ من إرجاع الضمير إلي ما لم يسبق له ذكر كما في قوله تعالي: ﴿ **قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله** ﴾ [يونس :١٥] حيث يفسرون: (أو بدله) بمعني أو بدل عليا. ومعلوم أن عليا لم يسبق له ذكر، ولم يكن الكلام مسوقا في شأن خلافته وولايته.

ومما ساغ لهم أن يقولوه بعد تقريرهم لمبدأ القول بالباطن: أن تأويل الآيات القرآنية لا يجري علي أهل زمان واحد، بل عندهم أن كل فقرة من فقرات القرآن لها تأويل يجري في كل آن، وعلي أهل كل زمان، فمعاني القرآن علي هذا متجددة حسب تجدد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث. بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك فقالوا: إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة، وقالوا: إن الآية الواحدة يجوز أن

يكون أولها في شئ وآخرها في شئ آخر. ولا شك أن باب التأويل الباطني باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل منه إلي كل ما يدور بخلده ويجيش بخاطره.

وليس لقائل أن يقول: إن رسول الله ﷺ صرح بأن للقرآن باطنا، وإن المفسرين جميعا يعترفون بذلك ويقولون به، فكيف توجه اللوم إلي الإمامية وحدهم؟ ليس لقائل أن يقول ذلك لأن الباطن الذي أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين، هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني، ويمكن أن يكون من مدلولاته. أما الباطن الذي يقول به الشيعة فشئ يتفق مع أذواقهم ومشاربهم، وليس في اللفظ القرآني الكريم ما يدل عليه ولو بالإشارة.

● **مخلصهم من تناقض أقوالهم في التفسير:**

ثم إن الإمامية الإثني عشرية، أحسوا بخطر موقفهم وتحرجه عندما جوزوا أن يكون للآية الواحدة أكثر من تفسير واحد مع التناقض والاختلاف بين هذه التفاسير. فأخذوا يموهون علي العامة ويضللونهم فقرروامن المبادئ ما أوجبوا الاعتقاد به أولا علي الناس ليصلوا بعد ذلك إلي مخلص يتخلصون به من هذا المأزق الحرج، فكان من هذه المبادئ التي قرروها وأوجبوا الاعتقاد بها ما يأتي:

أولا: أن الإمام مفوض من قبل الله في تفسير القرآن.

ثانيا: أنه مفوض في سياسة الأمة.

ثالثا: التقية.

وكل واحد من هذه الثلاثة يمكن أن يكون مخلصا للخروج من هذا التناقض الذي وقع في تفاسيرهم التي يروونها عن أئمتهم، فكون الإمام مفوضا من قبل الله في تفسير القرآن مخلص لهم، لأن باب التفويض واسع. وكونه مفوضا في سياسة الأمة مخلص أيضا، لأن الإمام أعلم بالتنزيل والتأويل، وأعلم بما فيه صلاح السائل والسامع، فهو يجيب كل إنسان علي حسب ما يري فيه صلاح حاله، والقول بالتقية مخلص أوسع من سابقيه، لأن الإمام له أن يسكت ولا يجيب. تقية منه «قيل عن الباقر: أن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار، فقال الباقر: فهلك إذن مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا، فليذهب الحسن يمينا وشمالا، لا يوجد العلم إلا ههنا.. وأشار إلي صدره» (١).

وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال وما يري فيه المصلحة.. تقية منه أيضا، وبنوا علي هذا «أن الإمام إن قال قولا علي سبيل التقية فللشيعي أن يأخذ به ويعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعي إلي أن قول الإمام كان علي سبيل التقية» (٢).

---

(١) الوشيعة ص٨٠.   (٢) المرجع السابق ص ٨٢.

ونحن لا نظن أن الأئمة كانوا يلجأون إلي هذه التقية.. تقية الخداع في الأخبار، والنفاق في الأحكام، وإنما هي تمحلات يتمحلونها، ليخلصوا بها أنفسهم من هذا الارتباك الذي وقعوا فيه.

٢ - موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم

ثم إن الإمامية الإثني عشرية،قرروا أن الإقرار بإمامة علي ومن بعده من الأئمة والتزام حبهم وموالاتهم ، وبغض مخالفيهم وأعدائهم، أصل من أصول الإيمان، بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك، مع الإقرار بباقي الأصول، كما قرروا وجوب طاعة الأئمة، واعتقاد أفضليتهم علي الخلائق أجمعين.

قرر الإمامية هذا كله، ثم أخذوا ينزلون نصوص القرآن علي ما قرروه، بل وزادوا علي ذلك فقالوا: إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومن والاهم، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفيهم وأعدائهم، بل ويدعون ما هو أكثر من ذلك فيقولون: إن جل القرآن بل كله، أنزل في الإرشاد إليهم والإعلان بهم، والأمر بموافقتهم، والنهي عن مخالفتهم.

ولقد كان من أثر زعمهم أن القرآن جله أو كله وارد في أئمتهم ومن والاهم وفي أعدائهم ومن وافقهم، أن قالوا: إن ما نسبه الله إلي نفسه بصيغة الجمع أو ضميره سره أن أراه إدخال النبي ﷺ والأئمة معه. قالوا: وهو مجاز شائع معروف، بل وبالغوا فقالوا: إن الأئمة هم المقصودون بالذات أحيانا كما في قوله تعالي:﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [البقرة:٥٧]، حيث رووا عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال فيها: إن الله أعظم وأعز وأجل من أن يظلم ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول:﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [المائدة:٥٥] بمعني : الأئمة منا (١).

وأعجب من هذا، أنهم جعلوا لفظ الجلالة، والإله والرب، مرادا به الإمام وكذا الضمائر الراجعة إليه سبحانه، وتأولوا ما أضافه الله إلي نفسه من الإطاعة والرضا والغني والفقر مثلا، بما يتعلق بالإمام كإطاعته، ورضاه وغناه وفقره ..إلخ، ويعدون ذلك من قبيل المجاز الشائع المعروف. ولكن لا شيوع لمثل هذا المجاز ولا معرفة لنا به إذ المجاز المتعارف عليه بين العلماء هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعني الأصلي، وأين العلاقة هنا؟ وإذا تكلفوا العلاقة فأين القرينة الصارفة للفظ عن حقيقته؟ ثم.. لم هذا التكلف والعدول إلي المجاز ، وقد تقرر أنه لا يعدل إلي المجاز إلا عند تعذر الحقيقة؟

(١) مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٣٩.

٣ - تحريف القرآن وتبديله

وأحسب أن الإمامية الإثني عشرية، عز عليهم أن يكون القرآن غير صحيح في عقيدتهم بالنسبة للأئمة وموافقيهم، وبالنسبة لأعدائهم ومخالفيهم، وكأني بهم وقد تساءلوا فيما بينهم فقالوا: إذا كان القرآن جله واردا في شأن الأئمة وشيعتهم، وفي شأن أعدائهم ومخالفيهم، فلم لم يأت القرآن بذلك صريحا في أنه المقصود أولا وبالذات؟ ولم اكتفي بالإشارة الباطنة فقط؟.. كأني بهم بعد هذا التساؤل، وبعد هذا الاعتراض الذي أخذ بخناقهم، راحوا يتلمسون للتخلص منه كل سبيل، فلم يجدوا أسهل من القول بتحريف القرآن وتبديله، فقالوا: إن القرآن الذي جمعه علي عليه السلام، وتوارثه الأئمة من بعده، هو القرآن الصحيح الذي لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فمحرف ومبدل، حذف منه كل ما ورد صريحا في فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحا في مثالب أعدائهم ومخالفيهم وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة، ولهم في ذلك روايات كثيرة يروونها عن آل البيت، وهم منها براء.

يروي الكافي عن الصادق: أن القرآن الذي نزل به جبريل علي محمد - ﷺ - سبعة عشر ألف آية، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية، والبواقي مخزونة عندأهل البيت فيما جمعه علي [١].

ويقولون: إن سورة (لم يكن) كانت مشتملة علي اسم سبعين رجلا من قريش بأنسابهم وآبائهم، وإن سورة (الأحزاب) كانت مثل سورة (الأنعام) أسقطوا منها فضائل أهل البيت. وإن سورة (الولاية) أسقطت بتمامها وغير ذلك من خرافاتهم.

وأخف ما لهم في هذا الموضوع هو (أن جميع ما في المصحف كلام الله إلا أنه بعض ما نزل والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شئ وإذا قام القائم يقرؤه الناس كما أنزله الله علي ما جمعه أمير المؤمنين علي) [٢].

ولقد اصطدم مدعو التحريف والتبديل، بنصوص من القرآن صريحة في هدم مدعاهم هذا، فمن تلك النصوص قوله تعالي: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر:٩]، ولكن سرعان ما تخلصوا منها بالتأويل فقالوا: ﴿ **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾.. أي عند الأئمة، وبمثل هذا التأويل يتخلصون من باقي النصوص المعارضة لهم.

واصطدموا أيضا بأمرين آخرين لهما عظيم الخطر علي عقائدهم ومبادئهم.

أولهما: كيف تعتمدون في تعاليمكم ومعتقداتكم علي هذا القرآن الذي بأيدينا وقد جزمتم بوقوع التحريف والتبديل فيه؟

---

(١) الوشيعة ص ٢٣. (٢) المرجع السابق ص ٢٧.

ثانيهما: كيف توجبون على الناس أن يعترفوا بفضائل آل البيت ويتبرأوا من أعدائهم ومخالفيهم، والحجة غير قائمة عليهم بعد أن حذف كل ذلك من القرآن؟

وقد أجابوا عن الأول: بأن التحريف إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال، كحذف اسم علي، وآل محمد، وأسماء المنافقين.

وأجابوا عن الثاني :بأن الله تعالي علم ما سيكون من وقوع التحريف والتبديل في القرآن ، فلم يكتف بما جاء صريحا في فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم، بل أشار إلي ذلك ودل عليه بحسب بطون القرآن وتأويله، وهذا قد سلم من التحريف والتبديل قطعا، فبقيت الحجة قائمة علي الناس، وإن بدلوا الظاهر وحرفوه.

والحق أن الشيعة هم الذين حرفوا وبدلوا فكثيرا ما يزيدون في في القرآن ما ليس منه، ويدعون أنه قراءة أهل البيت، فمثلا نراهم عند قوله تعالي: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ [المائدة:٦٧]، يزيدون: (في شأن علي)، وهي زيادة لم ترد إلا من طريقهم، وهي طريق مطعون فيها.

وهم الذين حرفوا القرآن أيضا حيث تأولوه علي غير ما أنزل الله(قيل للصادق: ألم يكن علي قويا في دين الله؟ قال: بلي .قيل: فكيف ظهر عليه القوم ولم يدفعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال الصادق: آية في كتاب الله منعته. قيل: أي آية ؟ قال: ﴿ **لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [الفتح:٢٥].. كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، ولم يكن علي يقتل الآباء حتي تخرج الودائع، فلما خرجت ظهر علي علي من ظهر فقتلهم [١].

وروي العياشي عن الباقر أنه قال: لما قال النبي ﷺ :(اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام) أنزل الله: ﴿ **وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا** ﴾ [الكهف:٥١] [٢].

وتقول أصول الكافي في قوله تعالي: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا** ﴾ [النساء:١٣٧]: إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان ،آمنوا بالنبي أولا ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي. ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة [٣].

هذه أمثلة نذكرها ونضعها بين يدي القارئ الكريم ليحكم بنفسه حكما صادقا :أن هؤلاء الشيعة، الذين يدعون التحريف والتبديل للقرآن، هم أنفسهم المحرفون لكتاب

(١) الوشيعة ص ٦٥. (٢) الوشيعة ص ٦٤- والآية من سورة الكهف:٥١.

(٣) الوشيعة ص ٦٥ نقلا عن أصول الكافي:٣ / ٣٢٥.

الله، المبدلون فيه، بصرفهم ألفاظ القرآن إلي غير مدلولاتها وتقولهم علي الله بالهوي والتشهي.

٤ – موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة

ولقد رأي الإمامية الإثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وفي تلك الأحاديث وهذه الآثار ما يخالف تعاليمهم مخالفة صريحة، لذا كان بدهيا أن يتخلص القوم من كل هذه الروايات، إمابطريق ردها، وإما بطريق تأويلها، والرد عندهم سهل ميسور، ذلك لأن الرواية إما أن تكون قولا لصحابي، وإما أن تكون قولا لرسول الله ﷺ عن طريق صحابي، وهم يجرحون معظم الصحابة، بل ويكفرونهم لمبايعتهم أبا بكر أولا، ثم عمر من بعده، ثم عثمان من بعدهما.. وأما التأويل فباب واسع.. وهم أهله وأربابه.

فمثلا نجدهم يردون الأحاديث والآثار التي ثبتت في تحريم نكاح المتعة ونسخ حله، كما نجدهم يردون أحاديث المسح علي الخفين ويقولون: إنها من رواية المغيرة بن شعبة رأس المنافقين. ثم نجدهم يسلمون صحة الرواية جدلا ولكنهم يتأولونها فيقولون: إن الخف الذي كان يلبسه النبي ﷺ كان مشقوقا من أعلي، فكان يمسح علي ظاهر قدمه من هذا الشق.. وظاهر أن هذا تأويل بارد متكلف.

فإذا كان هؤلاء لا يقبلون أقوال الصحابة، ولا يثقون بروايتهم عن رسول الله ﷺ، إذن فمن يقبلون قوله؟ ومن يثقون بروايته.

الذي عليه الشيعة إلي اليوم، أنهم لا يأخذون الحديث إلا ممن كان شيعيا ولايقبلون تفسيرا إلا ممن كان شيعيا، ولا يثقون بشئ مطلقا إلا إذا وصل لهم من طريق شيعي!! وبهذا حصروا أنفسهم في دائرة خاصة، حتي كأنهم هم المسلمون وحدهم، فإن عاشوا وسط السنيين فباطنهم لأنفسهم، وظاهرهم للتقية.

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد – حد الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم – بل وجدنا الرؤساء منّ الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره،قد استغلوا أفكار الجمهور الساذجة، وقلوبهم الطيبة الطاهرة، وحبهم لآل بيت رسول الله ﷺ، فراحوا يضعون الأحاديث علي رسول الله ﷺ وعلي آل بيته، ويضمنونها ما يرضي ميولهم المذهبية، وأغراضهم السيئة الدنيئة، ولم يفتهم أن يحكموا أسانيد هذه الشيعة لأنهم وجدوها مؤيدة لدعواهم.

ويعجبني هنا ما ذكره أبو المظفر الإسفرائيني في كتابه (التبصير في الدين) وهو : أن الروافض « لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف، ويصنف لكل فريق، قالت له الروافض : صنف لنا كتابا، فقال لهم : لستُ أدري لكم شبهة حتي أرتبها وأتصرف فيها،، فقالوا له : إذن دلنا علي شئ نتمسك به، فقال : لا أري لكم وجها إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئا تزعمونه، تقولون : إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سببا تستندون إليه غير هذا الكلام .. فتمسكوا بحمقهم وغبارتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، فكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة، نسبوها إلي ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزه ومن مقالتهم في الدارين برئ » (١) .

* * *

(١) التبصير في الدين ص ٢٦، وانظر التفسير والمفسرون : ٢ / ٣ - ١٠، ٢٠ - ٣٦ .

الإمامية الإسماعيلية (الباطنية) وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

قلنا إن الإسماعيلية من الشيعة الإمامية تنتسب إلي إسماعيل بن جعفر الصادق، وقلنا: إنهم يلقبون بالباطنية أيضا لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره أو لقولهم بالإمام الباطن المستور.

والحق أن هذه الطائفة لا يمكن أن تكون داخلة في عداد طوائف المسلمين وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر وأبصروا عزة المسلمين فتية لا تغلب ولا تكسر، فاشتعلت بين جوانحهم نار الحقد علي الإسلام والمسلمين، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلي الغلب علي المسلمين بقوة الحديد والنار، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار، فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلي مآربهم وأهوائهم، ليطفئوا نور الله بأفواههم، وخفي علي هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

● **مؤسسو هذه الطائفة:**

ظهرت بوادر هذه الفتنة، ونبتت نواة هذه الطائفة: زمن المأمون، وبيد جماعة جمع بينهم سجن العراق، هم: عبد الله بن ميمون القداح، وكان مولي جعفر بن محمد الصادق، ومحمد بن الحسين المعروف بذيذان، وجماعة كانوا يدعون (الجهاريجة)[١].

اجتمع هؤلاء النفر، فوضعوا مذهب الباطنية وأسسوا قواعده، فلما خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم، ثم استفحل أمرها، واستطار خطرها إلي كثير من بلاد المسلمين. وما زالت لها بقية إلي يومنا هذا بين كثير ممن يدعون الإسلام[٢].

● **احتيالهم علي الوصول إلي أغراضهم:**

رأي المؤسسون لمبادئ الباطنية أنه لا طاقة لهم بالوقوف في وجه المسلمين صراحة وجهارا، فاحتالوا – كما قلنا – علي الوصول إلي مآربهم بشتي الحيل فاندسوا بين المسلمين باسم الحدب علي الإسلام، وتلفعوا بالتشيع والموالاة لأهل البيت، وتظاهروا بالورع الكاذب، وجعلوا ذلك كله ستارا لما يريدون أن يبذروه بين المسلمين من بذور الفساد والاضطراب في العقيدة والسياسة.

ومن المحزن أن يدعي هؤلاء الملاحدة الانتماء إلي أهل بيت النبوة، ويصلون أنسابهم

---

(١) أي العلماء الأربعة. (٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٦، والتبصير في الدين ص ٨٣.

بأنسابهم عن طريق آباء وائمة مستورين، فيلقي هذا الادعاء رواجا وقبولا من أناس ضعفاء أغمار، غرهم التباكي علي آل البيت والتحزن عليهم، فتحركت أحقاد دفينة، وثارت فتن دامية بين المسلمين كان لها أثرها وخطرها.

أسس هؤلاء الباطنية الجمعيات السرية لنشر مذهبهم وهدم مذهب المسلمين ورسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر والخديعة، فجعلوا هدفهم الأول: الاحتيال علي الطغام بتأويل الشرائع إلي ما يعود إلي قواعدهم من الإباحة والإلحاد، وتدرجوا في وصولهم إلي غرضهم هذا بجعلهم الدعوة علي مراتب.

● **مراتب الدعوة عند الباطنية:**

أولا: الذوق: وهو تفرس حال المدعو، هل هو قابل للدعوة أم لا؟ ولذلك منعوا من إلقاء البذر في السبخة. أي دعوة من ليس قابلا لها، ومنعوا التكلم في بيت فيه سراج.. أي في موضع فيه فقيه أو متعلم.

ثانيا – التأسيس: باستمالة كل أحد من المدعوين بما يميل إليه بهواه وطبعه، من زهد، وخلاعة، وغيرهما، فإن كان يميل إلي زهد زينه في عينه وقبح نقيضه، وإن كان يميل إلي الخلاعة زينها وقبح نقيضها، ومن رآه الداعي مائلا إلي أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال: لهما حظ في تأويل الشريعة، ولهذا استصحب النبي أبا بكر إلي الغار، ثم إلي المدينة، وأفضي إليه في الغار تأويل الشريعة.. وهكذا حتي يحصل له الأنس به.

ثالثا – التشكيك في أصول الدين وأركان الشريعة: كان يقول للمدعو: ما معني الحروف المقطعة في أوائل السور؟ ولم تقضي الحائض الصوم دون الصلاة؟ ولم يجب الغسل من المني دون البول؟ ولم اختلفت الصلوات في عدد ركعاتها فكان بعضها ركعتين، وبعضها ثلاثا، وبعضها أربعا؟..

وحيث يشككون بمثل هذا فلا يجيبون ليتعلق قلب من يشككونه بالرجوع إليهم والأخذ عنهم.

رابعا: الرابط: وهو أمران (أحدهما): أخذ الميثاق علي الشخص بأن لا يفشي لهم سرا، ويستدلون علي ذلك بقوله تعالي: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿ **وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا** ﴾ [النحل: ٩١]، (وثانيهما): حوالته علي الإمام في حل ما أشكل عليه من الأمور التي ألقيت إليه، فإنها لا تعلم إلا من قبل الإمام

خامسها – التدليس: وهو دعوي موافقة أكابر الدين والدنيا ليزداد الإقبال علي مذهبهم.

سادسا – التأسيس : وهو تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع تعاليمهم منه موقع القبول من نفسه.

سابعا– الخلع: وهو الطمأنينة إلي إسقاط الأعمال البدنية.

ثامنها – السلخ: وهو سلخ المدعو من العقائد الإسلامية، ثم بعد ذلك يأخذون في تأويل الشريعة علي ما تشاء أهواؤهم (١).

فأنت تري أن الباطنية توسلوا بكل هذه الحيل إلي تشكيك المسلمين في عقائدهم، وكأنهم رأوا أن القرآن ما دام موجودا بين المسلمين ومحفوظا عندهم يرجعون إليه في أمور الدين ويهتدون بهديه كلما نزلت بهم نازلة، فليس من السهل صرف الناس عنه إلا بواسطة تأويله، وصرف ألفاظه وآياته عن مدلولاتها الظاهرة، فأخذوا يجدون في تأويل نصوص القرآن كما يحبون، وعلي أي وجه يرونه هدما لتعاليم الإسلام، الذي أصبح قذي في أعينهم وشجي في حلوقهم!!

وحرصا منهم علي أن تكون دعواهم في تأويل القرآن مقبولة لدي من يستخفونه.. قالوا: «إن الأئمة هم الذين أودعهم الله سره المكنون ، ودينه المخزون، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر، وأسرار هذه الأمثلة، وإن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلي القرآن وأهل البيت، ولذلك قال عليه السلام – لما قيل: ومن أين يُعرف الحق بعدك؟ :(ألم أترك فيكم القرآن وعترتي »؟ وأراد به أعقابه، فهم الذين يطلعون علي معاني القرآن »(٢).

ولكن احتيال الباطنية بتأويل القرآن علي هدم الشريعة لم يلق رواجا عند عقلاء المسلمين، ولم يجد غباوة في عقول علمائهم الذين نصبوا أنفسهم لحماية القرآن من أباطيل المضللين.. وكيف يمكن أن يجد رواجا عند هؤلاء أو غباوة من أولئك وقد علموا وتيقنوا بأن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضي ظواهرها بغير اعتصام فيه ينقل عن صاحب الشريعة، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل، اقتضي ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالي وكلام رسوله ﷺ ، فإن ما يسبق منه إلي الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له، بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله علي وجوه شتي.

● **إنتاج الباطنية في تفسير القرآن الكريم:**

ومع أن هؤلاء الباطنية قد اتخذوا من تأويل القرآن بابا للوصول إلي أغراضهم فإنا لم نقف لهم علي كتب مستقلة في تفسير كتاب الله تعالي، ولم نسمع أن واحدا

---

(١) المواقف: ٨ / ٣٨٩ – ٣٩٠، والفرق بين الفرق ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٢) فضائح الباطنية ص ٦.

منهم كتب تفسيرا جامعا للقرآن كله، سورة سورة، وآية آية، ولعل السر في ذلك: أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائدهم مع القرآن آية آية. ولو أنهم حاولوا ذلك لاصطدموا بعقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها،ولا يقدرون علي التخلص منها.

وكل الذي وجدناه لهم في تفسير القرآن – أو تأويله علي الأصح – إنما هو نصوص متفرقة في بطون الكتب، تعطينا إلي حد ما صورة واضحة، وفكرة جلية عن موقف هؤلاء القوم من القرآن الكريم، ومبلغ تهجمهم علي القول فيه بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير.

وأري أن أقسم موقف الباطنية من القرآن الكريم إلي قسمين اثنين:

الأول: موقف الباطنية المتقدمين من القرآن الكريم.

والثاني: موقف الباطنية المتأخرين منه أيضا.

ونريد بالمتقدمين: الذين أسسوا مذهب الباطنية ومن قاربهم في الزمن وبالمتأخرين البابية والبهائية، وسنوضح عند الكلام عن البابية والبهائية السبب الذي من أجله عددناهم من قبيل الباطنية.

● موقف متقدمي الباطنية من تفسير القرآن الكريم:

علمت أن الغرض الأول الذي تقوم عليه دعوة الباطنية وتتركز فيه: هو العمل علي هدم الشرائع عموما، وشريعة الإسلام علي الخصوص !! فكان لزاما عليهم وقد قاموا يحاربون الإسلام – أن يعملوا معاول الهدم في ركن الإسلام المكين، وهو القرآن الكريم، وقد عجموا معاولهم كلها فلم يجدوا معولا أصلب ولا أقوي علي تنفيذ غرضهم من معول التأويل والميل بالآيات القرآنية إلي غير ما أراد الله.

كتب عبيد الله بن الحسن القيرواني إلي سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني رسالة طويلة جاء فيها: « .. وإني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوراة والزبور والإنجيل، وتدعوهم إلي إبطال الشرائع، وإلي إبطال المعاد والنشور من القبور، وإبطال الملائكة في السماء، وإبطال الجن في الأرض، وأوصيك أن تدعوهم إلي القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير، فإن ذلك عون لك علي القول بقدم العالم» (١).

رأي هذا الزعيم الباطني أن التشكيك في القرآن خير معوان لهم علي تركيز عقائدهم، ورأي رأيه أهل الباطن جميعا فقالوا: «للقرآن ظاهر وباطن، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة، ونسبة الباطن إلي الظاهر كنسبة اللب إلي القشر، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة في الكتاب، وباطنه مؤد إلي ترك العمل بظاهره،

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨٠.

وتمسكوا في ذلك بقوله تعالي: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣]. (١)

فانظر إليهم كيف وضعوا هذه القاعدة لفهم نصوص القرآن الكريم، ثم اعجب ما شاء الله لك أن تعجب من استدلالهم بهذه الآية الكريمة علي قاعدتهم التي قعدوها؟ ولست أدري ما صلة هذه الآية بتلك القاعدة والآية واردة في شأن من شئون الآخرة ينساق إلي فهمه كل من يمر بالآية بدون كلفة ولا عناء

● **من تأويلات الباطنية القدامي:**

علي هذه القاعدة السابقة جري القوم في شرحهم لكتاب الله تعالي، فكان من تأويلاتهم ما يأتي:

(الوضوء): عبارة عن موالاة الإمام، و(التيمم) هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة. و(الصلاة) عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالي ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥]. و(الغسل) تجديد العهد ممن أفشي سرا من أسرارهم من غير قصد، وإفشاء السر عندهم علي هذا النحو هو معني. (الاحتلام)، و(الزكاة) عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، و(الكعبة) النبي، و(الباب) علي، و(الصفا) هو النبي، و(المروة) علي، و(الميقات) الإيناس، و(التلبية) إجابة الدعوة، و(الطواف بالبيت سبعا) موالاة الأئمة السبعة، و(الجنة) راحة الأبدان من التكاليف، و(النار) مشقتها بمزاولة التكاليف (٢).

وتأولوا أنهار الجنة فقالوا: ﴿ أَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ ﴾ أي معادن العلم.. اللبن: العلم الباطن، يرتفع به أهلها، ويتغذون به تغذيا تدوم به حياتهم اللطيفة، فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم، كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الأم. و﴿ أَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾ هو العلم الظاهر. و﴿ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة (٣).

كذلك تجد الباطنية يرفضون المعجزات، ولا يعترفون بها للرسل، وينكرون نزول ملائكة من السماء بالوحي من الله، بل وزادوا علي ذلك فأنكروا أن يكون في السماء ملك وفي الأرض شيطان، وأنكروا آدم والدجال، ويأجوج ومأجوج، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام آيات من القرآن تكذب دعواهم هذه، فتخلصوا منها بمبدأهم الذي ساروا عليه في تفسرهم وهو إنكار الظاهر والأخذ بالباطن، وأولوا هذه الآيات بما يتفق

---

(١) المواقف: ٨/ ٣٨٨.
(٢) المواقف: ٨/ ٣٩.
(٣) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٣ – والآية من سورة محمد: ١٥.

ومذهبهم، فتأولوا(الملائكة) علي دعاتهم الذين يدعون إلي بدعتهم. وتأولوا (الشياطين) علي مخالفيهم وتأولوا كل ما جاء في القرآن من معجزات الأنبياء عليهم السلام، فقالوا: (الطوفان) معناه طوفان العلم.. اغرق به المتمسكون بالسنة. و(السفينة) حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته. و(نار إبراهيم) عبارة عن غضب نمرود عليه لا النار الحقيقية. و(ذبح إسحاق) معناه أخذ العهد عليه. و(عصا موسي) حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب. و(انفلاق البحر) افتراق علم موسي فيهم عن أقسام. و(البحر) هو العلم. و(الغمام الذي أظلهم) معناه الإمام الذي نصبه موسي لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم و(الجراد والقمل والضفادع) هي سؤالات موسي والتزاماته التي سلطت عليهم. و(المن والسلوي) علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوي و (تسبيح الجبال) معناه تسبيح رجال شداد في الدين راسخين في اليقين و (الجن الذين ملكهم سليمان بن داود) باطنية ذلك الزمان، و (الشياطين) هم الظاهرية الذين كلفوا بالأعمال الشاقة، و(عيسي) له أب من حيث الظاهر. وإنما أراد بالأب المنفي: الإمام، إذ لم يكن له إمام، بل استفاد العلم من الله بغير واسطة، وزعموا – لعنهم الله – أن أباه يوسف النجار. و(كلامه في المهد) إطلاعه في مهد القالب قبل التخلص منه علي ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب. و(إحياء الموتي من عيسي) معناه الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن، و(إبراؤه الأعمي) عن عمي الضلالة. و(الأبرص) عن برص الكفر ببصيرة الحق المبين. و(إبليس وآدم) عبارة عن أبي بكر وعلي، إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبي واستكبر. و(الدجال) أبو بكر، وكان أعورا، إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن. و (يأجوج ومأجوج) هم أهل الظاهر (١).

بل بالغوا فقالوا: (أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة،فساسوا العامة بالنواميس والحيل، طلبا للزعامة بدعوي النبوة والإمامة) (٢).

هذا.. ومما زعمته الباطنية: أن من عرف معني العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله تعالي: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].. وحملوا اليقين علي معرفة التأويل.

كذلك استحل الباطنية نكاح البنات والأخوات وجميع المحارم، بحجة أن الأخ أحق بأخته والأب أولي بابنته.. وهكذا، ولست أدري علي أي وجه تأولوا آية النساء التي حرمت ذلك، ومنعته منعا باتا!!

---

(١) فضائح الباطنية ص ١٣.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٧٩.

ويقول القيرواني في رسالته التي أرسلها إلي سليمان بن الحسن: « . . وينبغي أن تحيط علما بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم، كعيسي ابن مريم، قال لليهود: لا أرفع شريعة موسي، ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا من السبت، وأباح العمل في السبت، وأبدل قبلة موسي بخلاف جهتها . . وبذلك قتلته اليهود لما اختلفت كلمته، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال ﴿ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥]، لما لم يحضره جواب المسألة، ولا تكن كموسي في دعواه التي لم يكن عليها برهان سوي المخرقة بحسن الحيلة والشعوذة، ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهانا قال له: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩]. وقال لقومه: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] لأنه صاحب الزمان في وقته).

ثم قال في آخر هذه الرسالة: « . . . وما العجب من شئ كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليس له زوجة في حسنها، فيحرمها علي نفسه وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وبنته من الأجنبي، ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل، وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم يكون ما لا يرونه أبدا من البعث من القبور، والحساب، والجنة، والنار، حتي استبعدهم بذلك عاجلا وجعلهم له في حياتهم، ولذريته بعد وفاته خولا، واستباح بذلك أموالهم بقوله: ﴿ لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشوري: ٢٣]، فكان أمره معهم نقدا وأمرهم معه نسيئة، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم علي انتظار موعود لا يكون، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ».

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة: « . . . وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة علي الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس، فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة عن أمرهم »[١].

ومن جملة تأويلاتهم الباطلة التي يتوصلون بها إلي هواهم النفسي، ومآربهم الشخصي، أنهم بعد أن يلقوا علي المدعو ما يشككونه به، وتتطلع إلي معرفته من جهتهم نفسه، يقولون له: لا نظهره إلا بتقديم خير عليه فيصلبون مائة وتسعة عشر

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨١ – ٢٨٢.

درهما من السبيكة الخالصة. ويقولون: هذا تأويل قوله تعالي: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [المزمل: ٢٠] ، فالحاء والسين والنون والألف إذا جمع عددها بحساب الجُمَّل يكون مبلغه مائة وتسعة عشر»(١).

ومَن ذا الذى قال إن القرآن يخضع فى تفسيره وفهم معانيه إلى حساب الجُمَّل؟.. اللَّهم إنّ هذا لا يصدر إلا عن مخرّف أو زنديق يريد أن يضل الناس ويحتال على سلب أموالهم بدعوى يدّعيها على كتاب الله !!

كذلك نجد الباطنية يحرصون على نفى وجود الإله الحق، والنبى المرسل محمد ﷺ، ليتوصلوا بذلك إلى رفع التكاليف، فنراهم يقولون للمبتدىء: «إنّ الله خلق الناس واختار منهم محمداً ﷺ، فيستحسن المبتدىء هذا الكلام، ثم يقول له: أتدرى مَن محمد؟ فيقول: نعم، محمد رسول الله، خرج من مكة، وادّعى النبوة، وأظهر الرسالة، وعرض المعجزة. فيقول له: ليس هذا الذى تقوله إلا كقول هؤلاء الحمير - يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام - إنما محمد أنت، فيستعيذ السامع ويقول: لست أنا محمداً، فيقول له: الله تعالى وصفه فى هذا القرآن فقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وهؤلاء الحمير يقولون: من مكة... فيقول له الغر الغمر: على أى معنى تقول أنا محمد؟ فيقول: خلقك وصوَّرك خلْقة محمد، فالرأس بمنزلة الميم، واليدان بمنزلة الحاء، والسرة بمنزلة الميم، والرجلان بمنزلة الدال، وكذلك أنت علىّ أيضاً، عينيك هى العين، والأنف هى اللام، والفم الياء»(٢).

وبهذا يوهمه أنه هو محمد الذى جاء ذكره في القرآن، أما ما يدّعى من وجود رسول اسمه محمد، فهذا ظاهره غير مراد.

ولأجل أن يوهمه أيضاً بأنه لا إله موجود على الحقيقة، وما جاء فى القرآن من ذلك فظواهر غير مراده، نجده يقول للمبتدىء: إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك، ويؤولون عليه قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣]، ويقولون: الرب هو الروح والبيت هو البدن.

ولقد وصل الغلو ببعض الباطنية إلى ادعاء ألوهية محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأنه هو الذى كلَّم موسى بقوله: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه: ١٢]، وفى هذا يروى لنا البغدادى صاحب «الفَرْق بين الفرَق» قصة رجل دخل فى دعوة الباطنية، ثم وفقه الله لتركها والرجوع لرشده.. يحكى هذا الرجل قصته للبغدادى فيقول: «إنهم لما وثقوا بإيمانه قالوا له: إن المسمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى

(١) التبصير فى الدين ص ٨٧ (٢) التبصير فى الدين ص ٨٧ - ٨٨

وعيسى ومحمد وكل من ادّعى النبوة: كانوا أصحاب نواميس ومخاريق، أحبوا الزعامة على العامة، فخدعوهم بنيرنجات، واستعبدوهم بشرائعهم – قال الحاكى للبغدادى: ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال: ينبغى أن تعلم أنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ ... ثم قال: فقلت: «سخنت عينك، تدعونى إلى الكفر برب قديم خالق للعالم، ثم تدعونى مع ذلك إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهاً مُرسلاً لموسى؟ فإن كان موسى عندك كاذباً، فالذى زعمت أنه أرسله أكذب» فقال: إنك لا تفلح أبداً، وندم على إفشاء أسراره إلىَّ وتبت من بدعتهم»(١).

فانظر إليهم – لعنهم الله – كيف يصرفون القرآن عن أن يكون الله هو المتكلم به، ويدَّعون أنه كلام إلههم المزعوم محمد بن إسماعيل!!.. أليس هذا غلواً فى الإلحاد؟ وإغراقاً فى الكفر والعناد؟

وبين أيدينا كتاب «أسرار الباطنية»، وهو يكشف لنا عن نواياهم ويفضح أسرارهم وخباياهم، وهو لمحمد بن مالك اليمانى أحد علماء القرن الخامس الهجرى، ولا أريد أن أطيل على القارىء بذكر ما فيه من مخازى القوم، ولكن أكتفى بذكر نبذة من الكتاب. ضمّنها المصنف ما شهده بنفسه من ضلالهم وإضلالهم، وذلك حين اندس بينهم متظاهراً بدخوله فى زمرتهم، ليقف بنفسه على ما بلغه عنهم من أباطيل وأضاليل، وإنما اخترتُ هذه النبذة بالذات، لأنها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تلاعب الباطنية بكتاب الله تحت ستار التأويل، وعن مبلغ استهزائهم بعقول العامة الذين وقعوا فيما نصبوه لهم من الأحابيل !!

● **مقالة محمد بن مالك اليمانى فى الباطنية:**

يقول محمد بن مالك اليمانى: «أول ما أشهد به وأشرحه، وأبينه للمسلمين وأوضحه، أنّ له – يريد علىّ بن محمد الصليحى زعيم باطنية اليمن فى وقته – نواباً يسميهم الدعاة المأذونين وآخرين يلقبهم المكلبين، تشبيهاً لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل، ويكيدونهم بالغوائل، وينقبضون عن كل عاقل، ويُلبّسون على كل جاهل، بكلمة حق يُراد بها الباطل، ويحضونه على شرائع الإسلام، من الصلاة والزكاة والصيام، كالذى ينثر الحَب للطير ليقع فى شركه، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به، وينظرون صبره، ويتصفحون أمره، ويخدعونه بروايات عن النبى ﷺ محرّفة، وأقوال مزخرفة، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه، ويحرِّفون الكلم عن

(١) الفرْق بين الفِرَق ص ٢٨٨

مواضعه، فإذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يُعلِّمونه، والانقياد بما يأمرونه، قالوا حينئذ: اكشف عن السرائر ولا ترضى لنفسك ولا تقنع بما قنع به العوام من الظواهر، وتدبر القرآن ورموزه، واعرف مُثُله وممثوله، واعرف معانى الصلاة والطهارة، وما روى عن النبى ﷺ بالرموز والإشارة، دون التصريح فى ذلك والعبارة، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة، لممثولات محجوبة، فاعرف الصلاة وما فيها، وقف على باطنها ومعانيها، فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه، فيقول: عَمّ أسأل؟ فيقول: قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(١)، فالزكاة مفروضة فى كل عام مرة، وكذلك الصلاة، مَن صلاَّها مرة فى السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار، وأيضاً فالصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان، والزكاة زكاتان، والصوم صومان، والحج حجان، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن يدل على ذلك: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن؟ فالظاهر ما تساوى به الناس، وعرفه الخاص والعام، وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به، فلا يعرفه إلا القليل، من ذلك قوله: ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص: ٢٤]، وقوله: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].. فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم.

و«الصلاة» و «الزكاة» سبعة أحرف(٢) دليل على محمد وعليّ صلى الله عليهما، لأنهما سبعة أحرف، فالمَعْنِى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعليّ، فمَن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة، فيوهمون على مَن لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبى ﷺ، فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة، لأن مذهب الراحة والإباحة يريحهم مما تُلزمهم به الشرائع من طاعة الله، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له: قرِّب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى، ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة، ويضع عنك هذا الإصر، فيدفع اثنى عشر ديناراً، فيقول ذلك الداعى: يا مولانا، إنّ عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها، فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر، وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً، فيقول: اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة ويهنئونه ويقولون: الحمد لله الذى وضع عنك ﴿ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢-٣] ثم يقول له ذلك

---

(١) البقرة: ٤٣، وفى مواضع أخرى من القرآن.

(٢) لعله عدّهما سبعة بحذف إحدى الألفين لتكرارها فى الكلمتين.

الداعى – الملعون – بعد مدة: قد عرفت الصلاة وهى أول درجة، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات، فاسأل وابحث، فيقول: عَمَّ أسأل؟ فيقول له: سل عن الخمر والميسر اللذين نهى الله تعالى عنهما: هما أبا بكر وعمر لمخالفتهما على علىّ، وأخذهما الخلافة دونه، فأما ما يُعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام، لأنه مما أنبتت الأرض، ويتلو عليه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ..... إلى آخر الآية. ويتلو عليه: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣] ..... إلى آخر الآية، والصوم: الكتمان فيتلو عليه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، يريد كتمان الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين، ويتلو عليه: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال: فلن أطعم اليوم شيئاً، فدلَّ على أن الصيام الصموت، فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً، وينهمك إلى قول ذلك الداعى الملعون، لأنه أتاه بما يوافق هواه، والنفس أمّارة بالسوء.. ثم يقول له: ادفع النجوى تكن لك سلماً ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم، فيدفع اثنى عشر ديناراً، فيمضى به إليه فيقول: يا مولانا، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة، فأبح له الأكل فى رمضان، فيقول له: قد وثقته وأمنته على سرائرنا؟ فيقول: نعم. فيقول: قد وضعتُ عنه ذلك، ثم يقيم بعد ذلك مدة، فيأتيه ذلك الداعى الملعون فيقول له: قد عرفت ثلاث درجات، فاعرف الطهارة ما هى، ومعنى الجنابة ما هى فى التأويل، فيقول له: فسِّر لى ذلك. فيقول له: اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجناية هى موالاة الأضداد، أضداد الأنبياء والأئمة. فأما المنى فليس بنجس، منه خلق الله الأنبياء والأولياء، وأهل طاعته، وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان، وعليه يكون أساس البنيان؟ فلو كان التطهير منه من أمر الدين لكان الغُسْل من الغائط والبول أوجب، لأنهما نجسان، وإنما معنى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة: ٦]، معناه: وإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلّموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح، كالماء الذى هو حياة الأبدان، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥ – ٦]، فلما سمّاه الله بهذا دلّ على طهارته، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة، ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثنى عشر ديناراً، ويقول: يا مولانا، عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة وهذا قربانه إليك، فيقول: اشهدوا أنى قد أحللت له ترك الغُسْل من الجنابة، ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعى الملعون: قد عرفتَ أربع درجات، وبقى عليك الخامسة، فاكشف عنها، فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك،

ويتلو عليه: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، فيقول له: الهمني إياها ودلني عليها، فيتلو عليه: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ص: ٢٢]، ثم يقول له: اتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا؟ فيقول: وكيف لي ذلك؟ فيتلو عليه: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]، ثم يتلو عليه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، والزينة ههنا: ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لا يطلع عليها إلا المخصوصون بذلك، وذلك قوله: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والزينة مستورة غير مشهورة، ثم يتلو عليه: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣]..

فمَن لم ينل الجنة فى الدنيا لم ينلها فى الآخرة، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الألباب، وأهل العقول دون الجهال، لأن المستحسن من الأشياء ما خفى، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، وسميت الجن جناً لاختفائهم عن الناس، والمجنة المقبرة لأنها تستر مَن فيها، والترس المجن لأنه يُستتر به، فالجنة ههنا: ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً، ويقول لذلك الداعى الملعون: تلطف فى حالى، وبلّغنى إلى ما شوّقتنى إليه، فيقول: ادفع النجوى اثنى عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلماً، فيمضى به فيقول: يا مولانا، إن عبدك فلاناً قد صحت سريرته، وصفت خبرته وهو يريد أن تدخله الجنة، وتبلغه حد الأحكام، وتزوجه الحور العين، فيقول له: قد وثقته وأمنته؟ فيقول: يا مولانا، قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابراً، ولانعمك شاكراً، فيقول: علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبى مرسل، أو مَلك مقرَّب، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها، فيقول: سمعاً وطاعة لله ولمولانا، فيمضى به إلى بيته، فيبيت مع زوجته، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال: قوما قبل أن يعلم نبأنا هذا الخلق المنكوس، فيشكر ذلك المخدوع ويدعو له، فيقول له: ليس هذا من فضلى، هذا من فضل مولانا، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون، ثم يقول له: لا بد لك أن تشهد هذا المشهد الأعظم عند مولانا، فادفع قربانك، فيدفع اثنى عشر ديناراً ويصل به ويقول: يا مولانا، إنَّ عبدك فلاناً يريد أن يشهد المشهد الأعظم، وهذا قربانه، حتى إذا جن الليل، ودارت الكؤوس وحميت الرؤوس، وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم، فيدخلن عليهم من كل باب، وأطفأوا السراج والشموع، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه فى يده، ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعى الملعون وجميع المستجيبين،

فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له، فيقول له: ليس هذا من فضلى، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم، ووضع عنكم أوزاركم، وحطّ عنكم آصاركم، ووضع عنكم أثقالكم، وأحلَ لكم بعض الذى حرم عليكم جُهَّالكم: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى - هذا ما اطلعتُ عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد، والله تعالى علىَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعتُ عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم، والله يشهد علىَّ بجميع ما ذكرته عالم به، ومَن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنه الله، ولعنة اللاعنين، والملائكة والناس أجمعين، وأخزى الله مَن كذب عليهم، وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيراً، ومَن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حَوْل الله وقُوّته إلى حَوْل الشيطان وقُوّته..» (١).

وبعد.. ألستَ ترى معى أن تأويلهم للقرآن تأويل فاسد لا يقوم على أساس ولا يستند إلى برهان، وإنما هى أوهام وأباطيل، غرروا بها ضعاف العقول ليسلخوهم من الدين، وليدخلوهم فى زمرة الملحدين وحزب الشياطين؟ أعتقد ذلك، وأظن أن سؤالاً يدور بخلد القارىء هو: كيف نجزم بنسبة هذه التأويلات كلها إلى الباطنية مع وجود التناقض والاختلاف بين بعض المعانى التى نقلت عنهم للفظ الواحد؟ أليس هذا دليلاً على عدم صحة كل ما يُنسب إليهم؟ والحق أن السؤال وارد، ولكنه مدفوع بما ذكره الغزالى من أنّ «سر هذا الاضطراب راجع إلى أنهم كانوا لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد، بل غرضهم الاستتباع والاحتيال، فلذلك تختلف كلمتهم ويتفاوت نقل المذهب عنهم»(٢).

● موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم:

قلنا إن الباطنية يُعرفون بأسماء عدة، وقلنا إنه لا تزال منهم بقية إلى يومنا هذا فى كثير من بلاد المسلمين، والآن أزيدك على ما تقدم أن الباطنية يوجدون بالهند، ويُعرفون بالبهرة أو الإسماعيلية، وزعيمهم أغا خان الزعيم الإسماعيلى المعروف. ويوجدون فى بلاد الأكراد ويُعرفون بـ«العلوية» حيث يقولون: علىّ هو الله. ويوجدون فى تركيا ويُعرفون بـ«البكداشية» وفى مصر جماعة من البكداشية من أصل ألبانى يقيمون فى الجبل المعروف بالمغاورى(٣). ويوجدون فى بلاد العجم

---

(١) كشف أسرار الباطنية ص ١١ - ١٦ (٢) فضائح الباطنية ص ٨

(٣) لما قامت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ طردت جماعة البكداشية من مصر وذلك لما ظهر من فساد حالهم وسوء فعالهم.

ويُعرفون بـ « البابية » ويوجدون فى فلسطين ويعرفون بـ « البهائية » ومنهم جماعات فى بلاد متفرقة[١] ، وتوجد بالهند فرقة أخرى من الباطنية هى « القاديانية » ، وهى أحدث فرقهم عهداً ، واقربها ظهوراً .

هذه الفرق التى تنتشر بين المسلمين إلى اليوم لا بد أن يكون لكل منها رأى فى التأويل الباطنى للقرآن الكريم ، يتفق مع مبدئها ومشربها .

ولا بد أن يكون لعلمائها تأويلات قرآنية يميلون بها نحو مذاهبهم وعقائدهم . غير أننا لم نقف على شىء من ذلك ، اللّهم إلا شيئاً للبابية والبهائية .

لهـذا قصرنا كلامنا على هـذه الطائفة[٢] وموقفها من كتاب الله تعالى ، لأن ما وصلنا عنها - وإن قلَّ - فهو يعطينا فكرة ولو إلى حد ما عن موقفها من تفسير القرآن الكريم .

واعتمادنا فى كل ما نكتب على بعض الكتب التى وصلتنا عنهم ، وعلى ما نشر فى المجلات العلمية من البحوث التى تدور حولهم ، فنقول وبالله التوفيق :

● **البابية والبهائية :**

البابية : نسبة إلى الباب ، وهو لقب ميرزا على محمد ، الذى ابتدع هذه النِحْلة ، وإليه تُنسب هذه الطائفة ، باعتباره المؤسس الأول لها .

والبهائية : نسبة إلى بهاء الله ، وهو لقب ميرزا حسين على ، الزعيم الثانى للبابية ، وإليه تُنسب هذه الطائفة ، باعتباره المؤسس الثانى لها .

وأصل نشأة هذه الطائفة : أن ميرزا على محمد ، الملقب بالباب ، والمولود فى سنة ١٢٣٥ هـ ، توفى عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه ، فربى فى حجر خاله ميرزا سيد على ، ونشأ معه فى مدينة شيراز بجنوب إيران ، واشتغل معه بالتجارة ، ولما بلغ سنة الخامسة والعشرين ادّعى أنه الباب - والباب عند الشيعة معناه نائب المهدى المنتظر - وكان ادعاؤه هذا فى سنة ١٢٦٠ هـ ، وما لبث أن وصلت هذه الدعوى إلى طائفة من الجاهلين فصدّقوا بها ، وتتابعوا عليها ، وكان عدد مَن صدّقه فى أول الأمر ثمانية عشر رجلاً ، فسماهم بكلمة « حى » لأن عدد حرفيها بحساب الجُمَّل ثمانية عشر ، ثم أمر أتباعه هؤلاء بالانتشار فى إيران وبلاد العراق ، يبشرون به وبدعوته ، وأوصاهم بكتمان اسمه حتى يُظهره هو بنفسه . ولما حج وفرغ من أعمال الحج أعلن

---

(١) ومن محاسن ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، طرد البهائيين من مصر ، والاستيلاء على مركزهم العام ، وتحويله إلى جمعية المحافظة على القرآن الكريم ، وقد تم ذلك فى حفل عام سنة ١٩٦١

(٢) البابية والبهائية في واقع الأمر طائفة واحدة ، نسبت إلى « الباب » زعيمها الأول فقيل لها : « بابية » ، ثم نسب إلى « البها » زعيمها الثانى ، فقيل لها : « بهائية » كما هو موضح بعد .

دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمه، وذاعت دعوته، فثارت طوائف المسلمين، وقاموا في سبيل دعوته يحاربونها بكل الوسائل.

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب مناظرات أظهرت ما في دعوته من غواية وضلال، فكفره بعض العلماء، ورماه بعض آخر منهم بالجنون، فاعتقله الوالي في سجن شيراز، ثم في سجن أصفهان، ثم في طهران، ثم في أذربيجان. وفي عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البابيين ومخالفيهم، وقامت بينهم حرب طاحنة كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب، فعُلّق في ميدان مدينة تبريز، وقُتِل رمياً بالرصاص، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ.

وبعد قتله اختلف أتباعه على أنفسهم في شأن مَن ينوب عنه، وظهرت من بعض أتباعه دعاوى مختلفة: من قبيل النبوة، والوصاية، والولاية، وأمثالها. وظلوا على هذا الأمر إلى أن حاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨ هـ إنتقاماً لزعيمهم الباب، ولما خاب سعيهم وفشلوا في هذه المؤامرة، أخذت الحومة تضطهد زعماء البابيين، وتسوقهم إلى التحقيق، فقُتِل مَن قُتِل ونُفِيَ من نُفي، وكان من بين زعمائهم في هذا الوقت – وقت الاضطهاد – ميرزا حسين عليّ الملقب فيما بعد: «بهاء الله».

● **بهاء الله :**

ولد بهاء الله سنة ١٢٣٣ هـ، وكان ابنه ميرزا عباس من كبار وزراء الدولة في وقته، فلما قام الباب واشتهر أمره صدَّقه بهاء الله، فاشتد به أزر البابيين وكثرت جماعتهم، ولما حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ هـ، وهي محاولة اغتيال ناصر الدين شاه، قُبِض على بهاء الله وسُجِن نحو أربعة أشهر، ثم أفرِج عنه وأبْعِد إلى العراق، فدخل بغداد سنة ١٢٦٩ هـ، ومكث بها اثنى عشر عاماً، يدعو الناس إلى نفسه، ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه الباب، وكان يشير إليه بلفظ: «مَن يظهره الله»، وهناك تجمع حوله بعض أتباعه الذين لحقوا به من البابيين، وتسموا حينئذ بالبهائيين، ووقعت بينهم وبين شيعة العراق فتنة كادت تفضي إلى قيام حرب أهلية بين الفريقين، فقررت الحكومة العثمانية في ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة، فأرسل إليها ومكث بها نحواً من أربعة أشهر، ثم نُفِي إلى أدرنة[1] ومكث بها نحواً من خمس سنوات، ثم نُفِي منها إلى عكا من بلاد الشام سنة ١٣٨٥ هـ، وبقي بها إلى أن مات سنة ١٣٠٩ هـ، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس (المولود سنة ١٨٤٤ والمتوفى سنة ١٩٢١) والملقب

---

(١) وقع بين أتباع البهاء وأتباع أخيه يحيى الملقب بـ«صبح أزل» – وكان ممن رفض دعوى أخيه. وأتباعه يعرفون بـ«الأزلية» – فتنة في أدرنة، فأمرت الحكومة العثمانية بإبعاد الفريقين من أدرنة فنفت البهاء وأتباعه إلى عكا، ونفت يحيى وأتباعه إلى قبرص.

« عبد البهاء » فأخذ يدعو إلى هذا المذهب، ويتصرف فيه كيف يشاء، فلم يرض هذا الصنيع أتباع البهاء فانشقوا عليه، والتف فريق منهم حول أخيه الميرزا علىّ، وألّفوا كتباً فى الطعن على عبد البهاء يتهمونه فيها بالمروق من دين البهاء[١] .

● الصلة بين عقائد البابية وعقائد الباطنية القدامى :

بالرغم من أن هذه الفرقة لم تظهر إلا قريباً، فإنَّا نجدها ليست بالفرقة المحدَثة فى عقائدها وتعاليمها، بل هى فى الحقيقة ونفس الأمر وليدة من ولائد الباطنية، تغذت من ديانات قديمة. وآراء فلسفية، ونزعات سياسية. ثم درجت تحذو حذو الباطنية الأوّل، وتترسم خطاهم في كل شىء، وتهذى فى كتاب الله، فتأوّلته بمثل ما تأوّلوه: لتصرف عنه قلوباً تعلقت به ونفوساً اطمأنت إليه.

والذى يقرأ تاريخ الباطنية الأوّل، ويَطلّع على ما فى كتبهم من خرافات وأباطيل، ثم يقرأ تاريخ البابية والبهائية، ويَطلّع على ما فى كتبهم من خرافات وأباطيل، لا يسعه إلا أن يحكم بأن روح الباطنية حلّت فى جسم ميرزا علىّ، وميرزا حسين علىّ، فخرجت للناس أخيراً باسم البابية والبهائية.

تقوم دعوة قدماء الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية، وينفذون إلى عقول العامة بإظهارهم الحب والتشيع، بل والانتساب إلى آل البيت، ثم يصلون إلى أهوائهم ومآربهم بصرفهم القرآن إلى معان باطنية لا يقبلها العقل، ولا تمت إلى الدين بسبب، وعلى هذا الأساس قامت دعوة البابية والبهائية، وبمثل هذه الوسيلة وصلوا إلى أغراضهم وأهوائهم، وإليك ما يوضح ذلك :

أولاً : فى الباطنية مَن يدّعى النبوة لنفسه أو يدّعيها لغيره، وميرزا علىّ الملقب بالباب يدَّعى أنه رسول للناس من قِبَل الله تعالى، وله كتاب اسمه « البيان » ادّعى أنه مُنَزَّل عليه من عند الله تعالى. وقد جاء فى رسالة بعث بها الباب إلى العلامة الألوسى صاحب التفسير المعروف يدعوه فيها إلى الإيمان به: « إننى أنا عبد الله، قد بعثنى بالهدى من عنده »، وسمى فى هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال: « ومَن لم يدخل فى دين الله، مثله كمثل الذين لم يدخلوا فى الإسلام »[٢] .

ولا نعلم ماذا أجاب به الألوسى على هذه الرسالة، وإن كنا نعلم رأيه فى هذه الطائفة عندما تعرّض لتفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن

---

(١) لخصنا هذا البحث التاريخى من مقال لأبى الفضائل الإيرانى منشور بمجلة المقتطف - الجزء التاسع - السنة العشرين، ومن مقال السيد محمد الخضر حسين منشور بمجلة نور الإسلام - مجلة الأزهر فيما بعد - العدد الخامس من السنة الأولى.

(٢) رسائل الإصلاح: ٣ / ٩٨

رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠]، وذلك حيث يقول: «وقد ظهر فى هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية، ولهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم فى سلك ذوى العقول، وقد كاد يتمكن عرقهم من العراق لولا همة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الاتفاق، حيث خذلهم – نصره الله – وشتت شملهم، وغضب عليهم – رضى الله تعالى عنه – وأفسد عملهم. فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً، ودفع عنه فى الدارين ضيماً وضيراً»(١).

وكذلك ادّعى زعيمهم الثانى الملقب ببهاء الله: أنه رسول من عند الله، جاء لتأسيس الإسلام على الأرض، وبين أيدينا كتاب بهاء الله، ويطلق عليه اسم «الكتاب» قرأنا فيه فوجدناه يقول: «لعمر الله إن البهاء ما نطق عن الهوى، قد أنطقه الذى أنطق الأشياء بذكره وثنائه، لا إله إلا هو الفرد الواحد المقتدر المختار»(٢).

«لعمرى ما أظهرتُ نفسى، بل الله أظهرنى كيف أراد، إنى كنت كأحد من العباد، وراقداً على المهاد، مرت على نسائم السبحان، وعلّمنى علم ما كان. ليس هذا من عندى بل من لدن عزيز عليم، وأمرنى بالنداء بين الأرض والسماء، بذلك ورد على ما ذرفت به دموع العارفين. ما قرأت ما عند الناس من العلم، وما دخلت المدارس، فاسأل المدينة التى كنت فيها لتوقن بأنى لست من الكاذبين»(٣).

«قل قد أتى المختار، فى ظل الأنوار، ليحيى الأكوان، من نفحات اسمه الرحمن، ويتحد العالَم، ويجتمعوا على هذه المائدة التى نزلت من السماء»(٤).

ويرى الباب أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية، فابتدع لأتباعه أحكاماً خالف بها ما جاءت به الشريعة الإسلامية، فجعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها، وعيَّن لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعى. بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم «النيروز» على الدوام، وفى كتاب «البيان»:

«.. أيام معدودات. وقد جعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها»(٥).

كذلك يرى بهاء الله أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية، ويقرر ذلك فى كتابه فيقول: «لو كان القديم هو المختار عندكم، لما تركتم ما شرع فى الإنجيل، بينوا يا قوم.. لعمرى ليس لكم اليوم من محيص. إن كان هذا جرمى فقد سبقنى فى ذلك محمد رسول الله، ومن قبله الروح، ومن قبله الكليم. وإن كان هذا ذنبى إعلاء كلمة الله وإظهار أمره، فأنا أول المذنبين. لا أبدل هذا الدين بملكوت السموات والأرضين»(٦).

---

(١) روح المعانى: ٢٢/ ٣٩. (٢) الكتاب ص ٧ (٣) المرجع السابق ص ٩
(٤) نفس الرجع ص ٣٥ (٥) رسائل الإصلاح: ٣/ ٩٩ (٦) كتاب بهاء الله ص ٣٩

وقرر البهاء أن الدين قسمان: عملى وروحانى، فالقسم الروحانى - وهو مظاهر الألوهية والنبوة - غير قابل للتبديل. والقسم العملى - وهو المتعلق بالصور والأشكال الخارجية - قابل للتغيير، وعلى هذا المبدأ جعل لأتباعه الصلاة تسع ركعات فى اليوم والليلة، وجعل قبلتهم في الصلاة أين يكون هو!! وفي هذا يقول: «إذا أردتم الصلاة فولوا وجوهكم شطري الأقدس» (١).

وسوي بين الرجل والمرأة في الحقوق الشرعية والسياسية، وقرر عقوبات مالية للزنا والسرقة وغيرهما، ومنع التسري، وحرم الزواج بأكثر من واحدة وقيد لهم الطلاق وصعبه، وحجته في هذا كله: أن جميع الأديان أضحت لا تصلح لإصلاح العالم، فلابد من دين جديد يوافق هذا العصر.. عصر التقدم المادي العظيم. وهذا الدين الذي جاء به هو الذي يصلح في نظره لمسايره هذا العصر دون غيره (٢).

ثانيا: منع الحسن بن الصباح وغيره من زعماء الباطنية، العوام من دراسة العلوم، والخواص من النظر في الكتب المتقدمة. وفعل الباب مثل ذلك فحرم في كتابه (البيان) التعليم وقراءة كتب غير كتبه، فكان من وراء ذلك أن حرق أتباعه القرآن الكريم، وما في أيديهم من كتب العلم، ولكن بهاء الله أدرك أن هذا التحجير قد يصرف بعض الناس عن دعوته، فنسخ ذلك التحجير، وذلك حيث يقول في كتابه المسمي بـ(الأقدس): «قد عفا الله عنكم ما نزل في البيان من محو الكتب، وآذنا لكم أن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم» (٣).

ثالثا: من الباطنية من يدعي حلول الإله في بعض الأشخاص، كالقرامطة الذين يدعون حلول الإله في إمامهم محمد بن إسماعيل. ونجد مثل هذه الدعوي متجلية في بعض مقالات البابية، فهذا بهاء الله يقول في (الكتاب): «لنا مع الله حالات نحن فيها هو، وهو نحن، ونحن نحن» (٤).

وهذا عباس الملقب بعبد البهاء يقول: «وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجئ رب الجنود والآب الأزلي، ومخلص العالم الذي لابد منه في آخر الزمان، كما أنذر جميع الأنبياء، عبارة عن تجليه في الهيكل البشري، كما تجلي في هيكل عيسي الناصري، إلا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهي، فعيسي وغيره من الأنبياء هيأوا الأفئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الأعظم» (٥).

---

(١) رسائل الإصلاح: ٣/ ٩٩.

(٢) انظر مقال أبي الفضائل في المقتطف - العدد التاسع من السنة العشرين، وانظر المحاضرة التي ألقاها عبد العزيز نصحي عن البهائيين بدار جمعية الهداية الإسلامية.

(٣) رسائل الإصلاح: ٣/ ١٠٠. (٤) الكتاب ص٣٣. (٥) رسائل الإصلاح: ٢/ ١٠٠.

يريد بهذا: أن الله تجلي فيه بأعظم من تجليه في أجسام الأنبياء علي ما يزعم.

وهذا أبو الفضل الإيراني أحد دعاتهم يقول: (...فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلي الله من العزة، والعظمة، والقدرة، والعلم، والحكمة، والإرادة، والمشيئة، وغيرها من الأوصاف، إنما يرجع بالحقيقة إلي مظاهر أمره، ومطالع نوره، ومهابط وحيه، ومواقع ظهوره) [(١)]... ومثل هذا كثير في كلام زعمائهم ودعاتهم.

رابعا: يدعي الباطنية رجوع الإمام المعصوم بعد استتاره، ويحصرون مدارك الحق في أقواله. والبهائية يقولون هذا القول ويثبتونه في كتبهم.

يقول بهاء الله في (الكتاب): (يسند القائم ظهره إلي الحرم، ويمد يده المباركة، فتري بيضاء من غير سوء، ويقول: هذه يد الله، ويمين الله، وعين الله، وبأمر الله أنا الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة، ظاهري إمامة، وباطني غيب لا يدرك) [(٢)].

وقد عرفت أن البابية والبهائية يعبرون عن الإمام المعصوم بـ(من سيظهره الله) ، ويزعمون أنه هو الذي يعرف تأويل ما جآءت به الرسل عليهم السلام.

خامسا: من مبادئ قدماء الباطنية التفرس. وعلي هذا المبدأ منعوا التكلم بآرائهم في بيت فيه سراج – أي فقيه أو متعلم– والبهائية يسيرون علي هذا المبدأ وإليك ما يثبت ذلك:

أرسل إلي أبي الفضائل الإيراني بعض إخوانه كتابا يرجوه فيه أن يرد علي مقال كتبه جرجس صال الإنجليزي بإمضاء هاشم الشامي، والمقال يتضمن توجيه الاعتراضات علي فصاحة القرآن الكريم، فاعتذر أبو الفضائل عن ذلك في رسالة أرسل بها إلي صاحبه يقول فيها:

« ... إن هناك موانع جمة، أعظمها وأشدها مانع كبير لا يستسهل العاقل تذليل صعوباته، ولا يتسنم النبيه متن صهواته، حيث إن قلوب الذين اكتفوا من الإسلام باسمه، ومن القرآن برسمه، تغذت في مدة مديدة، وأزمنة غير وجيزة بقشور المطالب، وألفت سفاسف المسائل حتي بعدت عن لباب الكتاب، وجهلت حقيقة معاني الخطاب، فلو كشفنا عن حقائق الإشارات، وأظهرنا المعاني المقصودة من ظواهر العبارات، فطلعت صور الحقائق المقصورة في قصر الآيات، وتهللت وجوه المعاني المستورة في خدور الاستعارات، لندفع تلك الردود والاعتراضات ونظهر بطلان تلك الإيرادات والانتقادات، تثور أولا أحقاد جهلائنا، ويرتفع نعيب سفهائنا، وينادون بالويل والثبور،ويثيرون الأحقاد الكامنة في الصدور... ».

---

(١) رسائل الإصلاح: ٢ / ١٠٠.

(٢) الكتاب ص ٨٣.

ثم يقول لصاحبه في آخر الرسالة: «...لتعلم حق العلم أني ما نسيت ولم أكره صفة من صفاتك، ولا خلة من خلالك، ولكن - والحق يقال - إنك نسيت وصية روح الله الواردة في سفر متي: «لا تلقوا جواهركم تحت أرجل الخنازير» حيث تجاهر بجواهر الأسرار ومعالي المعاني، عند من لا يستحق أن تخاطبه وتلاطفه، وتجالسه وتؤانسه، فكيف أنه يكون مستودع الحكمة الإلهية والأسرار الربانية، فتمسك بالحكمة، وكن علي جانب عظيم من الفطنة»(١).

ويقول في رسالة أرسلها إلي الشيخ فرح الله زكي الكردي أحد اتباعهم في مصر: «....واعلم يا حبيبي أنه سيدخل عليكم كثيرون، ويتظاهرون بنوايا المتفحص الباحث، ويظهرون السلم والوفاق، وهم أهل النفاق وأصل الشقاق، ومقصودهم معرفة أهل الإيمان، واضطهاد أصحاب الإيقان كما تصرح وتنادي آي الفرقان: منها قوله تعالي: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ .... إلي آخر الآيات [الحديد:١٣- ١٥]، فتحكم الآية المباركة أنه لابد من دخول أهل النفاق علي أصحاب الوفاق، للاستطلاع والاستراق، فلا يغرنك تحببهم وترفقهم، ولا يخدعنك ملاينتهم وتملقهم، فإن التهور والتعجيل يوجب الندم والافتضاح، والتروي يكفل النجاح والفلاح. ومن الحكم المأثور: «العجلة من الشيطان، والتأني من الرحمن»(٢).

من كل ما تقدم، يظهر لنا بوضوح: أن البابية والبهائية ليسوا أصحاب نحلة جديدة في تعاليمها ومعتقداتها، وإنما هم قوم من أهل الباطن يريدون الكيد للإسلام باسم الإصلاح الديني، وسيظهر لك من تأويلاتهم للقرآن - علاوة علي ما سبق - أنهم ينهجون نهج الباطنية الأول، ويترسمون خطاهم في تحريفهم لكتاب الله، والعبث بآياته!!(٣).

● **موقف البابية والبهائية من تفسير القرآن الكريم:**

لم تحل عقائد البابية والبهائية بينهم وبين الاعتراف بالقرآن الكريم، ولم يمنعهم موقفهم الشاذ من الرجوع إليه ليأخذوا منه الشواهد علي دعاواهم الباطلة، ومذاهبهم الفاسدة، تمويها علي العامة، وتغريرا بعقول الأغمار الجهلة.

---

(١) رسائل أبي الفضائل ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٢) رسائل أبي الفضائل ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) انظر إنتاج البابية والبهائية في التفسير، ومثل من تأويلاتهم الفاسدة: (التفسير والمفسرون): ٢/ ١٩٦ وما بعدها.

● **أبو الفضائل الإيراني يعيب تفاسير أهل السنة:**

ولم يكن في وجوههم قطرة من الحياء تمنعهم من التنديد بتفاسير علماء أهل السنة وتحقيرها، فهذا داعيتهم أبو الفضائل الإيراني، نجده في رسالة أرسلها لصديق له، يعيب علي تفاسير أهل السنة فيقول: «... ولقد يدهش الإنسان ويتحير يا حبيبي من تعاليمهم الباطلة، وتفاسيرهم المضحكة، فإن أحباءنا الأمريكيين الذين تشرفوا بالوفود علي الأرض المقدسة في هذه الأيام الأخيرة، قابلناهم في بيروت، وسافرنا معهم إلي الأرض الفيحاء مدينة حيفا، أخبرونا بما يتحير منه الأريب، ويدهش منه اللبيب، كيف تقدمت كلمة الله في تلك الأقطار البعيدة الشاسعة مع هذه التفاسير الباطلة الضائعة، من النفوس الجاهلة الخادعة... أليس ذلك من عظيم قدرة الله وشديد قوته؟ وسطوع آياته وظهور بيناته» (١).

يعيب أبو الفضائل تفسير أهل السنة، لأنه يري في زعمه أنه وأهل نحلته خير من يفهم القرآن، ويعلم ما فيه من أسرار ورموز، ويري أنه ومن شاكله هم الراسخون في العلم، الذين يقفون علي عجائب القرآن التي لا يدل عليها إلا باطنه، أما ما يعني به مفسرو أهل السنة من الظواهر فليس في زعمه من المعاني التي يرمي إليها القرآن، وفي هذا يقول ما نصه: «...لو كان معاني آيات القرآن ما هو ظاهر يعرفه كل من يعرف اللغة العربية، ويتلذذ منه كل من له إلمام بالعلوم الأدبية، كيف يتم هذا القول - يريد قول رسول الله ﷺ في شأن القرآن: (إنه لا تنقضي عجائبه) - وكيف يصدق قول الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] (٢).

● **الزيدية - وموقفهم من التفسير والقرآن الكريم:**

لم يقع بين الزيدية من الشيعة، وبين جمهور أهل السنة خلاف كبير مثل ما وقع من خلاف بين الإمامية وجمهور أهل السنة، والذي يقرأ كتب الزيدية يجد أنهم أقرب فرق الشيعة إلي مذهب أهل السنة، وما كان بين الفريقين من خلاف فهو خلاف لا يكاد يذكر.

يري الزيدية: أن عليا أفضل من سائر الصحابة، وأولي بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، ويقولون: إن كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج للإمامة صحت إمامته، ووجبت طاعته، سواء أكان من أولاد الحسن، أم من أولاد الحسين، ومع ذلك فهم لا يتبرأون من الشيخين، ولا يكفرونهما، بل يجوزون إمامتهما، لأنه تجوز عندهم إمامة المفضول مع وجود الفاضل، كما أنهم لم يقولوا بما قالت به الإمامية من التقية،

---

(١) رسائل أبي الفضائل ص ٦٦.
(٢) رسائل أبي الفضائل ص ٧٦، وانظر التفسير والمفسرون: ٢ / ٢٢٧ - ٢٢٥.

والعصمة للأئمة، واختفائهم ثم رجوعهم في آخر الزمان. وغير ذلك من خرافات الإمامية ومن علي شاكلتهم.

وكل الذي نلحظه علي الزيدية، أنهم يشترطون الاجتهاد في أئمتهم، ،ولهذا كثر فيهم الاجتهاد. وأنهم لا يثقون برواية الأحاديث إلا إذا كانت عن طريق أهل البيت. والذي يقرأ كتاب(المجموع) للزيدية يري أن كل ما فيه من الأحاديث مروية عن زيد ابن علي زين العابدين، عن آبائه من الأئمة،عن رسول الله ﷺ وليس فيه بعد ذلك حديث يروي عن صحابي آخر من غير أهل البيت رضي الله عنهم.

كما نلاحظ علي الزيدية أيضا أنهم تأثروا إلي حد كبير بآراء المعتزلة ومعتقداتهم، ويرجع السر في هذا إلي أن إمامهم زيد بن علي، تتلمذ علي واصل بن عطاء كما قلنا ذلك فيما سبق.

إذن فلا نطمع بعد ذلك أن نري للزيدية أثرا مميزا ، وطابعا خاصا في التفسير كما رأينا للإمامية، لأن التفسير إنما يتأثر بعقيدة مفسره، ويتخذ له طابعا خاصا واتجاها معينا، حينما يكون لصاحبه طابع خاص واتجاه معين، وليست الزيدية – بصرف النظر عن ميولهم الاعتزالية – بمناي بعيد عن تعاليم أهل السنة، وعقائدهم، حتي يكون لهم في التفسير خلاف كبير [١].

* * *

---

(١) التفسر والمفسرون: ٢/ ٢٠٧، وآنظر: أهم كتب التفسير عند الزيدية ص ٢٠٧ وما بعدها من هذا الجزء نفسه.

"بسم الله الرحمن الرحيم" سنة ١٩٦٠

كتاب: أساس التأويل: طبع منشورات دار الثقافة. بيروت

المؤلف: الداعي الإسماعيلي: النعمان بن حيون التميمي المغربي، قاضي قضاة الدولة الفاطمية المتوفى سنة ٣٦٣ ثلاث وستين وثلاثمائة من الهجرة

قال محقق الكتاب: الأستاذ عارف تامر في مقدمته (إنه - أي أساس التأويل - الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذي يعالج موضوعًا معينًا هو التأويل) والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الأساسية لهذا العلم تمثيلًا متزنًا معقولًا، ويعرضها عرضًا دقيقًا مفصلًا) ص٥ ... ثم قال "لقد كان التأويل في عهد الدعوة الإسماعيلية المبكر وفي إبان ازدهارها الموضوع الرئيسي لكل فكرة فلسفية باطنية، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الأغصان، أو بلغة أصح: الأساس الذي تركزت عليه دعائم هذه الدعوة الفكرية، والغذاء الذي موّن الفلسفة الباطنية بالحياة والنمو والبيان

ونرى في هذا كله اعتبر كتاب "أساس التأويل" لدى الإسماعيلية من الكتب الثمينة والذخائر الغالية التي تحصي تعاليمهم الاعتقادية بالمحافظة على سريته وكتمان تعاليمه، والسهر على منع تسرب المواد الاعتقادية التي وردت فيه لغيرهم من غير الإسماعيليين، وكل هذا يعتبر سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة، ... ذلك أن في الكتاب تأويلًا لقصص الأنبياء التي وردت في الكتب السماوية الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، فكل هذا كان يشكل موضوعًا ... المتعمدة بالمحافظة على أسراره الباطنية مما يتزعزع عند طائفة العوام لدى معتنقي هذا المذهب اعتبروا بأنهم لم ينالوا من الثقافة إلا قشورها، ومن العلوم إلا ظواهرها" ص ٦١

"فيكون من الواضح أن التأويل بمعناه الواقعي لدى الإسماعيلية يختلف عن التفسير بمعناه الصحيح لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى، فالتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة

الصفحة الأولى من الكراسة الأولى

ملحوظة هامة

القسم الرابع من

في آخر كتاب سراج التنظيم توجد حروف الكتابة السرية وما يقابلها من الحروف العربية على النحو الآتي:

J	T	ط	م	ح	6	8	Y	٨	ع	ں	H	ل	P	(J)
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض

Λ	(Ĵ)	V	B	X	ى	8	⊥	I	¥	X	II	٩	4
ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ى	لا

ويلي ذلك فك الرموز الموجودة بالكتاب ابتداء من أول سورة يونس إلى آخر ما وصل إليه من سورة العنكبوت. وقد وضعنا فك الرموز بالهامش نقلا عن الجدول الموجود بآخر الكتاب.

محمد حسين الذهبي

بغداد في ٦/٥/١٩٦٤

الصفحة الأخيرة من الكراسة الأولى

١

« بسم الله الرحمن الرحيم »

نقول من كتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ ، طبع إيران سنة ١٣٨١ هـ ... الناشر مكتبة الصدوق

الجامعة - القياس

روى بسنده قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة[1] إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط علي عليه السلام بيده ، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاما ، فيها علم الحلال والحرام ، إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا ، إن دين الله لا يصاب بالقياس . ا هـ ج١ ص٥٧ .

علم علي رضي الله عنه

وبسنده إلى سليم بن قيس الهلالي قال : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم غير ما في أيدي الناس ، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل ، أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدين ، ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ قال : فأقبل علي فقال : قد سألت فافهم الجواب : إن في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده ... (إلى أن قال) : وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم دخلة وكل ليلة .

للكاتب بحث في كتاب الجامعة .

الصفحة الأولى من الكراسة الثانية

(وفي سورة الذاريات عند قوله تعالى: "إنكم لفي قول مختلف. يؤفك عنه من أفك"
يروى عن أبي جعفر أنه قال: "إنكم لفي قول مختلف" اختلف في الولاية، وهذه
الأمة، فمن استقام على الولاية دخل الجنة، ومن خالف الولاية دخل النار.
وأما قوله: "يؤفك عنه من أفك" فإنه يعني علياً، من أفك عنه والولاية أفك
عن الجنة، فذلك قوله: "يؤفك عنه من أفك" (ج ٢ ص [illegible])).
وعند قوله تعالى في سورة المدثر: (كل نفس بما كسبت رهينة... إلى قوله: لم نك من المصلين)
روى عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي عليه السلام:
يا علي، قوله عز وجل: "كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر" فالمجرمون هم المنكرون لولايتك "قالوا لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين" فيقول لهم أصحاب اليمين:
ليس من هذا أتيتم، فما الذي سلككم في سقر يا أشقياء؟ قالوا: "وكنا نكذب
بيوم الدين حتى أتانا اليقين" فقالوا لهم: هذا الذي سلككم في سقر يا أشقياء،
ويوم الدين يوم الميثاق حيث جحدوا وكذبوا بولايتك وعتوا عليك واستكبروا.
وفي سورة النبأ عند قوله تعالى: "يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون (ج ٢ ص ٤٤٠)
إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا" يروى عن أبي عبد الله أنه قال:
"لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا" قال: نحن والله المأذون
لهم يوم القيامة والقائلون صوابا. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: نمجد
ربنا ونصلي على نبينا ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا (ج ٢ ص ٤٤٢)

محمد حسين الذهبي — كلية الشريعة — بغداد ١٩٦٤

الصفحة الأخيرة من الكراسة الثانية

١ - نُقُول عن كتاب (أساس التأويل) طبع منشورات دار الثقافة ببيروت، تأليف الداعي الإسماعيلي: النعمان بن حيون التميمي المغربي، قاضي قضاة الدولة الفاطمية المتوفي سنة ٣٦٣هـ

●مؤلف الكتاب:

هو محمد النعمان بن منصور بن أحمد بن حيان التميمي، القاضي، الذي اشتهر بأبي حنيفة الشيعة... كان في أو ل الأمر يتبع مذهب مالك، ثم التحق بالإمامية الإثني عشرية [١] وانتقل إلي الفاطميين [٢]، فجاء من إفريقية إلي مصر مع المعز لدين الله الفاطمي [٣] (المتوفي سنة

---

(١) الإثنا عشرية، أو الإمامية: اسم يطلق علي إحدي فرق الشيعة لقولهم بإثني عشر إماما أولهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم انتقلت إلي ابنه الحسن بن علي، ثم إلي أخيه الحسين ابن علي، ثم إلي ابنه علي زين العابدين، ثم إلي ابنه محمد الباقر، ثم إلي ابنه جعفر الصادق، ثم إلي ابنه موسي الكاظم، ثم إلي ابنه علي الرضا، ثم إلي ابنه محمد الجواد، ثم إلي ابنه علي الهادي، ثم إلي ابنه الحسن العسكري، ثم إلي ابنه محمد المهدي المنتظر - وهو الإمام الثاني عشر ويزعمون أنه دخل سردابا في دار أبيه بـ(سر من رأي) ولم يعد بعد، وأنه يخرج في آخر الزمان، ليملأ الدنيا عدلا وأمنا كما ملئت ظلما وخوفا... وقد أصبحت الإثنا عشرية مذهب الدولة في إيران منذ عهد الصفويين وانتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي (البلتاجي).

(٢) الفاطميون: سلالة تنتسب إلي علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما، أنشأوا دولة قامت أول أمرها في تونس عام ٢٩٧هـ، ثم أخضعت الشمال الإفريقي كله ثم مصر في عهد المعز لدين الله الذي مد حدود الدولة علي شواطئ الأطلسي، وبسط نفوذه علي سوريا وفلسطين ولبنان، ومؤسس هذه الدولة هو عبيد الله بن المهدي (من ٢٩٧ - ٣٢٢هـ) ثم تولي بعده القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ)، ثم المنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ) ، ثم المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥هـ)، ثم العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) ، ثم الحاكم بأمر الله(٣٨٦ - ٤١١هـ) ، ثم الظاهر بالله (٤١١ - ٤٢٧هـ)، ثم المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ)، ثم المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥هـ)، ثم الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٥هـ) ، ثم الحافظ لدين الله (٥٢٥- ٥٤٤هـ) ، ثم الظافر بأمر الله (٥٤٤ - ٥٤٩هـ)، ثم الفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥هـ)، وانتهت دولتهم بنهاية حكم العاضد لدين الله (٥٥٥ - ٥٦٧ هـ) (البلتاجي).

(٣) المعز لدين الله الفاطمي: هو أبو تميم معد بن المنصور (٣١٩ - ٣٦٥هـ) رابع الخلفاء الفاطميين، خلف أباه المنصور(ت٣٤١هـ)، ولد في المهدية، ووطد سلطان الدولة فانقادت له بلاد إفريقيا كلها، احتل قائده(جوهر الصقلي) الفسطاط عام ٣٥٩هـ، وأسس القاهرة التي غدت عاصمة الفاطميين بعد أن استخلف بلكين بن زيري علي إفريقيا، وانتقل إلي مصر، واستولي علي طرابلس وبيروت، وهزم الإمبراطور البيزنطي يوحنا بن شمشيق، شجع العلم والعلماء وأنشأ الأزهر (البلتاجي).

٣٦٥هـ) وتولي القضاء بمصر، وتوفي بها في أواخر جمادي الثانية سنة ٣٦٣هـ [١].

وله: دعائم الإسلام في الحلال والحرام والقضاء والأحكام عن أهل بيت رسول الله ﷺ، وهو الكتاب الأساسي في الفقه والكلام عند الإسماعيلية [٢]، [٣].

قال محقق الكتاب – الأستاذ عارف تامر – في مقدمة (أساس التأويل): (ترددت

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار (٣ / ٣٤١) ، ويراجع في ترجمته ابن خلكان ص ٧٣٧، وروضة الجنان للخوانساوي: ٢ / ٢١٩ (الذهبي) .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، مرجع سابق: ٣ / ٣٤١، (الذهبي) .

(٣) الإسماعيليون :هم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه،ويرون أن الإمامة انتقلت إليه بالنص من أبيه علي ذلك، ويقولون : وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة في عقبه، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلي ابنه محمد المكتوم، وهو أول الأئمة المستورين، وبعده تتابع أئمة مستورون إلي أن ظهر بالدعوة الإمام عبد الله المهدي رأس الفاطميين (البلتاجي) .

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله – في (التفسير والمفسرون) ٢ / ٩ – ١٠ : (ثم إن هؤلاء الإمامية الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب، وبعض هذه الألقاب أسماء لبعض فرقهم وهذه الألقاب هي: الإسماعيلية: لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق – كما قلناه والباطنية: لقولهم بالإمام الباطن – أي المستور، أو لقولهم بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، والمراد منه باطنه دون ظاهره، والقرامطة: لأن أولهم الذي دعا الناس إلي مذهبهم رجل يقال له (حمدان قرمط) والحرمية: لإباحتهم المحرمات والمحارم، والسبعية: لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة :آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسي، وعيسي، ومحمد، ومحمد المهدي المنتظر(سابع النطقاء)، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته، ولابد في كل عصر من سبعة بهم يقتدي وبهم يهتدي، والبابكية أو الخرمية: لاتباع طائفة منهم بابك الخرمي الذي خرج بأذربيجان، والمحمرة: للبسهم الحمرة أيام بابك، أو لتسميتهم المخالفين لهم: حميرا . . .) .

ثم يقول رحمه الله : (و قبل أن أخلص من هذه العجالة أسوق لك كلمة أنقلها بنصها عن أبي المظفر الإسفرايني في كتابه(التبصير في الدين) قال رحمه الله :(واعلم أن الزيدية والإمامية منهم، يكفر بعضهم بعضا، والعداوة بينهم قائمة دائمة، والكيسانية يعدون في الإمامية، واعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون علي تكفير الصحابة، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة، ويزعمون أنه قد كان فيه النص علي إمامة علي فاسقطه الصحابة منه، ويزعمون أنه لا اعتماد علي القرآن الآن ولا علي شئ من الأخبار المروية عن المصطفي ﷺ، ويزعمون أنه لا اعتماد علي الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماما يسمونه (المهدي) يخرج ويعلمهم الشريعة، وليسوا علي شئ من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتي يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد علي هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه علي شئ من الدين) أهـ(التبصير في الدين ص ٢٤ – ٢٥) .

كثيرا قبل أن أقدم علي دفع هذا الكتاب إلي الطبع، وما ذلك إلا لرغبتي التامة في الإبقاء عليه مدة أطول في كهف التقية [١] بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الأخري التي لم يحن وقت نشرها وتعميمها بعد).

(ص٥)

● **ثم قال في مقدمته :**

(إنه – أي أساس التأويل – الكتاب الوحيد بين مجموعة المخطوطات الإسماعيلية الذي يعالج موضوعا معينا هو (التأويل) والسفر النفيس الذي يمثل الفكرة الأساسية لهذا العالم تمثيلا متزنا معقولا، ويعرضها عرضا دقيقا مفصلا) (ص ٥)

● **ثم قال :**

(لقد كان التأويل في عهد الدعوة الإسماعيلية المبكر وفي إبان ازدهارها هو الموضوع الأساسي لكل فكرة فلسفية باطنة، والشجرة التي نمت وترعرعت ثم تفرع منها الكثير من الأغصان، أو بلغة أصح: الأساس الذي تركزت عليه هذه الدعوة الفكرية، والغذاء الذي مون الفسلفة الباطنية بالحكم والمنطق والبيان، ولأجل هذا كله اعتبر (أساس التأويل) لدي الإسماعيلية من الكتب الثمينة، والذخائر الغالية التي تقضي تعاليمها العقائدية بالمحافظة علي سريته وكتمان تعاليمه والسهر علي منع تسرّب المواد العقائدية التي وردت فيه لمن هم من غير الإسماعيليين، وكان هذا يعتبر

---

(١) التقية لغة: الحذر والخوف، أو الكتمان، واصطلاحا: ترك بعض الفرائض في حالة الإكراه أو التهديد بالإيذاء، وليس للتقية شأن خطير عند أئمة أهل السنة، ولكن لها شأنا خاصا عند الشيعة، وهي في الحقيقة صفتهم المميزة، وتقوم التقية علي النية، لذا تجدهم يشيرون دائما إلي النية في هذا المقام، فالشهادة – بوصفها أهم الفرآئض – لا تقوم بصحة الجهر بها فقط، وإنما تقوم بالنية ومن هنا لا يحاسب المسلم إلا علي نيته إذا أكره علي الكفر بلسانه أو التعبد مع الكفار، ولا يمكن أن تمس التقية إلا حق الله تعالي فهو يعاقب المكره – بكسر الراء – ولا ينزل المكره بفتحها – إلا عقابا رحيما في بعض الأحوال.

ويقول الحنفية : (إن التقية رخصة من الله تعالي، وتركها أفضل فلو أكره علي الكفر فلم يفعل حتي قتل فهو أفضل ممن أظهر، وكذلك كل أمر فيه إعزاز للدين، فالإقدام عليه حتي يقتل أفضل من الأخذ بالرخصة.

ولما كانت الشيعة فئة قليلة مضطدة في أغلب أحيانها، فقد كان الاستتار سمة لهم(البلتاجي) ويقول الدكتور الذهبي : (التقية معناها المداراة والمصانعة، وهي مبدأ أساسي عندهم، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس، فهي نظام سري يسيرون علي تعاليمه، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة).

سر العقيدة ومفتاح باب الدعوة، مضافا إلي ذلك أن في الكتاب تأويلا لقصص الأنبياء التي وردت في الكتب السماوية الثلاث: التوراة، والإنجيل، والقرآن، فكل هذا يشكل موضوعا تقضي العقيدة بالمحافظة علي أسراره التامة مما يخرج عن نطاق المفهوم لدي طبقات العامة الذين اعتبروا بأنهم لم ينالوا من الثقافة إلا قشورها، ومن العلوم إلا ظاهرها). (ص٥ – ٦).

● **وقال:**

(قد يكون من الواضح أن التأويل بمعناه الواقعي لدي الإسماعيليين يختلف عن التفسير بمعناه الصحيح لدي عامة الفرق الإسلامية الأخري، فالتفسير معناه جلاء المعني لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ، فإذا سئلنا مثلا ما هو تفسير كلمة: (شجرة)؟ أجبناه: أنها نبتة تغرس صغيرة، ثم تنمو فيتفرع منها جذوع وأغصان ينبت عليها ورق أخضر، وفي الربيع تحمل أزهارا لا تلبث بعد ذلك حتي تعقد ثمرا طيبا .... إلخ.

أما إذا قلنا: ما هو تأويل كلمة: (شجرة)؟ فنجيب: بأن ذلك يتبع رأي المسئول المباشر عن التأويل، قد يقول: إنها حجرة، أو بقرة، أو صخرة، أو غير ذلك مما يجب أن يتلاءم مع الحقيقة والواقع والعقل، فلا يكون غريبا عن التصديق، ولا بعيدا عن الفكر.

إذن فالتأويل هو باطن المعني أو رمزه أو جوهره، وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها ... ومن هنا أعطي النظام الإسماعيلي الفكري صلاحية التفسير للناطق، ووهب صلاحية التأويل للإمام، فالأول اعتبر يمثل الشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، والثاني يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة والباطن » (١) (ص ٦ – ٧).

---

(١) يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: (وإذا نحن أجلنا النظر في مذهب الشيعة، وجدنا أصحابه لم يسلموا من التفرق والتحزب والانقسام في الرأي والعقيدة، فبينا نجد الغلاة الذين رفعوا عليا إلي مرتبة الآلهة فكفروا، نجد المعتدلين الذين يرون عليا أفضل من غيره من الصحابة، وأنه أحق بالولاية وأولي بها من غيره فحسب، ونجد من يقف موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء فلا هو يؤله عليا، ولا هو يري أنه بشر يخطئ ويصيب، بل يري أنه معصوم، وأنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ غير منازع ولا مدافع وإن غلب علي أمره واغتصبت الولاية منه.

ولم يقف أمر الشيعة عند حد الانقسام إلي حزبين أو ثلاثة، بل تفرقت بهم الأهواء – كما قلنا إلي حد الكثرة في التحزب، وكان كل حزب له عقيدة خاصة لا يشاركه فيها غيره، ورأى خاص لا يقول به سواه.

وكان طبيعيا – وكل حزب من هذه الأحزاب يدعي الإسلام ويعترف بالقرآن ولو في الجملة –

أن يبحث كل عن مستند إليه من القرآن ويحرص كل الحرص علي أن يكون القرآن شاهدا له لا عليه فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون دليلا علي مذهبه تمسك به، وأخذ في إقامة مذهبه علي دعامة منه. وما وجده مخالفا لمذهبه حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقا لا مخالفا، وإن أدي هذا كله إلي خروج اللفظ القرآني عن معناه الذي وضع له وسيق من أجله، وإليك طرفا من تأويلات هؤلاء الغلاة.

– من تأويلات السبئية (أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وغلا في حب علي حتي جعله نبيا، ثم بالغ في الغلو حتي جعله إلها، وزعم أنه لم يقتل ولكنه رفع إلي السماء): نجد بعض السبئية يزعم أن عليا في السحاب، وعلي هذا يفسرون الرعد بأنه صوت علي والبرق بأنه لمعان سوطه أو تبسمه، ولهذا كان الواحد منهم إذا سمع صوت الرعد يقول: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

كذلك نجد زعيم السبئية يزعم أن محمدا ﷺ سيرجع إلي الحياة الدنيا، وتأول علي ذلك قوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

– من تأويلات البيانية (أتباع بيان بن سمعان التميمي، وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد ابن الحنفية إلي ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، ثم صارت من أبي هاشم إلي بيان ابن سمعان بوصيته إليه. واختلف هؤلاء في (بيان) – زعيمهم – فمنهم من زعم أنه كان نبيا، وأنه نسخ شريعة محمد ﷺ. ومنهم من زعم أنه كان إلها): نجد بيان بن سمعان التميمي زعيم البيانية، يزعم أنه هو المذكور في القرآن بقوله تعالي: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، ويقول: أنا البيان: وأنا الهدي، والموعظة.

كما نراه يزعم أن الله تعالي رجل من نور، وأنه يفني كله غير وجهه، ويتأول علي زعمه هذا قوله تعالي: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧].

من تأويلات المغيرية (أتباع المغيرة بن سعيد العجلي. وكان يظهر في بدء أمره موالاة الإمامية ثم ادعي النبوة. وادعي أنه يعرف الاسم الأعظم، وزعم أنه يحيي به الموتي ويهزم الجيوش): نجد المغيرة بن سعيد العجلي زعيم المغيرية يقول: إن الله تعالي لما أراد أن يخلق العالم تكلم بالاسم الأعظم، فطار ذلك الاسم ووقع تاجا علي رأسه، وتأول علي ذلك قوله تعالي: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلي: ١] وزعم أن (الاسم الأعلي) إنما هو ذلك التاج.... ويزعم المغيرة أيضا، أن الله تعالي خلق أظلال الناس قبل أجسادهم، فكان أول ما خلق منها ظل محمد ﷺ. قال: فذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١].. قال: ثم أرسل ظل محمد إلي أظلال الناس، ثم عرض علي السموات والجبال أن يمنعن علي بن أبي طالب من ظالميه فأبين ذلك، فعرض ذلك علي الناس. فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة علي ومنعه من أعدائه، وأن يغدر به في الدنيا، وضمن له أن يعينه علي الغدر به، علي شريطة أن يجعل له الخلافة من بعده، ففعل أبو بكر ذلك. قال: فذلك تأويل قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .. فزعم أن الظلوم والجهول : أبو بكر.

وتأول في عمر قوله تعالي: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر: ١٦] والشيطان عنده: عمر.

من تأويلات المنصورية (اتباع أبي منصور العجلي، الملقب بالكسف، الذي زعم أن الإمامة دارت في أولاد علي حتي انتهت إلي أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر، وادعي هذا العجلي: أنه خليفة الباقر ثم الحد في دعواه) نجد أبا منصور العجلي زعيم المنصورية، والمعروف بالكسف، يزعم أنه عرج به إلي السماء، وأن الله تعالي مسح بيده علي رأسه وقال له: يا بني بلغ عني، ثم أنزله إلي الأرض، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قوله تعالي: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [الطور: ٤٤].

وتأولت هذه الطائفة الجنة بأنها رجل أمرنا بموالاته وهو الإمام، والنار بالضد، أي رجل أمرنا ببغضه وهو ضد الإمام وخصمه كأبي بكر وعمر وتأولوا الفرائض والمحرمات فقالوا: الفرائض أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، والمحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم.

– من تأويلات الخطابية (أتباع أبي الخطاب الأسدي وهم خمس فرق، يقولون إن الإمامة كانت في أولاد علي إلي أن انتهت إلي محمد الحبيب – آخر الأئمة المستورين – ابن جعفر الصادق، ويقولون: إن الأئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يقول في أيامه: إن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه، وكان يقول: إن جعفر إله، فلما بلغ ذلك جعفر لعنه وطرده، وكان ابو الخطاب يدعي بعد ذلك الألوهية): نجد من الخطابية من يتأول الجنة بأنها نعيم الدنيا، والنار بأنها آلامها.

ووجدنا منهم من يقول إنه لا مؤمن إلا والله تعالي يوحي إليه، وعلي هذا المعني كانوا يتأولون قوله تعالي: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ [آل عمران: ١٤٥] ويقولون إن معناه بوحي من الله، ويقولون: إذا جاز أن يوحي إلي النحل كما ورد في قوله تعالي ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] .. لم لا يجوز أن يوحي إلينا؟

– من تأويلات العبيديين: نجد أبا إسحاق الشاطبي يذكر لنا عن بعض العلماء: أن عبيد الله الشيعي المسمي بالمهدي، حين ملك إفريقيا واستولي عليها، كان له صاحبان من كتامة ينتصر بهما علي أمره، وكان أحدهما يسمي بـ (نصر الله)، والآخر يسمي بـ (الفتح) فكان يقول لهما: أنتما اللذان ذكركما الله في كتابه فقال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر: ١] ... قالوا: وقد كان عمل ذلك في آيات من كتاب الله تعالي، فبدل قوله تعالي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .. بقوله: (كتامة خير أمة أخرجت للناس).

فأنت تري أن هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون يجدون في صرف اللفظ القرآني عن معناه الذي سيق له إلي معني يتفق مع عقيدتهم، ويتناسب مع أهوائهم ونزعاتهم، وهم بعملهم هذا يحملون القرآن ما لا يحتمله، ويقولون علي الله بغير علم ولا برهان.

– كذلك نجد الإمامية الإثني عشرية يميلون بالقرآن نحو عقائدهم، ويلوونه حسب أهوائهم ومذاهبهم وهؤلاء ليس لهم في تفسيرهم المذهبي مستند صحيح يستندون إليه، ولا دليل =

● وقال:

«من المسلم به، أن التأويل من العلوم التي خص بها الإسماعيليون أئمتهم وسموا لأجله بالباطنية [1]، فقد جعلوا محمدا هو صاحب التنزيل للقرآن كما قلنا، وجعلوا عليا صاحب التأويل، أي أن القرآن أنزل علي محمد بلفظه ومعناه الظاهر للناس، أما أسراره التأويلية الباطنة فقد خص بها علي والأئمة من بعده، وقد أخذ الإسماعيليون بعض آيات القرآن الكريم دليلا علي القول بوجوب التأويل، كقوله: ﴿ **وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث** ﴾ [يوسف: ٦]، وكقوله: ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾ [يوسف: ٢١]، وكقوله: ﴿ **سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا** ﴾ [الكهف: ٧٨]، وكقوله: ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات** ﴾ ... إلي قوله: ﴿ **أولوا الألباب** ﴾ [آل عمران: ٧] (ص٧ -٨).

● وقال:

«هناك أدلة عقلية علي وجوب التأويل أخذت من القرآن الكريم كقوله تعالي: ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم** ﴾ [فصلت: ٥٣].

وكقوله: ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١]، وكل هذا يفسر أن الظاهر وجد للدلالة علي الباطن، وقد اعتبروه ممثولا والظاهر مثلا، والمؤيد في الدين داعي دعاتهم وفيلسوفهم الأكبر يقول في هذا الصدد: «خلق الله الأمثال والممثولات، فجسم الإنسان مثل ونفسه ممثول، والدنيا مثل والآخرة ممثول».

وقال أيضا:

«اقصد حمي ممثوله دون المثل ذا إبر النحل وهذا كالعسل»

(ص ٨)

= سليم يعتمدون عليه وإنما هي أوهام نشأت عن سلطان العقيدة الزائفة، وخرافات صدرت من عقول عشش فيها الباطل وأفرخ، فكان ما كان من خرافات وترهات!!

نعم.. يعتمد الإمامية الإثنا عشرية في تفسيرهم للقرآن الكريم ونظراتهم إليه، علي أشياء لا تعدو أن تكون من قبيل الأوهام والخرافات التي لا توجد إلا في عقول أصحابها) (التفسير والمفسرون: ٢/ ١٤).

(١) الباطنية: هم الذين يأخذون بالمعني الباطن للقرآن ويجعلون لكل ظاهر باطنا، ولكل تنزيل تأويلا.. وأطلق المسلمون هذا الاسم علي فرق عديدة كان لها شأن سياسي، أهمها القرامطة، وهي حركة دينية سياسية اجتماعية لا تزال حقيقتها علي كثير من الغموض لانقراض أتباعها، وتنسب إلي داعيها الأول (حمدان قرمط). وأطلق اسم الباطنية علي فرق الإمامية الإسماعيلية (انظر هامش (١)، (٢) بالمقدمة التاريخية ص ٤٤ من هذا الكتاب - (البلتاجي).

٢ – مختارات من كتاب (مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية)

وهي لمؤلف مجهول: ومكتوب عليها: لا يجوز الإطلاع عليها إلا بإذن من له الحل والعقد [١].

قال في مقدمتها: «أما بعد أيها الأخ... فقد وقفت علي مسائلك التي دلت علي تالق جذوة ذكائك، وعلوك في مرتبة العلم وارتقائك، وسألت الإجابة عنها، وهي – أيها الأخ – تقتضي جوابا من زُبد الحقائق المصونة، وسرائر الحكم المكنونة، ولب الفوائد المخزونة، وأنا أتحقق أنك أهل لأن تطلع علي ذلك، وحقيق بأن تخص بفضل ما هنالك، إلا أنه مما لا يودع في بطون الأوراق، ولا يجب أن يرمق من العيون الشحمية بالأحداق، صيانة له عن إيذائه، وبذله، وخوفا عليه أن يقع إلي غير أهله، بل يجب أن يكون قرطاسة الأذن الواعية، وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها العالية، لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك، والزيادة في إنارة صورتك، كتبت لك في هذه الأوراق، وأنا آخذ عليك عهد الله تعالي وعظيم الميثاق الذي أخذه علي ملائكته المقربين، وأنبيائه المنتجبين، وأئمة دينه الهادين، وحدودهم الميامين، وإلا فأنت برئ منهم أجمعين، لا وقف علي ذلك إلا أنت أو أولادك لا غيرهم، ثم يرد إلي هذه الكراسة بعد أن تحفظ ما فيها، وإن أردت أن تغيب ذلك تركتها عندك مدة ما يحفظ ما فيها، ثم أعدتها إلي، والله علي ما نقول وكيل».

(ص ٥– ٦)

---

(١) ضمن أربعة كتب إسماعيلية، منقولة عن النسخة الخطية (هـ ٧٥) المحفوظة في مكتبة أمبروسيانة – ميلانو، عني بتصحيحها الدكتور شتروطمان، للمجمع العلمي – غوتيغن. وهي:

– الرسالة الأولي: مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية، مؤلف مجهول...

– الرسالة الثانية: (رسالة الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين) لعلي ابن محمد بن الوليد.

– الرسالة الثالثة: (رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد) لعلي بن محمد بن الوليد.

– الرسالة الرابعة: (رسالة الاسم الأعظم) لمؤلف مجهول، طبعت بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٨١هـ (الذهبي).

● قال: «إن الله تعالي نزه أمهات الائمة عن الطمث، كما قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) يعني بالرجس: دم الطمث» (ص ٨).

● قال في جوابه عن قوله تعالي: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ [المطففين:٧ –٨]: «نقول بفضل الله تعالي ومادة وليه في أرضه صلوات الله عليه:

إن سجين هي الصخرة التي تقدم ذكرها (٢) أن فيها العذاب الأكبر، وهي كما قال الله تعالي: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾، ذكر سيدنا حميد الدين أعلي الله قدسه في كتاب(راحة العقل) أن المعني بذلك بكتاب الفجار يعني نفوس الفجار المرقوم فيها ما اكتسبه من الذنوب، وقال (سجين) : صخرة في أسفل الأرض يعذب فيها المخالفون، فعني بـ (كتاب الفجار) إمامهم وأتباعهم الذين انكتبت في نفوسهم المعاصي فاستحقوا بها الكون هنالك بخلافهم للحق. كما قال بعض العلماء في بعض أشعاره:

سجنهم سجين إذ لم يتبعوا علينا ، دليل علينا

وقال الله تعالي: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين:١٨]، فعني بـ (عليين) : عالم الإبداع، و(كتاب الأبرار) : إمامهم ونفوسهم التي انكتبت فيها المعارف الحقيقية وصحت منهم الولاية لأهل الحق، وصفوا وخلصوا فصاروا أئمة بعد أن كانوا مأمورين كما قال الله تعالي فيهم: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [القصص:٥]، فهم المستضعفون؛ يعني المؤمنين الذين يمن الله عليهم فيصيرون أئمة كما تقدم شرح ذلك، ويحصلون في عليين عند صعودهم في زمرة القائم سلام الله عليه الذي به يصيرون عقلا مجردا مثل من يخلفونه من عقول عالم الإبداع الذي هو العاشر، ويرتفع العاشر إلي مرتبة من فوقه، فاعلم ذلك» .(ص١٦ – ١٧) .

---

(١) تجاوز الشيعة في تقديسهم للأئمة فزعموا أنهم معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم، ولا يجوز عليهم شئ من الخطأ والنسيان، بل ذهبوا في غلوهم إلي نفي السنن الطبيعية عنهم وعن أمهاتهم.... فالإمام – في نظرهم – له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء . ويقولون :إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت علي الكفر،وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة – (والآية من سورة الأحزاب:٣٣) .

(٢) ذكر في صفحة ١٢ :(أنها كانت الصخرة التي هي سفل الأرض، وهي علي مثال سفل القدر، في سفلها مسام ضيقة يدخل فيها البخار والدخان الذي يتصاعد من جثث أضداد القائم بعد حرقهم بنار من الآثير، ويصيروا في وسطها، وهي غيران هائلة وأودية عظيمة) (الذهبي) .

● قال: «ولما كان الدين ظاهرا وباطنا قام النبي صلي الله عليه وعلي آله بتبليغ الظاهر، وصرف إلي وصيه [1] نصف الدين وهو الباطن... ولذلك خاطبه بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]، فعني بـ(وجهه) وصيه، وعني بـ(المسجد الحرام) دعوته التي هي الحرم الذي من دخله كان آمنا أو أطاعه واستقام علي ذلك، و(الشطر) الذي ولاه إياه بتأويل التنزيل والشريعة اللذين جاء بهما الرسول صلي الله عليهما وعلي آلهما». (ص٢٠).

● وقال وفي شرحه لقول علي في خطبة النهروان: (إن كلامي مغلق، وعلمي غامض، وحكمتي غزيرة»: (إن مولانا يعني - صلوات الله عليه - يكون كلامه مغلقا، وعلمه غامضا، لأنه إنما ينبئ عن خفيات الغيوب، وما أطلعه الله تعالي عليه بواسطة رسوله صلوات الله عليهما وعلي آلهما من العلم المحجوب، كما قال: «علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم، انفتح لي من كل باب منها ألف باب، أدركت علم ما كان وما سيكون إلي يوم القيامة» فهو إذا تكلم بذلك انغلق علي من لم يتصل بمن عندهم مفاتيحه ولديهم لديجور الشك مصابيحه من أولاده أئمة الهدي عليهم جميعا السلام.

وقوله صلوات الله عليه: «وحكمتي غزيرة» فعني بالحكمة تأويل الكتاب الكريم ودرر حقائقه وهي التي ذكرها الله تعالي في آيات من الكتاب كثيرة بقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، وكرر ذكر الحكمة مع الكتاب في آيات كثيرة. فالكتاب هو ظاهر القرآن الكريم، و الحكمة تأويله ومعانيه... والغزارة التي ذكرها في الحكمة هو، يجيب علي المسألة بسبعة أجوبة، وبسبعين، وبسبعمائة، كما ذكر ذلك مولانا الصادق صلوات الله عليه... وهذه الغزارة التي لا نهاية لها ولا حد يحقق ذلك قول الله تعالي: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]. (ص٣٢).

● وقال عن قوله تعالي: ﴿الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧]: «إن حكم الآية يعم جميع من تقلد عهد النبي والوصي والإمام، وأعطاه صفقة يمينه علي الائتمار بأمره فراقت الدنيا في عينه، واستهوته زخارفها فمال إليها، واستبدل الذي هو أدني بالذي هو خير، فباع ما كان

---

(١) يعني عليا كرم الله وجهه.

قد اشتراه من الله من الجنة الباقية بالدنيا الحقيرة الفانية، وانسلخ من جملة من عناهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١]، فلم يستحق لنكثه أن يكون له في الآخرة خلاق ولا نصيب في الخير، ولا يكلمه الله ولا أن ينظر إليه يوم القيامة ولا أن يزكيه ، كما يستحق ذلك المؤمنون، بل خلده بفعله في عذاب أليم». (ص٣٤ – ٣٥).

● وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] . . . إلى آخر الآية: «جعل العقل الأول نور السموات والأرض. . . ثم قال: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾، فعني بالمثل من قام مقامه في عالم الطبيعية، وهو النبي صلى الله عليه وعلى آله، وكان ما اتصل به من الوحي وأيد به من التأييد ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾ وهي الكوة، فأعلمنا سبحانه أن ما استفاد الناطق من المعارف الإلهية المضمنة في الكتاب والشريعة هي – أعني المناسك الوضعية للمعارف الإلهية – كالخزانة التي عنها تؤخذ، و﴿ فِيهَا ﴾ توجد أنوار الملكوت التي كني عنها بالـ ﴿ مِصْبَاحٌ ﴾ وإن كانت تلك الموضوعات لا تعرف المعاني كما لا تشعر الكوة بالمصباح، ثم قال: ﴿ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ فالمصباح كناية عن العلوم الإلهية، والزجاجة كناية عن الأئمة عليهم السلام، وتلك المعاني والمعارف هي الأنوار القدسية محيط بها الأئمة القائمون بها، يجمعونها ويحفظونها ولا يفارقونها، فتضيئ ذواتهم بها وذوات غيرهم من أتباعهم الطالبين لها إحاطة القنديل وإضاءته لما حوله، وقوله تعالى: ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ كناية عن الوصي، فعني أن الأئمة عليه وعليهم السلام في استنباط المعارف الدينية والحكم النبوية كالوصي عليهم جميعا السلام فيما انفتح له ظاهرا ، وباطنا من الحكم، واحتوي عليه من العلوم، وقوله: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾، فالشجرة المباركة كناية عن النبي ﷺ وعلى آله، فوصف الكوكب الدري بأنه يستنبط المعارف من وضائع الشجرة المباركة التي هي الناطق، وأن الأئمة عليهم السلام يشاكلونه في استنباط ذلك وإن كانوا لا كهو في الرتبة لكون مرتبة الوصاية مالكة لمرتبة الإمامة، وقوله: ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ يعني أن الأئمة بمثابة الزيتون الذي هو ثمرة تلك الشجرة، وقوله ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ يعني ليسوا في رتبة النبوة التي هي الدعوة الظاهرة فيكون شرقية مثلها، ولا في رتبة الوصاية التي لها الدعوة الباطنة فيكون غربية مثلها، بل شرقية غربية جميعا بقيامهم مقامهما وحفظهم مكانهما، ولهم في جمعهم وقيامهم بذلك مرتبتان هما الممثلان بالشرق والغرب، وقوله تعالى: ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ الزيت: ما خرج من الزيتون من دهنه وهو مثل الكلام والفوائد التي تؤخذ من الأئمة عليهم السلام، يقول: تكاد معرفتهم وكلامهم في إفادتهم وتعليمهم وهدايتهم التي تخرج منهم

لفظا وإن لم يكن عن الوصي المشبهة بالنار تشبه معرفة كلام أولي الوحي، وقوله تعالي: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يقول: يفتح منه أنوار علوم زيادة علي زيادة بظهور إمام منهم عن إمام، و قوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يقول: وكل منهم في زمانه قائم.... [1] وقوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: وهذا القائم...[2] ومقام رسوله يقيم خلفاء له في الجزائر يدعون الناس إلي الله وإلي عبادته ومعرفته ما جاء به النبي صلي الله عليه وعلي آله، ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: وهذا القائم...[3] ومقام رسوله بكل شئ من أمور الدنيا وأمور القبلة، وأحكامها وما فيها من النجاة، عليم خبير لا يشتبه عليه شئ منه» (ص ٣٦، ٣٧، ٣٨).

● وقال: «إن قسط الناطق تلاوة القرآن وبسط الشريعة، وقسط الوصي شرح التأويل وإيضاح الحقيقة» (ص ٤٢) [4].

● وقال عن قوله تعالي: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]... الآية: «إنه عزير النبى عليه السلام وهو من الحدود الداعين فى دور موسى عليه السلام كان قد نظر إلى دعوة خمل أمرها ومات ذكرها وامتحن أهلها وحدهم محنة شديدة فقال فى نفسه: ما أظن أن يرجع إلى هؤلاء بعد هذا الانقطاع عن الخير بلا مادة ولا تأبيد يحيون به، فأراد الله إظهار قدرته فى نفسه فأنساه مراتب الحدود التسعة والتسعين الذين هم أسماء الله الحسنى ومرتبة إمام عصره الذى هو المسمى، ثم بعثه: يعنى مباحثة حده له عن ذلك فلم يعرف منها غير حده الذي هو كاليوم منها ونفسه التى هى كبعض اليوم بقوله: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فلم يعترف إلا عن ذلك فاعلمه حده بما نسي من تلك الأسماء بقوله: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يعنى يتغير، وهو أنه أمره أن ينظر فيما معه من علم الظاهر الذى هو كالطعام، وعلم الباطن الذى هو كالشراب ليقوم له منه برهان مراتب تلك الحدود، وقوله: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ إشارة فى هذا الموضع إلى حده الذى يحمل عنه ثقل الطلبة كما يحمل الحمار ثقل راكبه ويريح عليه من تعب المسير، والحمار المذموم هو من علماء المخالفين، والحمار المحمود وهو من علماء الحق ولذلك ما صار فى اليهود يتباركون بحافر حمار عزير لما سمعوا له من التشريف فلزموا المثل وتركوا الممثول» (ص ٥٧ – ٥٨).

● وقال عن قول النبى ﷺ: «لخلوف فم الصائم أحب إلى الله من رائحة

---

(١)، (٢)، (٣) في مكان هذه النقط وضع حروفا وأرقاما يرمز بها إلي أشياء مصطلح عليها بين الطائفة، وأنا لم أفهم لها معني (الذهبي).

(٤) وراجع ما كتبه علي هذه الآية ص ١١١، ١١٢.

المسك»[١]: «إن الصائم مثل الكاتم لدينه وعلمه عمن لا يستحقه، والخلوف هو ما يطلع على الإنسان من بخار المعدة ولتعطلها عن الطعام، فأشار بذلك إلى ما يكون عند الحدود من الصمت عن الكلام فيما لم يؤذن لهم به ولم يحضر أهله وإن كان مكروهاً لعدم الفائدة كما تكره رائحة الخلوف لتغير ريحه، فإن ذلك الإمساك أحب إلى الله تعالى من إبدائه إلى غير أهله وفى غير وقته، وشبهه لديه تعالى برائحة المسك الذى هو أطيب المشمومات لفضل الكتمان عنده». (ص ٦٩).

● وقال عن قوله تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١]: «إن الله تعالى قدَّر دور الستر على مدة معلومة وجعل حساب الخلائق وثوابهم وعقابهم عند انقضاء تلك المدة وفراغها، فأعلمهم تعالى فى هذه الآية أن ما وعدهم به من الثواب وأوعدهم به من العقاب يكون عند فراغها، فذلك معنى قوله: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ فنسب فراغ المدة إليه إذ هى عن أمره تعالى، وإلا فلا يُنسب إليه اشتغال ولا فراغ على الحقيقة» (ص ٧٢).

● وقال: «إنّ أبواب الجنة الثمانية هم الأئمة السبعة والقائم، على ذكره السلام. وأبواب النار السبعة هم أضداد الأئمة السبعة، والقائم لا ضد له لقهره الأضداد عند قيامه» (ص ٧٣).

● وقال عن قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]: «وهم الذين قال فيهم مولانا الصادق صلوات الله عليه: «والله ما يبدل الله السيئات حسنات إلا لشيعتنا» (ص ٨٩).

● وقال فى قصة آدم وإبليس: «إنّ آدم عليه السلام لما أقيم فى أول دور الستر نُهِىَ عن كشف الحقائق وهى التى بها النجاة، وهى بالحقيقة شجرة الخلد والمُلْك الذى لا يبلى، لكون معرفتها مع الأعمال الصالحة مورثة لعارفها الخلد فى دار النعيم والمُلْك الذى لا يبلى، ولما تأخر الحارث[٢] عن السجود لآدم ورأى ما وقع من التعظيم لآدم ورفع منزلته، فاحتال فى مكيدته فجاءه على وجه النصح وأقسم له على ذلك وقال: إن أردت صلاح من صرف أمره إليك فهم لا يصلحون إلا بأبداء الحقائق، فانخدع عليه السلام وظن أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، فأظهر شيئاً من ذلك فأنكره

---

(١) من حديث أخرجه أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ونصه: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، قال الله عزَّ وجلَّ: إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يدع شهوته وطعامه من أجلى، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (البلتاجى).

(٢) اسم الشيطان.

ما تحت يده واضطرب على أمره، وكان فى ذلك ترك وصية ربه، فسائر قصته المعروفة» : (ص ١٠١) .

● وقال عن تأويل ليلة القدر إلى قوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر:٤] .. إلى آخر السورة : «إن ليلة القدر مثل على مولاتنا فاطمة عليها السلام، لأن الليالي مثل على الحجج وهى حجة مولانا........(١) وقال الله تعالى : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] : يريد أن فضلها زائد على فضل ألف حجة ممن تقدمها، لأن الشهور أيضاً أمثال الحجج، وقوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٤ - ٥] : يعنى بالملائكة والروح الأئمة من ذريتهما الذين من جملتهم القائم المكنّى عنه بالروح، وأنهم صلوات الله عليهم من ذُرِّيتهما ونسلهما إلى طلوع الفجر بقيام قائمهم صلوات الله عليهم أجمعين عند انقضاء دور الستر وابتداء دور الكشف الذى هو ممثول الفجر» (ص ١١٤ - ١١٥) .

● وقال عن قوله تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] : «الجواب ما قال الله تعالى فى صفة الأئمة صلوات الله عليهم وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وذلك ان الله تعالى اطلعهم بمادته وتأييده لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم، فما يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا وعندهم - صلوات الله عليهم - علمه مما أخذوه عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، كما جاء فى الرواية عن مولانا الصادق - صلوات الله عليه - أنه قال يوماً لبعضهم ما كان البارحة عاملاً فى دار فلان، فاستحى الرجل من كلامه صلوات الله عليه، فقال بعض مَن حضره : أوَ تعلم ما يفعل يا بن رسول الله؟ فقال : ما كان الله تعالى ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب عنا شيئاً من أمورهم، استحيوا منا فى السر كما تستحيون منا فى العلانية، فهم صلوات الله عليهم الرقباء والشهداء على الخلق» (ص ١١٥ - ١١٦) .

● وقال عن قوله تعالى فى شأن آدم : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(٢) : «الخطاب من إمام ذلك الوقت عليه السلام للملائكة الذين هم الحدود المالكون أمر الدعوة، يقول : فإذا أقمتُ آدم ونفختُ فيه من روحى، يعنى أمددته بما يقدر على القيام فيمن دونه، فقعوا له ساجدين، أى أطيعوا له واستمعوا وسلِّموا لأمره ولا تعترضوا، فأطاعوا وسلَّموا إلا إبليس وهو شخص ممن كان قد أقيم

---

(١) حروف مقطعة وأرقام يرمز بها لأمور نجهلها، وهى كتابة سرية (الذهبى) .

(٢) الحجر : ٢٩ ، وسورة ص : ٧٢

لإفادة غيره فإنه تكبَّر وأبى عن السجود وعارض آدم عليه السلام، وكانت القضية في ذلك كمثل ما كان رسول الله ﷺ في إقامة وصيه صلوات الله عليهما يوم غدير خم وطاعة مَن أطاعه كسلمان وأبى ذر والمقداد وعمار ومَن تبعهم رضى الله عنهم، وعصيان مَن عصى كالأضداد الثلاثة وتابعيهم، وهذا جار في جميع الأدوار» (ص١١٧).

● وقال عن عليّ: «كيف كان يقتل عن يمينه وشماله وخلفه وقدامه وهو شخص واحد؟ فإذا كانت معجزة فكيف بيان هذه المعجزة؟.. الجواب: أن هذه منه صلوات الله عليه من جملة المعجزات التى تقدّم ذكرها التى لا يقدر عليها إلا الرسول والوصى والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، وفى ضمن كل واحد منهم صلوات الله عليهم من الصور ما لا يحصيه العدد، كل صورة منها قادرة على التشخيص على الانفراد أى وقت شاءت، وقد جاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أنه قال: لما كان فى يوم «أحُد» واشتد القتال، خرجتُ من عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وهو واقف ووصيه معه فى بعض المواضع، فلما وصلت العسكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وعلياً عليه السلام يحملان فى عسكر المشركين فيلقيان الميمنة على الميسرة، والميسرة على الميمنة، ثم عدتُ إلى حيث عهدتهما فوجدتهما قاعدين ما تغير منهما شىء، فهذه الرواية تؤكد ما تقدّم ذكره من التشخيص بما شاءوا - أى وقت شاءوا - صلوات الله عليهم» (ص ١٢٢ - ١٢٣).

● وقال عن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ [النساء: ١].... الآية: «إن المراد بالنفس الواحدة ههنا الناطق صلوات الله عليه، ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، يعنى الوصى عليه السلام المزاوج له فى الدين، ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾، يعنى حدوداً مقيدين بمنزلة الرجال ومستفيدين بمنزلة النساء، قال النبى صلى الله عليه وآله: «أنا وأنت يا عليّ أبوَا المؤمنين» (ص ١٢٣).

● وقال فى قوله: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]: «السلطان هو قائم القيامة الذى يقدر به على خرق الأفلاك بوجيز من القول» (ص ١٢٥).

● قال: «لما سئل عن الأنبياء، والأئمة والمحن التى وقعت عليهم، بم استحقوا المحنة؟ وما عدل الله سبحانه وكيف هذا القصاص؟.. الجواب: أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرَّة، ولا عنده حيف ولا محاباة لأحد، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٨]، ولما كان الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم مجامع لمن دونهم، وكان منهم مَن له ذنب صغير وكبير، كانت المكافأة بالمحن والقتل وغيره على قدر

ذنوب مَن فى ضمنهم بما يوجبه العدل وتقتضيه الحكمة، وما يظلم ربك أحداً » (ص١٢٧ - ١٢٨).

● قال: وقد سئل عن كبش إسماعيل الذى فُدىَ به ما هو؟ الجواب: أنَّ إسحاق عليه السلام هو المكنّى عنه بالكبش، وذلك أن إبراهيم صلوات الله عليه كان قد هَمَّ أن يأخذ العهد على إسماعيل لإسحاق عليه السلام، فأوحى الله تعالى إليه أن يأخذ العهد لإسماعيل على إسحاق ويقيمه ستراً عليه وحجاباً، وهو ما نصه الكتاب الكريم من قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾: يعنى إسماعيل عليه السلام. ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾: اى آخذ العهد عليك لإسحاق. ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]: اى صابراً على ما تامرنى به، مُسَلِّماً لامرك..... إلى قوله: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧]، وهو ما أمرَ به من أخذ العهد على إسحاق لإسماعيل عليه السلام، فإسحاق المكنّى عنه بالكبش» (ص ١٢٨).

● قال عن ردم ذى القرنين: «الجواب: أن الإشارة بذى القرنين إلى مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وقد قال فى بعض كلامه: «أنا ذو قرني هذه الأمة»، والمعنى فى ذلك: أنه الحائز لرتبة الظاهر والباطن بعد رسول الله صلي الله عليه وعلى آله، وكذلك كل إمام من ولده هو الحائز لهذه الرتبة، والردم بين يأجوج ومأجوج وبين البَشر، هو مثل على العهد الكريم الذى حجز به بين أهل الظاهر وبين أهل الدعوة.. وفى الرواية: «أنّ يأجوج ومأجوج قصار الخلق، مشوهو الصور، وأنهم لا يزالون يلحسون السد بالسنتهم فى الليل يطلبون خرقه، وأن السنتهم كمثل المبارد، فإذا طلع الفجر عليهم وأحسوا أصوات المؤذنين هربوا وعاد السد بحاله»، والمعنى فى ذلك أنّ «يأجوج ومأجوج» - كما تقدم به القول - هم أمثال أهل الظاهر، «وقصر قامتهم وشوه خلقهم» هو إشارة إلى قصور دينهم وقصورهم لخلاف الحق وأهله، ومعنى «لحسهم السد بالسنتهم فى الليل» أنهم فى أيام الفترات يتبعون آثار الأولياء ويطلبون تبطيلاً للعهود والمواثيق والا طلاع على مذهب الحق والكفر فيه، «فإذا أذَّن المؤذنون»، يعنى أقام الدعاة الذين هم ممثول المؤذّنين «هربوا»، يعنى قهقروا على أعقابهم وانكسروا وبطل سحرهم وتمويههم «وعاد السد إلى ما كان عليه» يعنى استقامت أمور الدعوة على ما كانت عليه من أخذ العهود والمواثيق والحراسة عن أهل الفساد والعناد» (ص ١٣٠).

* * *

٣ – نُقُول من رسالة «الإيضاح والتبيين» [1]

● قال فى علىّ: «أنا المخاطَب من الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] (ص ١٣٨).

● وقال: «إنّ علياً هو المعنىّ بقول الله تعالى فى مخاطبته نبيه عليهما السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [القصص: ٣٥] (ص ١٣٩).

* * *

(١) وهى الرسالة الثانية من أربعة كتب إسماعيلية منقولة عن النسخة الخطية (هـ ٧٥)، المحفوظة فى مكتبة أمبروسيانة – ميلانو – السابق الإشارة إليها – وعنوانها الكامل: «رسالة الإيضاح والتبيين فى كيفية تسلسل ولادتى الجسم والدين» لعلىّ بن محمد بن الوليد (الذهبى).

هذا.. ولم ينقل فضيلة الشيخ محمد حسين الذهبى – رحمه الله – شيئاً عن الرسالتين الثالثة والرابعة: «تحفة المرتاد وغصة الأضداد»، ورسالة «الاسم الأعظم» (البلتاجى).

٤ - نُقُول من كتاب «مزاج التسنيم» (١)

● **تعريف بالكتاب :**

هو تفسير باطني يبدأ من قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ **يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ** ﴾ [التوبة:٩٤] وينتهي عند آخر قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ **خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

وهو مطبوع في أربعة أقسام مسلسلة الأرقام يبدأ القسم الأول من صفحة (١) وينتهي القسم الرابع بصفحة (٣٧٠) .. وفي آخر القسم الرابع فك رموز الكتابة السرية الموجودة بالكتاب.

● قال في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...** ﴾ [التوبة: ١٠٧] إلى آخر الآية، ما نصه: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا** ﴾: وهم أشر أقسام أهل الإضرار، ممن يظهر في دور الستر، ﴿ **مَسْجِدًا** ﴾: يعني بعبد اللات إمام الضلالة لما نصبوه لهم قائداً باختيارهم، وذلك جار منهم في أول كل دور عطفاً على ما سبق من ابتداء الدعوة الإبليسية، ﴿ **ضِرَارًا** ﴾، لكي يضاروا به أهل الندم من أهل النسبة الأدون، ﴿ **وَكُفْرًا** ﴾: يعني بمقام حجاب العين، ﴿ **وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾: يعني بين أهل الدعوة الإسلامية، ﴿ **وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾: يعني مركزاً لهم يأوون إليه، ﴿ **مِن قَبْلُ** ﴾: يعني من حال ابتداء تلك الدعوة الإبليسية، ﴿ **وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى** ﴾: يعني بالدعاء إلى الحجاب النبوي، ﴿ **وَاللَّهُ يَشْهَدُ** ﴾: يعني الميم، ﴿ **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾: يعني فيما يقولون سابقاً ولاحقاً، وأيضاً أن هذا المسجد الذي كانوا يجتمعون فيه في وقت الرسول ويعقدون فيه الآراء الفاسدة، أنه من البقاع الخبيثة التي كانوا يجتمعون بها في كل دور، ويتصل بها خبائث من حثالاتهم، وهي تلحق بالسقيفة بالرجاسة...» إلخ (ص ٨ - ٩).

● وقال في شرحه لأول سورة يونس: ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [يونس: ١ - ٢] ما نصه: ﴿ **الَر** ﴾: إقسام منه بـ «ألف» الفاطر المتفرد في المقام، و «لام» الحسين، و «راء» شبر اللذين صارا مقاماً واحداً، ﴿ **تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾: يعني إشارة إلى أسماء الكرار وصفاته، ﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا** ﴾: يعني أهل النسبة الأدون، ﴿ **أَنْ أَوْحَيْنَا**

(١) كتاب مزاج التسنيم، من تأليف ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله بن إبراهيم الإسماعيلي السليماني، عني بتصحيحه الدكتور شتروطمان، للمجمع العلمي غوتينغن، عن النسخة الخطية (هـ ٧٦) المحفوظة في مكتبة أمبروسيانة - ميلانو (الذهبي).

﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: يعنى من مجموع صفو زبدهم الريحية وصورهم الملائكية، ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: يعنى بحجابه وهم أهل الجرائر وذلك من مخالفة وصيه فى الظاهر (T ٩ T J . علـ . TV2)[1]، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: يعني بوصيه فى الباطن (J l i H عل)[2] المحتجب به الفاطر ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: يعني الحسين بالانضمام إليه، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ﴾: يعنى بهذه المقامات، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾: يعنى تعمية للعقول إرادة منهم الدحض لأمر مَن أمروا بطاعتهم» (ص ١٥).

● وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا...﴾[3]، ما نصه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: يعنى حجابه، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾: يعني يشير إلي حجاب ولده إسماعيل المتظاهر به فى مقر دعوته فى كل دور، وذلك بمكة المشرفة التى صارت مركزاً لخمائرهم الشريفة، وأيضاً أن دعاءه متوجه بالأمان إلى ما يتصل بتلك البقاع الطاهرة من خمائر أهل الندم لكي لا يلحقها ويمتزج بها شيء من الخبائث التى فى تلك المواضع المظلمة، ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾: يعنى حجب الأئمة القائمين هنالك لهداية أهل الجرائر، ﴿أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: يعنى يشير إليهم شيء من المراتب يقومون بها فى الدعوة وهم أعنى بذلك الأضداد، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾: يعنى من المأنوسين بالدعوة وذلك سابقاً ولاحقاً لكونهم مالوا إليهم فى حال المحارات، ﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾: يعنى فى حد الابتداء، ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾: يعني فى حد الانتهاء، ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾: يعنى فى قبول ما دعوت إليه، ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يعنى ساتر لمن أطاعك رحيم به لأنه أشار بالرحمة إلى العصاة» (ص ١٠٠ — ١٠١).

● وقال فى تفسير قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾[4] إلخ، ما نصه: ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾: يعني العين، ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: يعنى إمامين، وهو صاحب الولاية وضده، ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: يعني المقام فيها (J L I H عل)[5]، ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾: يعنى من مخالفة أمره، ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعنى التصرف فى أمور الدعوتين، ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾: يعنى الإمداد للأبواب السلسية يصبه إليهم فى كل عصر، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾: يعنى الميم المحتجب به، ﴿تَتَّقُونَ﴾: يعنى من المخالفة» (ص ١٢٣).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾ إلخ[6]، ما نصه: «قال مولاى الحسام: يعنى عند قيام السابع يدعى

---

(١) أبيّ بن كعب . (٢) سلمان . (٣) إبراهيم: ٣٥ وما بعدها .
(٤) النحل: ٥١ وما بعدها . (٥) سلمان . (٦) الإسراء: ٧١ وما بعدها .

أهل كل وقت بمن هو إمام لهم وشاهد عليهم؛ ثم قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾: يعني وجد اعتقاده في الوصي مثل اليمين، ﴿ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾: يعني يظهرون ولاية إمامهم، ﴿ وَلا يُظْلَمُونَ ﴾: يعني في ثوابهم، ﴿ فَتِيلاً ﴾: والفتيل ما في شق نوى التمرة، يعني: لا يظلمون آخر ما فعلوه ووالوا به وكان شيئاً يسيراً من الولاية المرموز عليها بالفتيل. هذا قوله أعلى الله شريف قدسه.. ثم قال تعالى مخاطباً لأهل دعوة الناطق: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ ﴾: يعني في المقامات البَشرية عن معرفة الحق الموجب ما كان منه سابقاً، ﴿ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾: يعني في القوالب الممسوخة، ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾: يعني أبق، وأيضاً مَن ظهر وهو في التراكيب البَشرية أعمى عمي في غيرها، ثم قال تعالى مخاطباً للحجاب النبوى: ﴿ وَإِن كَادُوا ﴾: يعني أولئك الأجبات، ﴿ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: يعني يصدونك كما جرى ذلك من أصولهم إلى أصلك، ﴿ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾: يعني من إقامة الوصى الذى هو من (. ح T . ٧ ط ٩)[1]، ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾: يعني بنصب جبتهم الموازين له في كل كرّة، ﴿ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴾: يعنى مخالاً لهم في أمورهم النكيرة» (ص١٥١ – ١٥٢).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا... ﴾ إلخ[2] ما نصه: ﴿ وَقَالُوا ﴾: يعنى مجاثم الضلال كبراء هذه الأمة، ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾: يعني نستسلم استسلام معرفة ويقين بمقام مَن أقمته للوصاية، ﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ ﴾: يعنى تظهر لنا من دعوة الباطن، ﴿ يَنبُوعًا ﴾: يعنى بابها السلسلى نستفيد منه مشافهة، ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾: يعنى دعوة، ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ ﴾: يعني من حدود الحضرة، ﴿ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ ﴾: يعني الأسرار المحجوبة، ﴿ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴾: يعني يتخلل بها الكل منهم ومن أهل الدعوة حتى يستووا في معرفتها، ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾: يعنى يقيم لهم وصياً منهم كما زعمت، يعنى بما كان أوهمهم من إشراكهم في الأمر وذلك طلباً من الحجاب النبوى تسكين شرهم كما أوهم ذلك فيما سبق، ﴿ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ ﴾: يعنى المحتجب بك، ﴿ وَالْمَلائِكَةِ ﴾: يعنى بحدود الدعوة العمرانية العلوية، ﴿ قَبِيلاً ﴾: يعنى نشاهدهم مقابلة ومعاينة، ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾: يعنى وصياً، يشيرون إلى جبتهم المزخرف، إذ هى مأوى للصور المنكرة المتزخرفة بالإفك. ﴿ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ ﴾: يعني تدعي مقام مرسلك، ﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴾ يعنى الارتقاء إلى ذلك المقام، ﴿ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا ﴾: يعنى تنصب لنا إماماً منا، وكان هذا دأبهم في

---

(١) حجب على . (٢) الإسراء: ٩٠ وما بعدها .

كل دور بحسب ما اختاروه ومالوا إليه فى حال المحارات. وجمد على ذلك مائع تصوراتهم مع الانحدار، ﴿ نَقْرَؤُه ﴾: يعنى يتصورون من تصوره بالاستفادة منه.. ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾: يعني تقديساً للمحتجب به أن يكون فى مقامه أو يقيم وصياً بغير أمره، ﴿ هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً ﴾: يعنى من أحد حدود أهل النسبة الأدون المباشرين لكم، ﴿ رَّسُولاً ﴾: يعنى منه إلى مَن أرسل إليهم سابقاً» (ص١٥٥).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة مريم: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴾ الآيات [مريم: ٧٥]:- ما نصه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلالَةِ ﴾، يعني عن اتباع العين وحجبه، ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴾: يعني الميم بأمر العين، ﴿ مَدًّا ﴾: يعني من الإمهال، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ﴾: يعني في التراكيب، ﴿ وَإِمَّا السَّاعَةَ ﴾: يعني عند ظهور القائم المنتظر، ثم قال تعالي: ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ يعني عند مشاهدتهم ذلك، ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾: يعني مأوي، ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾: يعني أنصارا، ثم قال تعالي: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ ﴾: يعني إمام كل زمان، ﴿ الَّذِينَ اهْتَدَوْا ﴾: يعني إلي الندم سابقا، ﴿ هُدًى ﴾: يعني في ظهور فضلاتهم وذلك في المعرفة والصفاء والإنارة، ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾: يعني الذين بقوا علي الطاعة وصلحت نياتهم علي القيام بصلاح الدعوة في الحديث عطفا منهم علي ما سبق في القديم، ﴿ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾: يعني العين، ﴿ ثَوَابًا ﴾: يعني إثابة في صعودهم فس سلاليم الصعود، ﴿ وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾: يعني يأوون إليه عند ترتيبهم في النواسيت واللاواهيت، ثم قال تعالي: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾: يعني «حبتر» كفر بحجاب الوصي وحدوده في كل دور، ﴿ وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾: يعني علما وأتباعا وترشحا منه للفساد، ولذلك تظاهر بدخوله في الملة الإسلامية تملقا ليبلغ مرامه من الإغواء، وكان ذلك بمقتضي ما انعقد في وهمه الخبيث، ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ﴾: يعني علي علم الباطن، ﴿ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾: يعني عند الناطق مقاما يعهد به إليه ويشير، ﴿ كَلاَّ ﴾، يعني إقساما لا يكون ذلك، ثم قال تعالي: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ﴾: يعني في تصوره المظلم ما كان منه من التعدي والتمويه، ﴿ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾: يعني ما يقترفه من تلك السيئات، ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ ﴾: يعني ما طلبه من الإمهال سابقا ولاحقا، ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾: يعني في العذاب الأدني والعذاب الأكبر لتفرده في أليم العذاب علي أتباعه، ثم قال تعالي: ﴿ وَاتَّخَذُوا ﴾: يعني أهل الإصرار، ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾: يعني إمام كل زمان، ﴿ آلِهَةً ﴾: يعني أئمة وهم الذين اتخذوهم سابقا ومالوا إليهم، ﴿ لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾:،يعني في معادهم يعتزون بهم، ﴿ كَلاَّ ﴾ يعني

امتناعهم بذلك المزام الفاسد، ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾: يعني بتعبدهم لهم بالطاعة ويتبرأون منهم، وذلك حين يكشف لهم أنواع العذاب، ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾: ويعني يضادونهم بالتعذيب لهم والتهويل والإحراق لهم بتصوراتهم النارية» (ص١٩٧ – ١٩٨).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة الأنبياء: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ ﴾ إلخ [الأنبياء ١٦ وما بعدها] ما نصه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ ﴾: يعني رتبنا (J I H عل) [١] في مقام الوصاية الباطنة دليلا علي (H, I J ٩ عل) [٢]، ﴿ والأَرْضَ ﴾: يعني رتبنا (TJ T٩ ج T. V عل) [٣] في مقام الوصاية الظاهرة دليلا علي (H I J عل) [٤] ﴿ وما بَيْنَهُمَا ﴾: يعني من الحدود في الدعوتين، ﴿ لاعبين ﴾: يعني مستهزئين في إقامتهم، ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾: يعني «حبتر»، ﴿ لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾: يعني لأقمناه منا، ولكن لا تكون الظلمة كالنور ولا الظل كالحرور، ﴿ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾: يعني إقامته. ثم قال تعالي: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ ﴾: يعني مقام حجاب (J I 2 عـ J عـ) [٥]، ﴿ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾: يعني مقام الضد، ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾: يعني لظهور أمر (J I 2 عـ J عـ) [٦] لاسيما عند تمام مدة مهلة الأجبات، ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾: يعني عن مقام ما يدعيه من الخلافة، ثم قال تعالي مشيراً إلي فريق الإصرار: ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾: يعني أن حبتراً لحجاب (J I 2 عـ J عـ) [٧].

(ص ٢٢٥)

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة الأنبياء: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ... ﴾ إلخ [الأنبياء ٨٣ وما بعدها] ما نصه ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾: يعني إمام زمانه وهو كان من أبوابه وصار مجمعا عظيما من الأعضاء الرئيسية أولا في دور المسيح وآخرا في المجمع المحمدي، ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾: يعني إشارة إلي حجابه الذي حصل منه وممن في جواره التوقف في أحد أعضاء الهيكل العلوي وهو المستقر في ذلك الزمان فابتلي باضطراب أهل دعوته وكثرة المنافقين وتغلبهم، وجري ذلك منهم في كل دور عند ظهور فضلائهم، ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾: يعني ذلك الابتلاء، ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴾: يعني أهل دعوته الذين كان ظهور فضلائهم فيها في كل كرة، ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾: يعني من غير أهل دعوته، استجابوا له وصلحوا علي يديه، ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾: يعني ساقهم إليه وهداهم به

---

(١) سلمان. (٢) الحسين. (٣) أبي بن كعب.
(٤) الحسن. (٥، ٦، ٧) الكرار.

وخصهم بذلك كما اختصه في ابتداء الفطرة، ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ : يعني للمتعبدين منهم بطاعته ذكرهم بالهداية وقادهم إليها » (ص٢٣٥).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة المؤمنون: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ... ﴾ إلخ [المؤمنون ٨٤ وما بعدها] ما نصه : ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾ : يعني الدعوة وحدودها، وأيضا الأرض الظاهرة ومن فيها، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ : يعني المدبر، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ : يعني أنه العين تعالي علاه، ثم قال تعالي: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ﴾ : يعني الذي تكون منه مراتب السبعة الأتماء الذين أحاطت مراتبهم علي أكثر المراتب لكونهم أشرف مقامات الدور العمراني، ومقامات أهل الدور العمراني أفضل ممن تقدمهم في الأدوار – وقد أشار إلي ما لهم من علو المنازل في الهيكل القائمي، ولأنهم وحدهم وأبيهم صاحب كنز الوالد بما هذا فصه أعلي الله قدسه ورزقنا شفاعته وأنسه : وأتماء دوره مثل فاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وإسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل سابعهم، منهم حاسة السمع، ومنهم حاسة البصر، ومنهم حاسة الشم، ومنهم حاسة الذوق، ومنهم حاسة اللمس، ومنهم حاسة التخيل، ومنهم حاسة الحفظ، ومنهم حاسة الذكر، وهؤلاء الثمانية يكونون هذه الحواس الثماني، ومحمد صلي الله عليه وعلي آله حاسة النطق والفطنة (ااVا ٩١ . ل ا ي ا T) [1] والفكرة، ﴿ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ : يعني (ل ا xx ل ↑ عـ) [2] ﴿ يَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ : يعني صاحب الاستقرار، ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ : يعني من مخالفته » (ص٢٧٢ – ٢٧٣).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة النور: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ... ﴾ إلخ [النور: ١١ وما بعدها]: ما نصه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ ﴾ : يعني الذين اختاروا الضد وأقاموا بحسب ما كان منه ومنهم في القديم، ﴿ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ : يعني بتظاهرهم بالدخول في الملة الإسلامية، ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ﴾ : يعني نكوصهم لأنه بذلك امتاز الخبيث من الطيب، ﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : يعني ترافعت درجاتكم وتلألأت صوركم. ثم قال تعالي: ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ : يعني بقدر ما يصرفه من الضلال أو عمل به سابقا أو لاحقا، ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ : يعني معظم أمر الضد منهم وهم أهل السقيفة، ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ : يعني متضاعف علي غيرهم في جميع أبواب العذاب الأدني والأكبر، ثم قال تعالي: ﴿ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾، قال مولاي ذو

---

(١) وعلي القلب (في الأصل : الكلب).

(٢) الفاطر.

الحدين قدس الله روحه في ذلك: يعني نص النبي علي الوصي، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾: يعني بمستفيدهم، ﴿خَيْرًا وَقَالُوا﴾: يعني أولئك المخالفين، ﴿هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: يعني كذب بين، ثم قال تعالي: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾: يعني علي صحة أنه ضدهم، ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾: يعني يشهدون بأربعة دلائل، الأولي: كونه من أهل بيت النبوة، والثانية: إثبات الإمامة في عقبه، والثالثة: الإشارة من الله ورسوله إليه، والرابعة: كونه في مقام العصمة، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾: يعني بهذه الدلائل، ﴿فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾: يعني عند الناطق، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: يعني عليه بالإشارة إلي من ليس يستكمل خصال الوصاية» (ص٢٧٩ – ٢٨٠).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣، وما بعدها] ما نصه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: يعني الدعاة، ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾: يعني في قوانين الدعوة عند ظهور فضلائهم في الأدوار، ﴿هَوْنًا﴾: يعني بوقار، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾: يعني بمقاماتهم، ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: يعني أجابوه بلين وحسن عبارة ووعظ، وذلك دأبهم في كل ظهور، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾: يعني صاحب عصرهم، ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾: يعني متوجهين إليه بالعبادة ظاهرا وباطنا، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾: يعني إمام زمانهم الذين هم دعاة إليه، ﴿اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: يعني الإدراك، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: يعني هلاكا، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾: يعني أسوأ مستقر لمن دخلها، ﴿وَمُقَامًا﴾: يعني لمن أقام فيها، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: يعني من علوم صاحب الدعوة الهادية وأمواله لكونهم معصومين به، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾: يعني متوسطا بين الحالين، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ﴾: يعني ولي أمره، ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾: يعني إماما ثانيا، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: يعني بواجب لدي الجهاد أو في أمر توجبه الشريعة، وأيضا لا يسقطون أحدا من مرتبته إلا باستحقاقه لذلك لموجب ما صدر منه من الذنب الذي جري عليه في الكرات، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: يعني يتعدون إلي شئ من الخدم في غير جرائرهم التي أمرها مصروف إلي سواهم من الدعاة، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: يعني من الذين هم غير معصومين، ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: يعني ظاهرا وباطنا، ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يعني من يوم انتقامه يجدد عليه في القوالب، ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾: يعني في الصخرة، ثم قال تعالي: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾: يعني رجع إلي التوبة وأقلع عن ذلك الذنب، وكان ذلك منه المتاب بحسب ما انعقد في ضميره ولابد له من التصفية

والتطهير بقدر ذلك الذنب: ﴿ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾: يعني بالدعوة إلي ولي أمره، ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ ﴾: يعني ولي الزمان المتولي للتدبير ﴿ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ يعني تلك الذنوب التي ابتنت في صورهم ظلمات وما كانوا قد ترتبوا فيه من الضدية، ﴿ حَسَنَاتٍ ﴾ يعني بمراتب من مراتب أهل الحق وبصور نورانية من فعلهم ذلك وتلك التخيلات التي قد انقشعت عنهم تلتئم ثم تكون لها أهلا من أهل العناد، ثم قال تعالي: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ : يعني لمن تاب إليه » (ص ٣٠٦ – ٣٠٧).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في أول سورة الشعراء: ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الشعراء١ :٢]، (ما نصه : قال الله تعالي: ﴿ طسم ﴾ : إقسام من العاشر بمجمع المعين الذي جمع مجامع النطقاء والأسس والأئمة، لكون الطاء من النطقاء، والسين من الأسس، والميم من الأئمة، وأيضا أن عدد الطاء تسعة، وعدد السين والميم مائة، فدلتنا المائة علي أن مجمعه حوي من الصور الكلية التي سلمها إليه العاشر يوم (ل ا Y B ٩ عـ) [١] من المركزية والاستقرارية مائة صورة، ثم علي تسعة مجامع عظام رجعت إليه وهم: الميم والفاء وأسابيع الدور المحمدي فأقسم بها تعالي، وكان وضع الطاء في أول الحروف هذه إشارة أن العين الأولة أول ما تسلم إلي العين الآخرة من المجامع الميم والفاء وأسابيع الدور المحمدي، ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ : يعني مقامات (ل ا، H ٩ عل) [٢]، قباب الأنوار من ولده لكونه الكتاب وهم آياته » (ص ٣٠٩).

● وقال عند تفسيره لقوله تعالي في سورة العنكبوت: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾ إلخ [العنكبوت:٨] ما نصه: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ ﴾ : قال مولاي الحسام في حقيقة ذلك: يعني محمد بن أبي بكر، ﴿ بِوَالِدَيْهِ ﴾ : يعني الضالين اللذين كان استفادته أولا منهما، ﴿ حُسْناً ﴾ : يعني أن يدعوهما إلي ولاية الوصي، ثم قال تعالي: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ : يعني أن تشركهما في مقام الوصاية، ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ : يعني أنهما يستحقانه، ﴿ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ : يعني فيما أمراك به، ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ : يعني دعوتهم إذا قام السابع، ﴿ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ : يعني من صرف الدعوة) (ص ٣٦١).

● ما في آخر النسخة:

« وكان الفراغ من زبر هذا الكتاب الموضح من الأسرار لما هو لب اللباب يوم الأحد

---

(١) الغدير. (٢) الحسين.

خامس عشر شهر رجب الأصب (هكذا) [١] سنة ١١٧٣هـ وذلك من مسودتها التي هي بخط مؤلفها سيدنا الداعي الجليل عديم النظير والمثيل: ضياء الدين ودرة تاجه والإكليل، إسماعيل بن سيدنا هبة الله أيده الله بالنصر والظفر، وبلغه في رفع بناء الدعوة كنه الأمل والوطر، وذلك بحصنه السعيد وقصره الشامخ المشيد من محروس نجران ببلاد يام حرسها الله من الأشرار اللئام، وذلك بخط العبد الضعيف، البائس الذليل اللهيف، أحقر عبيد مولاه، وأحوجهم لعفوه ورضاه، عبد الله بن سيدنا علي ابن هبة الله، وفقه الله لما يحب ويرضي، وختم له بالحسني، فيجب علي من قرأه أن لا يتركه من الدعاء بأن الله يرحم لطيفه وكثيفه، ويسرع بانضمامه إلي جوار جده وأليفه، وأجره علي من لا يضيع أجر المحسنين:

يلوح الخط في القرطاس دهرا وكاتبه رميم [٢] في التراب

(ص ٣٧١).

● **ملحوظة:**

في آخر القسم الرابع من كتاب (مزاج التسنيم) توجد حروف الكتابة السرية وما يقابلها بالحروف العربية علي النحو التالي:

J	T	ط	هـ	ح	۶	γ	y	λ	عـ	ل	H
أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س
ك	P	(ل)	↑	(J)	V	B	x	ى	2	⊥	
ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	
I	علـ	X	II	۹	4						
م	ن	هـ	و	ى	لا						

ويلي ذلك فك الرموز الموجودة بالكتاب ابتداء من أول سورة يونس إلي آخر ما وصل إليه من سورة العنكبوت. وقد وضعنا فك الرموز بالهامش نقلا عن الجدول الموجود بآخر الكتاب (الذهبي).

---

(١) والأصح أن يقول: رجب الأصم. (٢) في الأصل: رميما.

٥ - نقول عن كتاب الكافي (الجزء الأول)
لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي
المتوفي سنة ٣٢٨ / ٣٢٩هـ
طبع إيران سنة ١٣٨٤هـ - الناشر مكتبة الصدوق

● **الجامعة - القياس:**

« روي بسنده قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ضل علم ابن شبرمة عند الجامعة [١]، إملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاما، فيها علم الحلال والحرام، وإن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحق إلا بعدا، إن دين الله لا يصاب بالقياس » (جـ١ ص ٥٧).

● **علم علي رضي الله عنه:**

« وبسنده إلي سليم بن قيس الهلالي قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام: إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي ﷺ أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أن ذلك كله باطل، أفتري الناس يكذبون علي رسول الله ﷺ متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟

قال: فاقبل علي فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب علي رسول الله ﷺ علي عهده......

إلا أنه قال: وقد كنت أدخل علي رسول الله ﷺ كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأيتني رسول الله ﷺ أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه فلا يبقي عنده غيري،

---

(١) يريد: في جنب كتاب الجامعة.

والجامعة - كما يقولون -: هي كتاب طوله سبعون ذراعا من إملاء رسول الله ﷺ وخط علي عليه السلام، مكتوب علي الجلد المسمي بالرق في عرض الجلد، جمعت الجلود بعضها ببعض حتي بلغ طولها سبعين ذراعا وعدها من مؤلفات علي باعتبار أنه كتبها ورتبها من قول رسول الله ﷺ وإملائه. قالوا: وفيها كل حلال وحرام، وكل شئ يحتاج الناس إليه حتي الأرش في الخدش. (أعيان الشيعة: ٢ / ٥٤).

وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت عني وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت علي رسول الله ﷺ آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان أو يكون، ولاكتب علي أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده علي صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علما وفهما وحكما ونورا، فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شئ لم أكتبه، أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل». (جـ١ ص ٦٢ - ٦٤)

● **التقية:**

«وبسنده عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت يابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة، إن هذا خير لنا وأبقي لنا ولكم، ولو اجتمعتم علي أمر واحد لصدقكم الناس علينا، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم» (جـ١ ص ٦٥) (١).

---

(١) التقية: وجد الشيعة في التقية مخلصا لهم من تناقض أقوالهم من تفسير القرآن ،فللإمام أن يسكت ولا يجيب تقية منه..

قيل عند الباقر: إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار فقال الباقر: فهلك إذن مؤمن آل فرعون، ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحا، فليذهب الحسن يمينا وشمالا، لا يوجد العلم إلا ههنا - وأشار إلي صدره.

وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال، وما يري فيه المصلحة، تقية منه أيضا.. وبنوا علي هذا أن الإمام إن قال قولا عن سبيل التقية، فللشيعي أن يأخذ به والعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعي إلي أن قول الإمام كان علي سبيل التقية. (التفسير والمفسرون: ٢ / ٥، ٩).

ويروي الحسن العسكري في تفسيره للقرآن عن رسول الله ﷺ أحاديث في التقية، فمن ذلك: أنه روي عن الحسن بن علي أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأنبياء إنما فضلهم الله علي الخلق أجمعين لشدة مداراتهم لأعداء دين الله، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم في الله».

وروي عن أمير المؤمنين أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سئل عن علم فكتمه حيث يجب أظهاره وتزول عنه التقية، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من النار». =

= وعند تفسيره لقوله تعالي : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣] يقول : « الرحيم بعباده المؤمنين من شيعة آل محمد ، وسع لهم في التقية ، يجاهرون بإظهار موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إذا قدروا، ويسرونها إذا عجزوا » اهـ.

وعند تفسيره لقوله تعالي : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ [البقرة : ١٧٣] . . يقول : « . : نظر الباقر إلي بعض شيعته وقد دخل خلف بعض المنافقين إلي الصلاة ، وأحس الشيعي بأن الباقر قد عرف ذلك منه بقصده وقال : أعتذر إليك يا بن رسول الله عن صلاتي خلف فلان فإنها تقية ، ولولا ذلك لصليت وحدي ، قال له الباقر : يا أخي ، إنما كنت تحتاج أن تعتذر لو تركت يا عبد الله المؤمن . . ما زالت ملائكة السموات السبع والأرضين السبع تصلي عليك وتلعن إمامك ذاك ، وإن الله تعالي أمر أن تحسب صلاتك خلفه للتقية بسبعمائة صلاة لو صليتها لوحدك فعليك بالتقية) .

ويفسر الطبرسي قوله تعالي :﴿ لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران :٢٨]، فيقول : « من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شئ ، أي ليس هو من أولياء الله ، والله برئ منه ، وقيل : ليس هو من ولاية الله تعالي في شئ . وقيل ليس من دين الله في شئ . ثم استثني فقال : ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ . والمعني : إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنين مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم ، فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منهم ودفعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك ، وفي هذه الآية دلالة علي أن التقية جائزة في الدين عند الخوف علي النفس ، وقال أصحابنا : إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة ، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن ، ولا فيما يعلم أو يغلب عن الظن أنه استفساد في الدين .

قال المفيد : إنها قد تجب أحيانا وتكون فرضا ، وتجوز أحيانا من غير وجوب ، وتكون في وقت أفضل من تركها ، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذورا أو معفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها ، وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي : وظاهرالروايات يدل علي أنها واجبة عند الخوف علي النفس ، وقد روي رخصته في جواز الإفصاح بالحق عنده ، وروي الحسن : أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما : أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال : نعم . قال : أفتشهد أني رسول الله؟ قال : نعم ، ثم دعا بالآخر فقال : أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال : نعم . قال : أفتشهد أني رسول الله؟ قال : إني أصم . . قالها ثلاثا ، كل ذلك يجيبه بمثل الأول ، فضرب عنقه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أما ذلك المقتول فمضي علي صدقه ويقينه ، وأخذ بفضله فهنيئا له ، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه » فعلي هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فضيلة . ويقول محسن الكاشي بالتقية ، ويراها ضرورة من ضروريات قيام مذهبه وصون أصحابه من الاضطهاد ، فإنا نراه يفبض فيها عندما تكلم عن هذه الآية :﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ : إلا أن تخافوا من جهتهم خوفا وأمرا يجب أن يخاف منه ، وقرئ : (تقية) منع عن موالاتهم ظاهر=

● **الأئمة حجة الله:**

« وبسنده إلي أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فانشأ يقول ابتداء منه من غير أن أساله: نحن حجة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده » (جـ١ ص ١٤٥).

● **ولاية الأئمة ولاية لله، وظلمهم ظلمه:**

« وبسنده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [البقرة:٥٧]، قال إن الله تعالي أعظم وأجل وأمنع من أن يُظلم، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [المائدة:٥٥] يعني الأئمة منا » (جـ١ ص١٤٦).

● **معرفة الإمام:**

« وبسنده إلي أبي جعفر عليه السلام قال: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالا . قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله ﷺ وموالاة علي عليه السلام، والائتمام به وبائمة الهدي عليهم السلام، والبراءة إلي الله عز وجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عز وجل » (جـ١ ص١٨٠).

وبسنده إلي ابن أذينة قال: حدثنا غير واحد عن أحدهما عليه السلام أنه قال: لا يكون العبد مؤمنا حتي يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه ويرد إليه ويسلم له، ثم قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول » (جـ١ ص ١٨٠)

● « وبسنده إلي أبي جعفر قال: إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله، هكذا والله ضلالا ».

(جـ١ ص ١٨١)

= وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة، فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز بالمخالفة كما قيل: كن وسطا وامش جانبا . . . ثم قال: وفي العياشي عن الصادق قال: كان رسول الله ﷺ يقول (لا إيمان لمن لا تقية له)، ويقول: قال الله: ﴿ **إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾، وفي الكافي عنه قال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه . وعن الباقر قال: التقية في كل شئ يضطر إليه ابن آدم وقد أحل الله له، والأخبار في ذلك مما لا يحصي).

ويقول السيد عبد الله العلوي في تفسيره لهذه الآية: « رخص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم مع إبطان عدواتهم وهي التقية التي تدين بها الإمامية، ودلت عليها الأخبار المتواترة وقوله: ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ [النحل:١٠٦]. (انظر: التفسير والمفسرون: ٢ / ٣٩، ٧١، ٨٣، ١٢٩، ١٤١).

● « وبسنده إلي ذريح قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأئمة بعد النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إماما، ثم كان الحسن عليه السلام إماما، ثم كان الحسين عليه السلام إماما، ثم كان علي ابن الحسين إماما، ثم كان محمد بن علي إماما، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالي ومعرفة رسوله » (جـ١ ص ١٨١).

● « وبسنده إلي أبي عبد الله يقول في قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البقرة:٢٦٩]، فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام » .

(جـ١ ص ١٨٥)

● « وبسنده إلي أبي جعفر يقول في قول الله تبارك وتعالي: ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾ [الأنعام:١٢٢]، فقال« ميت »: لا يعرف شيئا، و﴿ **نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾ إماما يؤتم به، ﴿ **كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾، قال: الذي لا يعرف الإمام » (جـ ١ ص ١٨٥).

● « وبسنده إلي أبي جعفر قال: دخل أبو عبد الله الجدلي علي أمير المؤمنين فقال عليه السلام: يا أبا عبد الله، ألا أخبرك بقول الله عز وجل ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النمل:٨٩ – ٩٠]، قال: بلي يا أمير المؤمنين، جعلت فداك، فقال: الحسنة معرفة الولاية وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية وبغضنا أهل البيت، ثم قرأ عليه هذه الآية » (جـ١ ص ١٨٥).

● **فرض طاعة الأئمة:**

« وبسنده إلي أبي عبد الله قال: نحن الذين فرض الله طاعتنا، لا يسع الناس إلا معرفتنا، ولا يعذر الناس بجهالتنا، من عرفنا كان مؤمنا، ومن أنكرنا كان كافرا، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالا حتي يرجع إلي الهدي الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت علي ضلالته يفعل الله به ما يشاء » (جـ ١ ص ١٨٧) (١).

---

(١) يقول ملا محسن الكاشي في تفسيره لقوله تعالي: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾. . .الآية [النساء:٥٩] ما نصه: « في الكافي والعياشي عن الباقر: إيانا عني خاصة . . أمر جميع المؤمنين إلي يوم القيامة بطاعتنا. وفي الكافي عن الصادق: أنه سئل عن الأوصياء . . طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم، هم الذين قال الله ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾. . الآية [النساء:٥٩]، وقال الله: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ** ﴾ . .الآية [المائدة:٥٥]، وفيه العياشي عنه [illegible] هذه الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين، فقال: إن الناس يقولون فماله لم يسم عليا وأهل بيته في كتابه؟ فقال: فقولوا لهم: نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتي=

=كان رسول الله ﷺ فسر ذلك لهم، ونزلت﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾. ونزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ في علي :(من كنت مولاه فهذا علي مولاه)، وقال : (أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتي يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك) وقال : (لا تعلموهم،فإنهم أعلم منكم)، وقال :(إنهم لم يخرجوكم من باب هدي ولم يدخلوكم في باب ضلالة)، فلو سكت رسول الله ﷺ ولم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقا لنبيه :﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾ [الأحزاب :٣٣] فكان علي والحسن والحسين وفاطمة، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة ثم قال :(اللهم إن لكل نبي أهلا وثقلا، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي)، فقالت أم سلمة : ألست من أهلك؟ فقال :(إنك إلي خير، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي. . .) الحديث، وزاد العياشي : آل عباس، وآل عقيل، قيل قوله : وآل فلان. عن الصادق أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام التي إذا أخذ بها زكي العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال والزكاة، والولاية التي أمر الله بها، ولاية آل محمد، فإن رسول الله ﷺ قال :(من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية) . . قال الله تعالي :﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ . . فكان علي ثم صار من بعده الحسن ، ثم من بعده الحسين، ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد ابن علي، ثم هكذا يكون الأمر . . إن الأرض لا تصلح إلا بإمام . . » الحديث. وفي المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين أنه سأله : ما أدني ما يكون به الرجل ضالا، فقال : إن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته . . وجعله حجته في أرضه، وشاهده علي خلقه . . قال : من هم يا أمير المؤمنين؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال :﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾. قال : فقبلت رأسه وقلت : أوضحت لي، وفرجت عني، وأذهبت كل شئ كان في قلبي. وفي الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله ، عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال :« هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن ثم الحسين،ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر . . وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد بن موسي ابن جعفر، ثم علي بن موسي، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي، ثم سميي محمد ، وكنيته حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح علي يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها علي القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان) .قال جابر: فقلت : يا رسول الله، فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته، فقال : (أي والذي بعثني بالنبوة أنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللها سحاب. يا جابر . . هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله) . . والأخبار في هذا المعني في الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصي كثرة. وفي التوحيد عن أمير المؤمنين اعرفوا الله بالله، والرسول بالرسول، وأولي الأمر بالمعروف والعدل =

● « وبسنده إلى سدير عن أبى جعفر عليه السلام قال: قلت له: جُعلتُ فداك، ما أنتم؟ قال: نحن خُزَّان علم الله، ونحن تراجمة وحى الله، ونحن الحُجَّة البَالغة على مَن دون السماء ومَن فوق الأرض » (جـ ١ ص ١٩٢).

● « وبسنده إلى أبى عبد الله فى قول الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ..... ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال: النور فى هذا الموضع علىّ أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام » (جـ ١ ص ١٩٤).

● « وبسنده إلى صالح بن سهل الهمدانى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام فى قول الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ** ﴾ [النور: ٣٥ – ٤٠]: فاطمة عليها السلام، ﴿ **فِيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾: الحسن، ﴿ **الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** ﴾: الحسين، ﴿ **الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** ﴾: فاطمة كوكب دُرّى بين نساء أهل الدنيا، ﴿ **يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ** ﴾: إبراهيم عليه السلام، ﴿ **زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ** ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿ **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ** ﴾: يكاد العلم ينفجر بها، ﴿ **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ** ﴾: إمام منها بعد إمام، ﴿ **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾: يهدى الله للأئمة مَن يشاء، ﴿ **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ** ﴾.

قلت: ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ** ﴾؟ قال: الأول وصاحبه، ﴿ **يَغْشَاهُ مَوْجٌ** ﴾: الثالث، ﴿ **مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ** ﴾: الثانى، ﴿ **بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾: معاوية لعنه الله[١]، وفتن بنى أمية، ﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ** ﴾: المؤمن فى ظلمة فتنتهم، ﴿ **لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا** ﴾: إماماً من ولد فاطمة عليها السلام، ﴿ **فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ إمام يوم القيامة » (جـ ١ ص ١٩٥).

=والإحسان. وفي العلل عنه: لا طاعة لمن عصي الله، وإنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، إنما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يامر بمعصية، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية) (التفسير والمفسرون: ٢ / ١٢٦ – ١٢٨).

(١) لا يجوز سب الصحابة رضوان الله عليهم فضلاً عن لعنهم، لقول الرسول ﷺ: « لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً، ما بلغ مُدّ أحدهم، ولا نصيفه ».

(اتفق عليه الشيخان)

فضلاً عن أن « معاوية » – رضى الله عنه – كان أحد كُتَّاب الوحى الذين ائتمنهم الرسول ﷺ على كتابته، وكان من الصحابة الأجلاء الذين قال الرسول ﷺ عنهم: « خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته ».

(رواه الشيخان)

وقد مات الرسول ﷺ وهو عنه راض، ولهذا يحرم سبه فضلاً [illegible] البلتاجى).

● سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [الصف: ٨] قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾؟ قال: يقول: والله متم الإمامة، والإمامة هى النور، وذلك قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن: ٨]، قال: النور هو الإمام» (جـ ١ ص ١٩٥ - ١٩٦).

● «وبسنده إلى أبى عبد الله، وساق حديثاً جاء فى آخره: «... كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه باب الله الذى لا يُؤتى إلا منه، وسبيله الذى مَن سلك بغيره هلك، وبذلك جرت الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم، والحُجَّة البالغة على مَن فوق الأرض ومَن تحت الثرى» (جـ ١ ص ١٩٧).

● «وبسنده قال: حدثنا داود الجصاص قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، قال: النجم رسول الله ﷺ، والعلامات هم الأئمة عليهم السلام» (جـ ١ ص ٢٠٦).

● «وبسنده إلى داود الرقى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]، قال: الآيات هم الأئمة، والنُذُر هم الأنبياء عليهم السلام» (جـ ١ ص ٢٠٧).

● «وعن أبى جعفر عليه السلام فى قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ [القمر: ٤٢]، يعنى الأوصياء كلهم» (جـ ١ ص ٢٠٧).

● «وبسنده إلى معاوية العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، قال: إيانا عنى» (جـ١ص ٢٠٨).

● «وبسنده إلى أبى جعفر قال فى قول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩]، قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يلمون، وشيعتنا أولو الألباب» (جـ ١ ص ٢١٢).

● «وبسنده إلى أحمد بن عمر قال: سألتُ أبا الحسن الرضا عن قول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا... ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية فقال ولد فاطمة عليها السلام، والسابق بالخيرات: الإمام، والمقتصد: العارف بالإمام، والظالم لنفسه: الذى لا يعرف الإمام» (جـ ١ ص ٢١٥).

● «وبسنده إلى أبى عبد الله فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، قال: يهدى إلى الإمام» (جـ ١ ص ٢١٦).

● «وبسنده إلى أبى بصير عن أبى عبد الله قال: قال لى: يا أبا محمد، إنَّ الله عزَّ وجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً ﷺ، قال: وقد أعطى محمداً جميع

ما أعطى الأنبياء، وعندنا الصحف التي قال الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٩]، قلت: جُعلتُ فداك، هي الألواح؟ قال: نعم» (جـ ١ ص ٢٢٥).

● «وبسنده إلى أبى جعفر قال: ما ادَّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذَّاب، وما جمعه وحفظه كما نزَّله الله تعالى إلا علىّ بن أبى طالب عليه السلام، والأئمة من بعده» (جـ ١ ص ٢٢٨) [١].

---

(١) يرى الشيعة أن علياً رضي الله عنه هو أول مَن جمع القرآن، وأن القرآن الذى جمعه هو القرآن الكامل الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، ويروى لنا ملا محسن الكاشى فى كتابه «الصافى فى تفسير القرآن» أحاديث عن آل البيت كمستند له فى رأيه هذا، فمن ذلك: ما نقله عن القمى فى تفسيره بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن النبى ﷺ وآله وسلم قال لعلىّ عليه السلام: يا علىّ، إن القرآن خلف فراشى فى الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة، فانطلق عليه السلام فجمعه فى ثوب أصفر ثم ختم عليه فى بيته وقال: لا أرتدى حتى أجمعه، قال" كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه».

ومنها ما رواه القمى بإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبى عبد الله – وأنا أستمع – حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كف عن هذه القراءة. اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام اقرأ كتاب الله تعالى على حدة: وأخرج المصحف الذى كتبه علىّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد ﷺ، وقد جمعته بين اللوحين. فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان علىّ أن أخبركم حين جمعته لقراءته.

ومن ذلك ما روى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه: أنه لما توفى رسول الله ﷺ جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فلما فتحه أبو بكر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علىّ، اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علىّ عليه السلام وانصرف، ثم حضر زيد بن ثابت – وكان قارئاً للقرآن – فقال له عمر: إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا أن تؤلف لنا القرآن وتُسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علىّ القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟. ثم قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك.. فلما استخلف عمر سأل علياً عليه السلام أن يدفع إليه القرآن فيحرقوه فيما بينهم فقال: يا أبا الحسن، إن كنت جئت به إلى أبى بكر فأت به إلينا حتى نجمع عليه، فقال علىّ عليه السلام: هيهات، ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئتُ به لأبى بكر لتقوم به الحُجَّة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة: إنّا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به. إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ قال علىّ عليه السلام: نعم. إذا قام القائم من ولدى فيظهره ويحمل الناس عليه فتجرى السُّنَّة به» (الصافى فى تفسير القرآن: ١/ ١٠، ١١).

= ولكنّا نجد صاحبنا بعد ما ساق هذه الروايات وكثيراً غيرها يقف منها موقف المستشكل فيقول: «ويرد على هذا كله إشكال.. وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرّفاً ومغيراً، أو يكون على خلاف ما أنزل الله، فلم يبق لنا في القرآن حُجَّة أصلاً، فتنتفي فائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك. وأيضاً قال الله تعالى عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١ – ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]... فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟ وأيضاً قد استفاض عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم حديث عرض الخبر المروى على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له، وفساده بمخالفته [هذا الحديث المشار إليه موضوع بإجماع أهل العلم]، فإذا كان القرآن الذى بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض؟ مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذِّب له، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله».

وهنا يجيب ملا محسن على إشكاله هذا بجوابين:

«أولهما: أن هذه الأخبار إن صحّت فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال، كحذف اسم عليّ وآل محمد، وحذف أسماء المنافقين، فإن انتفاء التغيير باق لعموم اللفظ.

وثانيهما: أن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن، فيكون التبديل من حيث المعنى، أى حرّفوه وغيروه فى تفسيره وتأويله، بأن حملوه على خلاف ما يراد منه» (الصافى: ١ / ١٠ – ١٤).

ثم ذكر بعد هذا أقوال مَن تقدمه من شيوخه وعلماء مذهبه.وهم ما بين مجيز للتحريف والنقصان ومانع لذلك، ولكل أدلته وحُجَّته، ولا نطيل بذكرها ومَن أرادها فليرجع إليها فى المقدمة السادسة (ص ١٤ ، ١٥).

ويرى الشيعة أن آل البيت هم تراجمة القرآن دون مَن عداهم، فهم الذين جمعوا علم القرآن كله وأحاطوا بمعانيه وأسراره، ووقفوا على رموزه وإشاراته، ذلك لأن القرآن نزل فى بيتهم – بيت النبوة – ورب البيت أدرى بما فيه، وهو فى هذه العقيدة لا يشذ وحده بل ذلك هو رأى هذه الطائفة كلها لا فرق بين معتدل ومتطرف.

يقول الكاشى فى مقدمة تفسيره: «... وإن العترة تراجمة القرآن فمَن الكشَّاف عن وجوه عرايس أسراره ودقائقه وهم خوطبوا به؟ ومَن لتبيان مشكلاته ولديه مجمع بيان معضلاته ومنبع بحر حقائقه وهم أبو حسنه؟ ومَن يشرح آيات الله وييسر تفسيرها بالرموز والصراح إلا مَن شرح الله صدره بنوره ومثله بالمشكاة والمصباح؟ ومَن عسى يبلغ علمهم بعالم التنزيل والتأويل. وفى بيوتهم كان ينزل جبريل؟... وهى البيوت التى أذن الله أن تُرفع، فعنهم يؤخذ ومنهم يُسمع. إذن أهل البيت بما فى البيت أدرى، والمخاطبون بما خوطبوا به أوعى، فأين نذهب عن بابهم وإلى مَن نصير...»؟ (الصافى: ١ / ٢).

ثم يمضى صاحبنا بعد ذلك فيؤيد قوله هذا بأحاديث يرويها عن أهل البيت كلها – فيما نعتقد وكما يظهر من أسلوبها – من وضع الشيعة وأخلاقهم، فمن ذلك ما نقله عن الكافى بإسناده عن سليم بن قيس الهلالى قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول..... وساق الحديث إلى أن قال: «ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ =

= فاكتبها بخطى، وعلّمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله أن يعلمنى فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لى بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا علّمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدرى ودعا الله أن يملأ قلبى علماً وفهماً وحكمة ونوراً، فقلت: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى.. منذ دعوتَ الله لى بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتنى شيء لم أكتبه... أوَ تتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟. فقال: «لستُ أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً». قال: ورواه العياشى فى تفسيره والصدوق فى إكمال الدين. بتفاوت يسير فى ألفاظه، وزيد فى آخره: «وقد أخبرنى ربى أنه قد استجاب لى فيك وفى شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله، ومَن شركائى من بعدى؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبى. فقال: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]. فقلت: ومَن هم؟ قال: الأوصياء منى إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلهم هادين مهتدين لا يضرهم مَن خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تُنصر أمتى، وبهم تمطر، وبهم يُدفع عنهم البلاء، وبهم يُستجاب دعاؤهم. فقلت: يا رسول الله، سمهم لى.. فقال: ابنى هذا.. ووضع يده على رأس الحسن، ثم قال: ابنى هذا.. ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له «عليّ» وسيولد فى حياتك فأقرئه منى السلام، ثم تكمله اثنى عشر من ولد محمد. فقلت له: بأبى أنت وأمى.. أنت فسمهم لى، فسماهم، رجلاً رجلاً، فقال: منهم والله يا أخا بنى هلال مهدى أمة محمد، الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والله إنى لأعرف مَن يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم». (الصافى: ١/ ٥، ٦)

ومنها ما نقله عن الكافى بإسناده إلى زيد الشحام.. قال: دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال أبو جعفر عليه السلام: يعلم تفسره أم بجهل؟ قال: لا.. بل بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك. قال قتادة: سل. قال: أخبرنى عن قول الله تعالى فى سبأ: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨]. فقال قتادة: مَن خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله. فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيُقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللّهم نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة.. إن كنتَ إنما فسَّرتَ القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة.. ذلك مَن خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفاً بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال الله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. ولم يعيِّن البيت فقيل إليه. نحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التى مَن هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة فإن كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة. قال قتادة: لا جَرَم والله لا أفسرها إلا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة.. إنما يعرف القرآن مَن خوطب به».
(الصافى فى تفسير القرآن)

ولكن هل معنى ذلك أن ملا محسن يرى أن فهم معانى القرآن ومعرفة أسراره أصبح أمراً =

= مقصوراً على أهل البيت وحدهم فيكون بذلك قد حجر واسعاً وجحد فضل مَن عداهم من العلماء؟ أو يرى أن القرآن فى فهمه قدر مشترك بين العلماء جميعاً لا فرق بين أهل البيت وغيرهم؟ الحق أن صاحبنا يرى أن فى معانى القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغاً ومجالاً رحباً، ولكن مَن هم أولوا الفهم الذين لا يجوز لهم أن يعملوا عقولهم فى فهم معانى القرآن واستنباط أحكامه؟. نرى المؤلف يحدد لنا أولى الفهم بحدود، ويقيدهم بقيود لها صلة قوية بمذهبه الشيعى، وذلك حيث يقول: « ... فالصواب أن يقال: إن مَن أخلص الانقياد لله ولرسوله ولأهل البيت عليهم السلام، وأخذ علمه منهم، وتتبع آثارهم، واطلع على جملة من أسرارهم، بحيث حصل له الرسوخ فى العلم، والطمأنينة فى المعرفة، وانفتح عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحل الأعلى، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه، ليس ذلك من كرم الله بغريب، ولا من جوده بعجيب، فليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم. كما قالوا: سلمان منا أهل البيت، فمَن هذه صفته فلا يبعد دخوله فى الراسخين فى العلم، العالمين بالتأويل».
(الصافى: ١ / ١٠)

ولما كان المؤلف - رحمه الله - قد جعل جُلّ اعتماده في تفسيره، بل كله، على ما وصل إليه من التفسير عن آل البيت، لاعتقاده أنهم أدرى به من غيرهم، فإنّا نراه يرى - مع شيء من التواضع التقليدى - أن تفسيره هو التفسير المثالى الذى يجب أن يُحتذى، كما نراه لا يعترف بتفسير غيره ممن تقدم عصره بل ويبالغ فى عدم الاعتراف فيطعن على مَن عدا أهل البيت من الصحابة ويرميهم بالنفاق وغيره، ولا يرتضى ما جاء عنهم من تفسير، كأن عقول الصحابة جميعاً قد عقمت وضلّت إلا عقول أهل البيت ومَن والاهم...

يقرر المؤلف هذا بكل صراحة وجراءة مع حملة ظالمة على صحابة رسول الله ﷺ وذلك حيث يقول: « ... هذا يا إخوانى ما سألتمونى من تفسير القرآن، بما وصل إلينا من أئمتنا المعصومين من البيان، أتيتكم به مع قلة البضاعة، وقصور يدى عن هذه الصناعة، على قدر مقدور، فإن المأمور معذور، والميسور لا يُترك بالمعسور، ولا سيما أنى كنت أراه أمراً مهماً، وبدونه أرى الخطب مدلهماً، فإن المفسرين وإن أكثروا القول فى معانى القرآن، إلا أنه لم يأت أحد منهم فيه بسلطان، وذلك لأن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً، ومبيناً ومبهماً، ومقطوعاً وموصولاً، وفرائض وأحكاماً، وسنناً وآداباً، وحلالاً وحراماً، وعزيمة ورخصة، وظاهراً وباطناً، وحداً ومطلعاً. ولا يعلم تمييز ذلك كله إلا مَن نزل فى بيته، وذلك هو النبى صلى الله عليه وآله وأهل بيته، فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه، ولهذا ورد عن النبى ﷺ : «مَن فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ»، وقد جاءت عن أهل البيت صلوات الله عليهم فى تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة، إلا أنها خرجت متفرقة عن أسئلة السائلين، وعلى أقدار المخاطبين، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الدين، وبقيت بعد خبايا فى زوايا، خوفاً من الأعداء وتقية من البعداء، ولعله مما برز وظهر لم يصل إلينا الأكثر، لأن رواته كانوا فى محنة من التقية، وشدة من الخطر، وذلك أنه لما جرى فى الصحابة ما جرى، وضلّ بهم عامة الورى، أعرض الناس عن الثقلين=

= [يريد بالثقلين: كتاب الله والعترة كما أفصح عن ذلك في أول المقدمة ص ٤]، وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شرذمة من المؤمنين فمكث العامة بذلك سنين، وعمهوا في غمرتهم حتى حين، فآل الحال إلى أن نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فكان الكتاب وأهله في الناس وليسا في الناس، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا. وكان العلم مكتوماً، وأهله مظلوماً، لا سبيل لهم بإبرازه إلا بتعميته وإلغازه، ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين ولا ناصبين، لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، وعمن أخذوا التفسير والبيان. فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنهم من العلماء، فكانوا يفسرون لهم بالآراء، ويرون تفسيره عمن يحسبونه من كبرائهم، مثل أبي هريرة وأنس وابن عمر ونظرائهم، وكانوا يعدون أمير المؤمنين من جملتهم، ويجعلونه كواحد من الناس، وكان خير مَن يستندون إليه بعده ابن مسعود وابن عباس، ممن ليس على قوله كثير تعويل، ولا له إلى لباب الحق سبيل، وكان هؤلاء الكبراء ربما ينقلونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله، وربما يسندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، ومن الآخذين عنهم مَن لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم، لما تقرر عندهم من ان الصحابة كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول، ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يبطنون النفاق، ويجترئون على الله ويفترون على رسول الله ﷺ في عزة وشقاق، وهكذا كان حال الناس قرناً بعد قرن، فكان لهم في كل قرن رؤساء ضلالة، عنهم يأخذون، وإليهم يرجعون، وهم بآرائهم يجيبون، أو إلى كبرائهم يستندون، وربما يروون عن بعض أئمة الحق عليهم السلام في جملة ما يروون عن رجالهم، ولكن يحسبونه من أمثالهم، فتباً لهم ولأدب الرواية، إذ ما رعوها حق الرعاية، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله رب الأرباب، وراموا غير باب الله أبواباً، واتخذوا من دون الله أرباباً، وفيهم أهل بيت نبيهم، وهم أزِمّة الحق، وسُنّة الصدق، وشجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وعَيْبة العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، خزائن أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، والأمناء على الحقائق، والخلفاء على الخلائق. أولوا الأمر الذين أمروا بطاعتهم، وأهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، والراسخون في العلم الذين عندهم القرآن كله تأويلاً وتفسيراً، ومع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ولما أصبح الأمر كذلك وبقى العلم سخرياً هنالك صار الناس كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب بإمامهم فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم وحملوه على أهوائهم في تفاسيرهم وكلامهم والتفاسير التي صنّفها العامة من هذا القبيل، فكيف يصح عليها التعويل؟ وكذلك التي صنّفها متأخرو أصحابنا فإنها أيضاً مستندة إلى رؤساء العامة وشذّ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام، وذلك لأنهم إنما نسجوا على منوالهم، واقتصروا في الأكثر على أقوالهم، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء وهؤلاء – فإنما تكلموا في النحو، والصرف، والاشتقاق، واللغة، والقراءة، وأمثالها – مما يدور على القشور دون اللباب، فأين هم والمقصود من الكتاب؟ وإنما ورد على طائفة منهم ما قويت فيه منته، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته، ومنهم مَن أدخل في التفسير ما لا يليق به، فبسط الكلام في فروع الفقه وأصوله، وطوّل القول في اختلاف الفقهاء، أو صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية وذكر ما فيها من الآراء، وأما ما وصل إلينا مما ألّفه قدماؤنا من أهل الحديث فغير تام، لأنه إما غير منته إلى آخر =

● «وبسنده إلى أبى جعفر قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة وهو يقول: همهمة همهمة، وليلة مظلمة، خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم، وفى يده خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام» (جـ ١ ص ٢٣١ - ٢٣٢).

● «وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام - فى شأن «عفير» حمار رسول الله ﷺ - قال: إنَّ ذلك الحمار كلَّم رسول الله ﷺ فقال: بأبى أنت وأمى، إنّ أبى حدَّثنى عن أبيه عن جده عن أبيه أنه كان مع نوح فى السفينة، فقام إليه نوح فمسح على كفله ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد لله الذى جعلنى ذلك الحمار» (جـ ١ ص ٢٣٧).

● **مصحف فاطمة** [1] :

«وبسنده إلى أبى عبد الله قال: تظهر الزنادقة فى سنة ثمان وعشرين ومائة، وذلك أنى نظرت فى مصحف فاطمة عليها السلام قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: إن

= القرآن، وإما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان، مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم، لضعف رواته أو جهالة حالهم، ونكارة بعض مقالهم . . .». إلى أن قال: وبالحرى أن يسمى هذا التفسير بالصافى، لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمحير والمتنافى» (جـ ١ ص ٢ - ٤).

ويعتقد صاحبنا أن معظم القرآن إنما نزل فى شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم، فما كان من آية مدح فهى فى آل البيت وأشياعهم، وما كان من آية ذم أو وعيد أو تهديد فهى فى مخالفيهم، ثم يقوى رأيه هذا ويستدل له بما يرويه عن علماء أهل البيت من روايات واردة فى هذا المعنى، فمن ذلك ما نقله عن الكافى وتفسير العياشى بالإسناد إلى أبى جعفر عليه السلام قال: «نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع فى أعدائنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام»، وزاد العياشى: «ولنا كرائم القرآن» . . . ثم مضى بعد ذكره لهذه الرواية وأمثالها فقال: «وقد وردت أخبار جمَّة عن أهل البيت عليهم السلام، فى تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم، حتى إن جماعة من أصحابنا صنَّفوا كتباً فى تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام فى تأويل آية إما بهم أو بشيعتهم، أو بعدوهم، على ترتيب القرآن. وقد رأيت منها كتاباً يقرب من عشرين ألف بيت» . . ثم قال: «وذلك مثل ما رواه الكافى عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] . . قال: هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام». وفى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: يا أبا محمد . . إذا سمعتَ الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا، وفيه عن عمير بن حنظلة عن أبى عبد الله عليه السلام: سأله عن قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣] . . قال: فلما رآنى أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال: حسبك . . كل شىء فى الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو فى الأئمة عُنُوا به» (التفسير والمفسرون: ٢ / ١١٠ - ١١٨).

(١) مصحف فاطمة: جاء فى البصائر: «أن أبا عبد الله سأله بعض الأصحاب عن مصحف =

الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عَزَّ وجَلَّ، فأرسل إليها مَلَكاً يسلى غمها ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون» (جـ ١ ص ٢٤٠).

● «وبسنده إلى أبى عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفْر(١) فقال: هو جلد ثور مملوء علماً. قال له: فالجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها

= فاطمة، فقال: «إنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون. إن فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها. وكان جبريل يأتيها ويحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها. وكان علىّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة» (أعيان الشيعة: ١/ ١٨٨).

(١) الجفْر: هو غير الجامعة – وفيه يقول ابن خلدون: «واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعد العجلى وهو رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم، على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلى، وكتبه، وسماه: «الجفْر» باسم الجلد الذى كتب فيه [المعروف من كتب الفقه أن الجفْر ذكر الماعز أذا بلغ أربعة أشهر، وفى القاموس: الجفر من أولاد الشاء ما عظم واستكرش]، لأن الجفْر فى اللغة هو الصغير. وصار هذا الاسم عَلماً على هذا الكتاب عندهم، وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب المعانى، مروية عن جعفر الصادق. وهذا الكتاب لم تتصل روايته، ولا عُرف عَيْنه، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل، ولو صحَ السند إلى جعفر الصادق لَكان فيه نعْم المستند من نفسه، أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات» (المقدمة لابن خلدون ص ٣٧٣).

ويُعرِّف صاحب «أعيان الشيعة» الجفْر بأنه كتاب أملاه رسول الله ﷺ على علىّ رضى عنه، ويذكر فى ذلك أقوالاً متضاربة ثم يقول بعد فراغه منها: «الظاهر من الأخبار أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال، وحرام، وأحكام، وأصول ما يحتاج إليه الناس فى أحكام دينهم وما يصلحهم فى دنياهم، والإخبار عن بعض الحوادث، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابه من القرآن المجيد (أعيان الشيعة: ١/ ١٨٢). ثم ينكر على مَن يستبعد أن يكون الجفر فيه كل هذه العلوم، ويتمثل بقول أبى العلاء المعرى:

لقدْ عجبوا لأهل البيت لما … أروهم علمهم فى مسك جفر
مرآة المنجم وهى صغرى … أرته كل عامرة وقفر

ويقول العلامة ابن قتيبة: «وأعجب من هذا التفسير – يعنى تفسير المعتزلة – تفسير الروافض للقرآن، وما يدّعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذى ذكره هارون بن سعد العجلى، وكان رأس الزيدية فقال:
=

= ألم تر أن الرافضين تفرَّقوا ... فكلهم في جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا : إمام . ومنهم ... طوائف سمَّته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم ... برئت إلى الرحمن ممن تجفرا
برئتُ إلى الرحمن من كل رافض ... بصير بباب الكفر. في الدين أعورا
إذا كفَّ أهل الحق عن بدعة مضى ... عليها، وإن يمضوا على الحق قصَّرا
ولو قال : إن الفيل ضَبٌ لصدَّقوا ... ولو قال : زنجى تحوَّل أحمرا
وأخلف من بول البعير فإنه ... إذا هو للإقبال وجه أدبرا
فقبح أقوام رموه بفرية ... كما قال في عيسى الفرى مَن تنصَّرا

وهذا الذى ذكره ابن قتيبة عن هارون بن سعد العجلى، يناقض ما تقدم عن ابن خلدون من أن الجفْر كان عند هارون بن سعد العجلى وهو يرويه عن جعفر الصادق ويمكن دفع هذا التناقض بأن نقول: إن هارون بن سعد العجلى، وكان رافضياً مغالياً أول أمره، وكان يروى هذا الجفْر ويصدِّق به، ثم رجع عن مذهبه وغلوه وتصديقه بالجفْر، وقال مقالته التى رواها ابن قتيبة بعد توبته. وهذا الذى ذهبنا إليه اعتمدنا فيه على ما جاء فى تهذيب العجلى – ويقال الجعفى الكوفى الأعور – قال أحمد: روي عنه الناس، وهو صالح وروي عن ابن معين أنه قال: ليس به بأس وذكره ابن حبان فى الثقات، وذكره أيضاً فى الضعفاء، قال: وكان غالياً فى الرفض لا تحل عنه الرواية بحال. وروى عن ابن معين أيضاً أنه قال: كان من غلاة الشيعة. وقال الساجى: كان يغلو في الرفض، وحكى أبو العرب الصقلى عن ابن قتيبة أنه أنشد له شعراً يدل على نزوعه عن الرفض، [ونزع عن الرفض معناه: رجع عنه، يقال: نزع عن الأمر إذا انتهى عنه وأباه. كما أفاده صاحب القاموس وغيره].

قال أبو محمد: «وهو جلد جفْر ادَّعوا أنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلي علمه، وكل ما يكون إلى يوم القيامة، فمن ذلك قولهم فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وورث سليمان داود**﴾ [النمل: ١٦]: إنه الإمام ورث النبى ﷺ علمه. وقولهم فى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إنَّ اللَّهَ يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ [البقرة: ٦٧]: إنها عائشة رضى الله عنها، وفى قوله تعالى: ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها**﴾ [البقرة: ٧٣]: إنه طلحة والزبير. وقولهم فى الخمر والميسر: إنها أبو بكر وعمر – رضى الله عنهما – والجبْت والطاغوت: أنهما معاوية وعمرو بن العاص. مع عجائب أرغب عن ذكرها، ويرغب مَن بلغه كتابنا هذا عن استماعها.

وكان بعض أهل الأدب يقول: ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن إلا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر، فإنه قال ذات يوم: ما سمعتُ بأكذب من بنى تميم، زعموا أن قول القائل:

بيت زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع، وأبو الفوارس نهشل

أنه فى رجال منهم... قيل له: فما تقول أنت فيهم؟ قال: البيت: بيت الله. وزرارة: الحجر، قيل: فمجاشع؟ قال: رمز.. جشعت بالماء. قيل فأبو الفوارس؟ قال: أبو قيس، قيل له: فنهشل؟ قال: فنهشل... أشده، وفكر ساعة ثم قال: نهشل: مصباح الكعبة، لأنه طويل أسود، فذلك نهشل.

وهم أكثر أهل البدع اقترافاً ونحلاً، فمنهم قوم يقال لهم «البيانية»، يُنسبون إلى رجل يقال =

سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج[1] فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش. قال: فمصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله ﷺ خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبريل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذُرِّيتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام» (جـ ١ ص ٢٤١).

● **الأئمة يزدادون علماً كل ليلة جمعة :**

« روى بسنده إلى أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبد الله بن سلام قال: قال لي: يا أبا يحيى، إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن؟ قال: قلت: جُعلتُ فداك، وما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها فتطوف به أسبوعاً وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم تُرَد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سروراً، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل الجم الغفير» (جـ ١ ص ٢٥٣ – ٢٥٤).

● «عن أبي عبد الله قال: ما من ليلة جمعة إلا ولأولياء الله فيها سرور، قلت: كيف ذلك جُعلتُ فداك؟ قال: إذا كان ليلة الجمعة، وافى رسول الله ﷺ العرش ووافى الأئمة عليهم السلام ووافيتُ معهم فما أرجع إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندي» (جـ ١ ص ٢٥٤).

= له «بيان»، قال لهم إليّ أشار الله تعالى إذ قال: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨]

وهم أول مَن قال بخلق القرآن. ومنهم المنصورية، أصحاب أبي منصور الكسف، وكان قال لأصحابه: فيّ نزل قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا ﴾ [الطور: ٤٤].. ومنهم الخنّاقون والشدّاخون ومنهم الغرابية وهم الذين ذكروا أن علياً رضي الله عنه كان أشبه بالنبي ﷺ من الغراب بالغراب، فتغلط جبريل عليه السلام حيث بعث إلى عليّ لشبهه به.

قال أبو محمد: ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحداً ادّعى الربوبية لبَشر غيرهم، فإن عبد الله ابن سبأ ادّعى الربوبية لعليّ فأحرق عليّ أصحابه بالنار، وقال في ذلك:

لما رأيتُ الأمر أمراً منكراً   أجّجتُ ناري ودعوت قنبراً

ولا نعلم أحداً ادّعى النبوة لنفسه غيرهم، فإن المختار بن أبي عبيد ادّعى النبوة لنفسه، وقال: «إن جبريل وميكائيل يأتيان إلى جهته، فصدّقه قوم واتبعوه».. وهم الكيسانية. (تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ – ٨٨، وقنبر – المشار إليه – هو مولى عليّ بن أبي طالب الذي تولى طرحهم في النار).

(١) الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين.

● «عن أبى عبد الله قال: ليس يخرج شيء من عند الله عَزَّ وجَلَّ حتى يبدأ برسول الله ﷺ، ثم بأمير المؤمنين عليه السلام، ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا» (جـ ١ ص ٢٥٥).

● «عن أبى جعفر عليه السلام قال: إنَّ لله عَزَّ وجَلَّ علمين: علم لا يعلمه إلا هو، وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله عليهم السلام فنحن نعلمه» (جـ ١ ص ٢٥٦).

● «عن أبى عبد الله - فى آخر حديث طويل - أنه أومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا» (جـ ١ ص ٢٥٧).

● **الأولياء يُخَيَّرون فى موتهم:**

«عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الإمام ان يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك» (جـ ١ ص ٢٥٨).

● «عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين قد عرف قاتله والليلة التى يُقتل فيها والموضع الذى يُقتل فيه وقوله لما سمع صياح الأوز فى الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: لو صليَّتَ الليلة داخل الدار وأمرتَ غيرك يُصلِّى بالناس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام ان ابن ملجم - لعنه الله - قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرضه، فقال: ذلك كان، ولكنه خُيِّرَ فى تلك الليلة لتمضى مقادير الله عزَّ وجَلَّ» (جـ ١ ص٢٥٩).

● «عن ابن الحسن موسى عليه السلام قال: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ غضب على الشيعة فخيَّرنى نفسى أو هم، فوقيتهم والله بنفسى» (جـ ١ ص ٢٦٠).

● **عند الأولياء علم ما كان وما يكون:**

«عن أبى جعفر قال: انزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم خُيِّرَ: النصر أو لقاء الله، فاختار لقاء الله» (جـ ١ ص ٣٦٠).

● «عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إنى لأعلم ما فى السموات وما فى الأرض، وأعلم ما فى الجنة، وأعلم ما فى النار، وأعلم ما كان ويكون. قال: ثم مكث هنيهة فرأى ان ذلك كبر على مَن سمعه منه فقال: علمتُ ذلك من كتاب الله عَزَّ وجَلَّ: إن الله عَزَّ وجَلَّ يقول: «فيه تبيان كل شىء»[1] (جـ ١ ص ٢٦١).

● «وفى حديث لأبى جعفر قال: اترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه

---

(١) هكذا بالأصل: قال معلقه: لعله نقل بالمعنى، فإن فى المصاحف: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أو كان - فى قراءتهم عليهم السلام - والآية من سورة النحل: ٨٩

على عباده ثم يُخفي عنهم أخبار السموات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم»؟ (جـ ١ ص ٢٦٢).

● «وفي حديث لأبي جعفر قال: الله أجَلّ وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه» (جـ ١ ص ٢٦٢).

● «وعن أبي جعفر قال: نزل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام برمانتين من الجنة، فلقيه عليّ عليه السلام فقال: ما هاتان الرمانتان اللتان في يدك؟ فقال: أما هذه فالنبوة ليس لك فيها نصيب، وأما هذه فالعلم، ثم فلقها رسول الله ﷺ بنصفين فأعطاه نصفها، وأخذ رسول الله ﷺ نصفها، ثم قال: «أنت شريكي فيه وأنا شريك فيه»، قال: فلم يعلم والله رسول الله ﷺ حرفاً مما علَّمه الله عزَّ وجَلَّ إلا وقد علمه علياً، ثم انتهى العلم إلينا، ثم وضع يده على صدره» (جـ ١ ص ٢٦٣).

● «وعن أبي جعفر قال: لو كان لألسنتكم أوكية لحدَّثتُ كل امرىء بما له وما عليه» (جـ ١ ص ٢٦٤).

● «وفي حديث لأبي عبد الله قال: إنَّ الله عزَّ وجَلَّ فوَّض إلى سليمان فقال: ﴿ **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [ص: ٣٩]، وفوَّض إلى نبيه عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]، فما فوَّض إلى رسول الله ﷺ فقد فوَّضه إلينا» (جـ ١ ص ٢٦٦).

● «عن أبي عبد الله قال: الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ(١) إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي ﷺ، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة الرسول ﷺ» (جـ ١ ص ٢٧٠).

---

(١) يرى الشيعة أن لأئمتهم عصمة كالأنبياء تماماً، وليس هذا لغيرهم، ويجب الرجوع إليهم عند الاختلاف وعدم وجود نص من الكتاب والسُّنَّة، أما مَن عداهم من الناس فلا يصح الرجوع إليه بحال من الأحوال، لأن غير المعصوم لا يُرجع إليه، ولا يؤخذ برأيه في مسائل الخلاف.

ويقول السيد عبد الله العلوي الشهير بـ«شبر» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩]> يقول: «دلّ على وجود أولي الأمر في كل زمان، بحيث يجب طاعتهم لعلمهم وفضلهم، وعصمتهم، ولا ينطبق إلا على مذهب الإمامية.. وعنهم عليهم السلام: إيانا عنى خاصة.. أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا. ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ** ﴾: أيها المأمورون. ﴿ **فِي شَيْءٍ** ﴾: من أمور الدين. ﴿ **فَرُدُّوهُ** ﴾: فراجعوا فيه. ﴿ **إِلَى اللَّهِ** ﴾: إلى محكم كتابه.. ﴿ **وَالرَّسُولِ** ﴾: بالأخذ بسنته، والمراجعة إلى مَن أمر بالمراجعة إليه. فإنها رد إليه. وقرىء: «فإن خفتم تنازعاً في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم».

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣]... يقول: =

● «عن أبى عبد الله قال: يعرف الذى بعد الإمام علم مَن كان قبله فى آخر دقيقة تبقى من روحه» (جـ ١ ص ٢٧٤ – ٢٧٥).

● «عن زيد بن الجهم الهلالى، عن عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لما نزلت ولاية علىّ بن أبى طالب عليه السلام، وكان من قول رسول الله ﷺ: سلّموا على علىّ بإمرة المؤمنين، فكان مما أكبر الله عليهما فى ذلك اليوم يا زيد: قول رسول الله ﷺ لهما: قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقالا: أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله ﷺ: «من الله ومن رسوله، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون﴾[1]: يعنى به قول رسول الله ﷺ لهما وقولهما: أمن الله أو من رسوله؟، ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون﴾ «ائمة هى أزكى من ائمتكم» قال: قلت: جُعلتُ فداك، ائمة؟ قال: إى والله ائمة. قلت: فإنَّا نقرأ «أربى»، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها، ﴿إنما يبلوكم الله به﴾: يعنى بعلىّ عليه السلام، ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن﴾: يوم القيامة ﴿عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾: يعنى مقالة رسول الله ﷺ فى علىّ عليه السلام، و ﴿وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله﴾: يعنى به علياً عليه السلام، ﴿ولكم عذاب عظيم﴾ (جـ ١ ص ٢٩٢)[2].

= ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾: هم آل محمد عليهم السلام: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾: يستخرجون تدبيره بافكارهم وهم آل محمد عليه السلام».

(التفسير والمفسرون: ٢ / ١٤١)

(١) النحل: ٩١ وما بعدها.

(٢) يدين الشيعة بإمامة علىّ رضى الله عنه، ويرون أنه خليفة النبى ﷺ بلا فصل، لذا تراهم يحاولون بكل جهودهم أن يثبتوا إمامته وولايته من القرآن، فالطبرسى – مثلاً – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: ٥٥].. يبذل مجهوداً كبيراً لاستخلاص وجوب إمامة علىّ رضى الله عنه من هذه الآية، فنجده أولاً يتكلم عن المعانى اللغوية لبعض مفردات الآية فيفسر «المولى» بقوله: «المولى هو الذى يلى النصرة والمعونة، والولى هو الذى يلى تدبير الأمر. يقال: فلان ولى أمر المرأة: إذا كان يملك تدبير نكاحها. وولى الدم: مَن كان إليه المطالبة بالقود. والسلطان ولى أمر الرعية. ويقال لمن يرشحه للخلافة عليهم بعده: ولى عهد المسلمين. قال الكميت يمدح علياً:

ونعْمَ ولى الأمر بعد وليه ... ومنتجع التقوى ونعْم المؤدب

ويروى الفتوى: «وإنما أراد ولى الأمر والقائم بتدبيره، قال مبرد فى كتاب «العبارة عن صفات الله»: «أصل الولى الذى هو أولى أى أحق، ومثله المولى». ثم بعد ذلك فسر الطبرسى «الركوع» و«الحزب»، ثم ذكر الإعراب، ثم ذكر سبب النزول فقال بعد سياقه لسند طويل: «... بيْنا =

. . . .

= عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ: إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله ﷺ إلا قال الرجل: قال رسول الله، فقال ابن عباس: سألتك بالله مَن أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البدرى أبو ذو الغفارى، سمعتُ رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول: «عليّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، ومنصور مَن نصره، ومخذول مَن خذله»: أما إني صليتُ مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلي السماء فقال: اللّهم إني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليّ راكعاً فأوى بخنصره اليمنى إليه – وكان يتختم فيها – فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ﷺ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلي السماء فقال: اللّهم إن أخي موسى سألك فقال: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٥ – ٣٢].. فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ [القصص: ٣٥].. اللّهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللّهم فاشرح لي صدرى، ويسر لي أمرى، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشدد به ظهرى، قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل عليه جبريل من عند ربه فقال: «يا محمد.. اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال اقرأ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [المائدة: ٥٥].. وروى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه. وروى أبو بكر الرازى في كتاب «أحكام القرآن» – على ما حكاه المغربي عنه – والرمانى، والطبرى أنها نزلت في عليّ حين تصدّق بخاتمه وهو راكع، وهو قول مجاهد والسدى، والمروى عن أبى جعفر وأبي عبد الله وجميع علماء أهل البيت. وقال الكليني: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية. وفي رواية عطاء: قال عبد الله بن سلام: يارسول الله، أنا رأيت علياً تصدّق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه. وقد رواه السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكانى بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبى صالح أبى الصلاح عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس، وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا، فقال لهم النبى ﷺ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾.. الآية، ثم إن النبي خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع، فبصر بسائل، فقال النبى ﷺ: «هل أعطاك أحد شيئاً»؟ فقال: نعم.. خاتم من فضة، فقال النبى: «من أعطاكه»؟ قال: ذلك القائم – وأومأ بيده إلى عليّ – فقال النبي ﷺ: على أي حال أعطاكه؟ قال: أعطاني وهو راكع. فكبَّر النبى ثم قرأ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.. فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً ... وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذى أعطيت إذ كنت راكعاً ... زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وثبتها ثبت الكتاب الشرائع =

= وفى حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير: أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مع رهط من قومه يشكو إلى رسول الله ﷺ ما لقوا من قومهم، فبينا هم يشكون إذ نزلت هذه الآية، وأذَّن بلال فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد وإذا بمسكين يسأل، فقال ﷺ: «ماذا أعطيت»؟ قال: خاتم من فضة، قال: «مَن أعطاكه»؟ قال: ذلك القائم. فإذا هو عليّ. قال: «على أى حال أعطاكه»؟ قال: أعطانى وهو راكع، فكبَّر رسول الله ﷺ وقال: ﴿ومن يتولَّ الله ورسوله﴾.. ثم شرح المعنى فقال: «ثم بيَّن تعالى مَن له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم، ويجب طاعته عليهم، فقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾.. أى الذى يتولى مصالحكم ويحقق تدبيركم هو الله تعالى، ورسوله يفعله بأمره.. ﴿والذين آمنوا﴾.. ثم وصف الذين آمنوا فقال: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بشرائطها .. ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أى ويعطون الزكاة.. ﴿وهم راكعون﴾ أى فى حال الركوع. وهذه الآية من أوضح الدلالة على صحة إمامة علىّ بعد النبى ﷺ بلا فصل. والوجه فيه: أنه إذا ثبت أن لفظة: ﴿وليكم﴾ فى الآية مَن هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم، وثبت أن المراد بـ«الذين آمنوا» علىّ، ثبت النص عليه بالإمامة ووضح. والذى يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة، فمَن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك، وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته. وإن الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره، أن لفظة: ﴿إنما﴾ على ما تقدَّم ذكره تفيد التخصيص ونفى الحكم عمَن عدا المذكور، كما يقولون: إنما الفصاحة للجاهلية، ويعنون نفى الفصاحة عن غيرهم. وإذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة: «الولى» على الموالاة فى الدين والمحبة، لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر، والمؤمنون كلهم مشتركون فى هذا المعنى، كما قال سبحانه: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١].. وإذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقيق بالأمور، وما يقتضى فرض الطاعة على الجمهور لأنه لا محتمل للفظ إلا الوجهان، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر. والذى يدل على أن المعنىّ بـ«الذين آمنوا» هو علىّ، والرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدّق بخاتمه فى حال الركوع، وقد تقدّم ذكرها، وأيضاً فإن كل مَن قال إن المراد بلفظه: «ولى» ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة، ذهب إلى أنه المقصود بالآية والمنفرد، ولا أحد من الأمة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضى ما ذكرنا ويذهب إلى أن المعنىّ بها سواه. وليس لأحد أن يقول: إن لفظة: ﴿الذين آمنوا﴾ لفظ جمع فلا يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد، وذلك أن أهل اللغة قد يعبِّرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم، وذلك أشهر فى كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه. وليس لهم أن يقولوا: إن المراد بقوله: ﴿وهم راكعون﴾، أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة، وذلك لأن قوله: ﴿يقيمون الصلاة﴾ قد دخل فيه الركوع، فلو لم يحمل قوله: ﴿وهم راكعون﴾ على أنه حال من ﴿يؤتون الزكاة﴾، وحملناه على مَن صفتهم الركوع، كان ذلك كالتكرار غير المفيد، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذى لا يفيد. ووجه آخر فى الدلالة على أن الولاية فى الآية مختصة، أنه قال: ﴿إنما وليكم الله﴾ فخاطب جميع المؤمنين، ودخل فى الخطاب النبى ﷺ وغيره، ثم قال: ﴿ورسوله﴾.. فأخرج النبى ﷺ من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته، ثم قال: ﴿والذين آمنوا﴾.. فوجب أن يكون الذى خوطب بالآية هو الذى جُعلت له الولاية وإلا أدّى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه، =

= وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولى نفسه، وذلك محال. واستيفاء الكلام فى هذا الباب يطول به الكتاب ومَن أراده فليطلبه من مظانه ...».

ولا شك أن هذه محاولة فاشلة، فإن حديث تصدق علىّ بخاتمه فى الصلاة - وهو محور الكلام - حديث موضوع لا أصل له، وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى فى كتابه «منهاج السُّنَّة» (جـ ١ ص ٣ - ٩).

ويقول الحسن العسكرى فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨]... يقول: «قال العالم موسى بن جعفر: إن رسول الله ﷺ لما أوقف أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فى يوم الغدير موقفه المشهور، ثم قال: يا عباد الله انسبونى، فقالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثم قال: يا أيها الناس، ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فنظر إلى السماء وقال: اللَّهم اشهد بقول هؤلاء - وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثاً - ثم قال: ألا فمَن كنتُ مولاه وأولى به فهذا علىّ مولاه وأولى به، اللَّهم وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله، ثم قال: قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام وبايع له. ثم قال: قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين، فقام فبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يابن أبى طالب، أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرقوا عند ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق. ثم إن قوماً من متمرديهم وجبابرتهم تواطأوا بينهم لئن كان لمحمد كائنة ليدفعن هذا الأمر من علىّ ولا يتركونه، فعرف الله ذلك من قبَلهم، وكانوا يأتون رسول الله ويقولون: لقد أقمت علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفيتنا مؤنة الظلمة لنا، والمتجبرين فى سياستنا، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون، فأخبر الله عَزَّ وجَلَّ محمداً عنهم فقال: يا محمد ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ** ﴾.. الذى أمرك بنصب علىّ إماماً وسايساً لأمتك ومدبراً، ﴿ **وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ بذلك، لكنهم يتواطئون على إهلاكك وإهلاكه، يوطئون أنفسهم على التمرد على علىّ إن كانت بك كائنة» (ص ٤١ - ٤٢).

وعند قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣].. يقول: «قال موسى بن جعفر: إذ قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة، قال لهم خيار المؤمنين كسلمان والمقداد وأبى ذر وعمار: آمنوا برسول الله وعلىّ الذى أوقفه موقفه وأقامه مقامه وأناط مصالح الدين والدنيا كلها به، وآمنوا بهذا النبى وسلِّموا لهذا الإمام، وسلِّموا له فى ظاهر الأمر وباطنه كما آمن الناس المؤمنون كسلمان والمقداد وأبى ذر وعمار، قالوا فى الجواب لمن يفضون إليه - لا لهؤلاء المؤمنين - فإنهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب، ولكنهم يذكرون لمن يفضون إليه من أهلهم والذين يثقون بهم من المنافقين ومن المستضعفين من المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم، يقولون لهم: ﴿ **أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** ﴾.. يعنون سلمان وأصحابه لما أعطوا علياً خالص ودهم ومحض طاعتهم، وكشفوا رؤوسهم بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه حتى إن اضمحل أمر محمد طحطحهم أعداؤه، وأهلكهم سائر الملوك والمخالفين لمحمد، فهم بهذا التعرض لأعداء محمد جاهلون سفهاء، قال الله عزَّ وجَلَّ: =

= ﴿ **ألا إنهم هم السفهاء** ﴾ .. الأخفاء العقول والآراء، الذين لم ينظروا فى أمر محمد حق النظر فيعرفوا نبوته، ويعرفوا صحة ما ناطه بعلمه من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، وصاروا خائفين وجلين من محمد وذُرِّيته ومن مخالفيهم، لا يأمنون أيهم يغلب فيهلكون معه. فهم السفهاء حيث لا يُسلِّم لهم بنفاقهم هذا لا محبة محمد والمؤمنين ولا محبة اليهود وسائر الكافرين، لأنهم يظهرون لمحمد من موالاته وموالاة أخيه علىّ ومعادة أعدائهم اليهود والنصارى، كما يظهرون لهم من معاداة محمد وعلىّ وموالاة أعدائهم، فهم يقدِّرون فيهم نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمد وعلىّ، ولكن لا يعلمون أن الأمر كذلك وأن الله يُطْلِع نبيه على أسرارهم فيخشاهم ويلعنهم ويسقطهم» (ص ٤٤ – ٤٥).

وعند تفسيره لقوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠] .. يقول: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ** ﴾ .. من صفة محمد وصفة علىّ وحليته، ﴿ **وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ** ﴾ .. قال: والذى أنزلناه هو ما أظهرناه من الآيات على فضلهم ومحلهم، كالغمامة التى تظل رسول الله فى أسفاره، والمياه الأجاجة التى كانت تعذب فى الآبار بريقه، والأشجار التى كانت تتهدل ثمارها بنزوله تحتها، والعاهات التى كانت تزول بمسح يده عليها أو بنفث ريقه فيها، وكالآيات التى ظهرت على علىّ من تسليم الجبال والصخور والأشجار قائلة: يا ولى الله ويا خليفة رسول الله، السموم القاتلة التى تناولها مَن سمى باسمه عليها ولم يصبه بلاؤها .. وسائر ما خصَّه الله تعالى به من فضائله، فهذا من الهدى الذى بينه الله للناس فى كتابه. (ص ٢٣٦ – ٢٣٧).

أما ملا محسن الكاشى فإنه عندما يفسر قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٥] .. نراه يستند إلى هذه الآية استناداً قوياً فى أن علياً رضى الله عنه هو وصى النبى ﷺ وخليفته من بعده، فيقول ما نصه: «فى الكافى عن الصادق فى تفسير هذه الآية: «أولى بكم» أى أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا – يعنى علياً وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة – ثم وصفهم الله فقال: ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾ .. وكان أمير المؤمنين فى صلاة الظهر – وقد صلى ركعتين – وهو راكع، عليه حُلَّة قيمتها ألف دينار، وكان النبى أعطاه إياها، وكان النجاشى أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليك يا ولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم... تصدَّق على مسكين، فطرح الحُلَّة إليه، وأومأ بيده إليه أن احملها، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيه هذه الآية، وصيَّر نعمة أولاده بنعمته، فكل مَن بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله، فيتصدقون وهم راكعون. والسائل الذى سأل أمير المؤمنين من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة. وعنه عن أبيه عن جده فى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا** ﴾ [النحل: ٨٣] .. قال: لما نزلت ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ** ﴾ .. الآية، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجد المدينة فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإن هذا ذل حين يُسلَّط علينا علىّ بن أبى طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول، ولكنّا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ** =

= ينكرونها ﴾ يعني ولاية عليّ.. ﴿ وأكثرهم الكافرون ﴾ بالولاية، وعنه أنه سئل: الأوصياء طاعتهم مفروضة؟ قال: نعم هم الذين قال الله: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء: ٥٩].. وهم الذين قال الله: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾..... الآية، وروى المؤلف غير ذلك من الروايات، وكلها يدور حول هذا الشأن.. ثم ادّعى إجماع الأمة على أنه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد منهم وهو راكع غير رجل واحد هو عليّ.. ثم علل عدم ذكره باسمه في الكتاب بأنه لو ذُكر باسمه في الكتاب لأسقط مع ما أسقط... ثم وفّق بين الروايات القائلة بأنه تصدّق بُحلته وبين الروايات القائلة بأنه تصدّق بخاتمه فقال: «لعله تصدّق مرة في ركوعه بالحُلّة، ومرة بالخاتم.. والآية نزلت بعد الثانية. وقوله تعالى: ﴿ ويؤتون ﴾.. إشعار بذلك، لتضمنه التكرار والتجدد، كما أن فيه إشعاراً بفعل أولاده أيضاً (جـ ١ ص ١٦٤).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ﴾ [المائدة: ٦٧]، نراه يحمل التبليغ المأمور به — عليه السلام — على تبليغه للناس إمامة عليّ وولايته.. ويروى هنا قصة طويلة جداً.. ويروى خطبة النبي ﷺ لأصحابه عند «غدير خم»، وهي خطبة طويلة كذلك، وفي الخطبة يقول رسول الله ﷺ مبيّناً سبب نزول الآية: «وأنا مبيّن لكم سبب هذه الآية: إن جبريل هبط إليّ مراراً ثلاثة، يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام: أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن علياً بن أبي طالب أخي، ووصيي وخليفتي، والإمام من بعدي الذي محله مني محل هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله عليّ بذلك آية من كتابه: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [المائدة: ٥٥].. وعليّ بن أبي طالب أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع، يريد لله عزّ وجلّ في كل حال، وسألت جبريل أن يستغفر لي عن تبليغ ذلك إليكم أيها الناس، لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الآثمين، وحيل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله في كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني أذناً، وزعموا أني كذلك لكثرة ملازمته إياي وإقبالي عليه، حتى أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك: ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم ﴾.. الآية [التوبة: ٦١]، ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت، وأن أومىء إليهم لأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لدللت، ولكني — والله — في أمورهم قد تكرمت، وكل ذلك لا يرضي الله مني إلا أن أبلّغ ما أنزل إليّ.. ثم تلا: ﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك ﴾ في عليّ ﴿ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾.. إلخ (جـ ١ ص ١٦٥ — ١٧١].

ومثلاً عند قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ الآية [النساء: ٥٩]، نراه يحمل هذه الآية على وفق مذهبه، فيقصر أولي الأمر على الأئمة من أهل البيت خاصة، أما مَن عداهم فليسوا أولي الأمر، وليس يجب على أحد أن يقوم بطاعتهم، ولهذا يقول عند تفسيره لهذه الآية ما نصه: «في الكافي والعياشي عن الباقر: إيانا عنى خاصة.. أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا. وفي الكافي عن الصادق: أنه سئل عن الأوصياء.. طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم، هم الذين قال الله: ﴿ أطيعوا الله ﴾.. الآية، وقال الله: ﴿ إنما وليكم الله ﴾.. الآية، وفيه العياشي عنه في هذه الآية قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين، فقال:=

= إن الناس يقولون: فما له لم يسم علياً وأهل بيته في كتابه؟ فقال: فقولوا لهم: نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله ﷺ فسّر ذلك لهم، ونزلت: ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾. ونزلت في عليّ والحسن والحسين، فقال رسول الله ﷺ في عليّ: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه». وقال: «أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله أن لا يُفرِّق بينهما حتى يوردهما على الحوض، فأعطاني ذلك». وقال: «لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»، وقال: «إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم في باب ضلالة»، فلو سكت رسول الله ﷺ ولم يبيّن مَن أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: «اللّهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي»، فقالت أم سلمة: ألستُ من أهلك؟ فقال: «إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي...» الحديث، وزاد العياشي: «آل عباس»، و«آل عقيل»، قبل قوله: وآل فلان. عن الصادق أنه سُئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام التي إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحق في الأموال والزكاة، والولاية التي أمر الله بها، ولاية آل محمد، فإن رسول الله قال: «مَن مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية».. قال الله تعالى: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾.. فكان عليّ، ثم صار من بعده الحسن، ثم بعده الحسين، ثم من بعده عليّ بن الحسين، ثم من بعده محمد بن عليّ، ثم هكذا يكون الأمر.. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام»... الحديث. وفي «المعاني» عن سليم ابن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين أنه سأله: ما أدنى ما يكون به الرجل ضالاً؟ فقال: أن لا يعرف مَن أمر الله بطاعته وفرض ولايته وجعله حُجّة في أرضه، وشاهده على خلقه.. قال: فمَن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾. قال: فقبّلت رأسه وقلت: أوضحتَ لي، وفرّجت عني، وأذهبتَ كل شيء كان في قلبي. وفي «الإكمال» عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمَن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك، فقال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم عليّ بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم عليّ.

ويذكر السيد عبد الله العلوي الشهير بـ«شبر» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [المائدة: ٥٥]، فيذكر أنها «نزلت في عليّ عليه السلام حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فأومأ إليه بخنصره فأخذ خاتمه منها» ويدّعي إطباق أكثر المفسرين على ذلك واستفاضة الروايات فيه من الجانبين - جانب الموافقين وجانب المخالفين - ثم يقول بعد ذلك: «وتدل - يعني الآية - على إمامته دون مَن سواه، للحصر وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات، وعبّر عنه بصيغة الجمع تعظيماً، أو لدخول أولاده الطاهرين» (ص ٢٦٤).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة: ٦٧]، يروى عن أهل البيت وابن عباس وجابر: «أن الله أوحى إلى نبيه أن =

= يستخلف علياً، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فنزلت، فأخذ بيده فقال: ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى.. قال: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه» (ص ٢٦٨).

ويدين هذا المؤلف بأن أمر الإمامة ليس موكولاً لأحد من الناس، بل كل إمام يوصى لمن بعده، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾..... الآية [النساء: ٥٨]، يعترف بأن الأمر يعم كل مكلَّف وكل أمانة.. ثم يقول: «وعنهم - عليهم السلام - أنه أمرٌ لكل واحد من الأئمة أن يسلِّم الأمر لمن بعده» (ص ٢٠٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾..... الآية [الأحزاب: ٣٦]، يقول: «وفيه رد على مَن جعل الإمامة بالاختيار» (ص٨٧٣).

ويقرر سلطان محمد الخراسانى فى تفسيره إمامة علىّ رضى الله عنه، وخلافته للنبى ﷺ بدون فصل، فمثلاً فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].. نجده يؤكد أن الآية نازلة في حق علىّ رضى الله عنه، وأن المراد من الولاية ولاية التصرف لا ولاية المعاشرة، ويرد على من يخالف ذلك بما يظهر له من الدليل، كما يبين السر الذى من أجله ذكر علىّ بوصفه دون اسمه. وذلك حيث يقول: «قد ورد من طريق العامة والخاصة أن الولاية نازلة فى علىّ حين تصدّق فى المسجد فى ركوع الصلاة بخاتمة أو بحُلَّته التى كان قيمتها ألف دينار. ومفسرو العامة لا ينكرون الأخبار فى كونها نازلة فى أمير المؤمنين، وقد نقلوا بطرق عديدة من رواتهم أنها نزلت فى علىّ، ومع ذلك يقولون فى تفسيرها: إن الآية نزلت بعد النهى عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء، ولا شك أن المراد بالأولياء هناك أولياء المعاشرة، بقرينة المقابلة، وبقرينة جمع المؤمنين، ولو كان المراد أمير المؤمنين وبالولاية ولاية التصرف لصرّح باسمه، أو لقال: «والذى آمن» بالإفراد، وهم غافلون عن أنه لو صرّح باسمه. أو أفرد المؤمن - مع الاتفاق فى أنها نازلة فى أمير المؤمنين - لأسقطوه تمويهاً على عابدى عجلهم، فنقول: نسبة الولاية أولاً إلى الله، ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، ثم إلى الذين آمنوا، تدل على أن المراد بالولاية ولاية التصرف التى فى قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].. لأن ولاية الله ليست ولاية المعاشرة ولا ولاية الرسول، بقرينة العطف، وبما هو معلوم من الخارج، فكذلك ولاية الذين آمنوا بقرينة العطف، وبقرينة عدم تكرار الولى، فإن المراد أن الولاية ههنا أمر واحد مترتب فى الظهور، فإن ولاية الرسول ليست شيئاً سوى ولاية الله، وولاية الله تتحقق بولاية الرسول، فهكذا ولاية الذين آمنوا، فإنها ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تظهر فى ولاية الذين آمنوا على ما قاله الشيعة، ولو كان المراد ولاية المعاشرة كان «أولياؤكم» بلفظ الجمع أولى، وتقييد الذين آمنوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى حال الركوع يدل على أنها ليست ولاية المعاشر، وإلا لكان جملة المؤمنين فيها سواء، وليس كل المؤمنين متصفين بالصفات المذكورة، على أنه لا خلاف معتداً فى« أنها نزلت فى علىّ وصورة الأوصاف خاصة به، وقوله: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ - بالمضارع - إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر لهم، يعنى حالهم استمرار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى حال الخضوع لله، لا فى حال بهجة النفس، لأنهم ﴿ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].. بخلاف الفاعل من قبَل النفس، =

● «عن أبى عبد الله قال: لما حضر رسول الله ﷺ الموت دخل عليه علىّ عليه السلام فأدخل رأسه، ثم قال: يا علىّ، إذا أنا مت فغسلنى وكفنى ثم أقعدنى وسلنى واكتب» (جـ ١ ص ٢٩٧).

● **الغيبـــة :**

«وفى حديث عن موسى بن جعفر قال: إذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله فى أديانكم لا يزيلكم عنها أحد، يا بنىّ إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر مَن كان يقول به» (جـ ١ ص ٣٣٦).

● «وفى حديث لأبى عبد الله قال: أما والله ليغيبن إمامكم سنيناً من دهركم ولتمحضن حتى يقال: مات، قُتل، هلك بأى واد سلك؟ ولتدمعن عليه عيون المؤمنين» (جـ ١ ص ٣٣٦).

= فإنه شأنه الارتضاء بفعله، وتوقع المدح من الغير على فعله، لأن كل حزب من أحزاب الناس بما لديهم فرحون، ويحبون أن يُحمدوا على ما لم يفعلوا، فضلاً عما فعلوا. واستمرار الصفات بحسب المعنى: لعلىّ وأولاده المعصومين بشهادة أعدائهم، وبحسب الصورة: ما كان أحد مصداقها إلا علىّ نقلاً عن طريق العامة والخاصة. ووقع صدور الزكاة فى الركوع من كل الأئمة كما ورد عن طريق الخاصة. وفى نسبة الولاية إلى الله دون المخاطَب والإتيان بأداة الحصرة دلالة تامة على أن المراد بها ولاية التصرف، فإنها ثابتة لله ذاتاً ولرسوله والخلفاء رسوله باعتبار كونهما مظهرين لله، وليس لأحد شركة فيها، وليس المراد بها ولاية المعاشرة التى تكون بالمواضعة والاتخاذ، وإلا لم يكن للحصر وجه، وكان اقتضاء المقابلة أن يقول: بل أنتم أولياء الله.. إلخ، أو: بل اتخذوا الله ورسوله والمؤمنين أولياء، ولأن المراد بها ولاية التصرف التى كانت بالذات لله قال فى عكسه: ﴿ومن يتولَّ الله ورسوله والَّذين آمنوا﴾ [المائدة: ٥٦] إشعاراً بأن الولاية السابقة هى ولاية التصرف وليست لغير الله إلا قبولها، ومن قبلها منهم باستعداده لظهورها فيه صار مرتبطاً بالله وخلفائه، ومَن صار مرتبطاً بالله صار من حزب الله، ومَن صار من حزب الله كان غالباً ﴿فإنَّ حزب الله هم الغالبون﴾ [المائدة: ٥٦].. ولو كان المراد بها المعاشرة لكان الأولى أن يقول: ومَن يتخذ الله، أو: ومَن صار ولياً لله، والحاصل: أن فى لفظ الآية دلالات واضحة على أن المراد بالولاية ولاية التصرف، وأنها بعد الرسول ليست لجملة المؤمنين، بل لمن اتصف بصفات خاصة كائناً مَن كان، متعدداً أو منفرداً، سواء قلنا نزلت فى علىّ أو لم ينقل، لكن باتفاق الفريقين لم توجد الأوصاف إلا فيه، ونزلت الآية فى حقه، والمراد بـ﴿الَّذين آمنوا﴾ ههنا، هم الموصوفون فى الآية السابقة، لما تقرر عندهم أن المعرفة إذا تكررت كانت عَيْن الأولى» (جـ ١ ص ١٢٤).

وعند قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الرَّسولُ بلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ من ربِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، نجده يدّعى – كغيره من الإمامية – أن القراءة الصحيحة كانت: «بَلِّغ ما أنزل إليك من ربك فى علىّ»، ويحمل التبليغ المأمور به النبى ﷺ على ذلك فحسب، ويمنع إرادة العموم، ويقيم الأدلة على ذلك رداً على مَن يدّعى العموم، وغرضه من ذلك كله إثبات إمامة علىّ رضى الله عنه بنص القرآن الكريم.

(التفسير والمفسرون: ٢/٦٣، ٦٤، ٧٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٤٣، ١٦٢).

● « وعن أبى عبد الله قال: يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه » (جـ ١ ص ٢٣٧، ٢٣٨).

● « وعن موسى بن جعفر فى قوله الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠]، قال: إذا غاب عنكم إمامكم فمَن يأتيكم بإمام جديد » (جـ ١ ص ٣٤٠).

● « عن أم هانىء قالت: سألت أبا جعفر محمد بن علىّ عليه السلام عن قوله الله تعالى: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥ – ١٦]، قالت: فقال: إمام يخنس سنة ستين ومائتين، ثم يظهر كالشهاب يتوقد فى الليلة الظلماء، فإن أدركت زمانه قرَّت عينك » (جـ ١ ص ٣٤١).

● **مميزات الأئمة وعلاماتهم :**

« عن جميل بن دراج قال: روى عن غير واحد من أصحابنا أنه قال: لا تتكلموا فى الإمام، فإن الإمام يسمع الكلام وهو فى بطن أمه، فإذا وضعت كتب الملَك بين عينيه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فإذا قام بالأمر رُفِعَ له فى كل بلد منار ينظر منه إلى أعمال العباد ». (جـ ١ ص ٣٨٨).

● « عن أبى جعفر قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهَّراً مختوناً، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب، ولا يتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله ﷺ كانت عليه وفقاً، وإذا لبسهما غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً، وهو محدَّث إلى أن تنقضى أيامه » (جـ ١ ص ٣٨٨ – ٣٨٩).

■ « عن أبى عبد الله قال: إنَّ الله خلقنا من نور عظمته، ثم صوَّر خلقنا من طينه مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذى خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجاً للنار وإلى النار » (جـ ١ ص ٣٨٩).

● « وعن أبى جعفر قال: إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خُلقت مما خلقنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ١٨ – ٢١]، وخلق عدونا من سجين، وخلق

شيعتهم مما خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧ - ٩]. (جـ ١ ص ٣٩٠).

● «عن سدير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج وأخذ بيدى، ثم استقبل البيت فقال: يا سدير، إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] - ثم أومأ بيده إلى صدره - إلى ولايتنا، ثم قال: يا سدير، فأريك الصادِّين عن دين الله، ثم نظر إلى أبى حنيفة وسفيان الثورى فى ذلك الزمان وهم حلق فى المسجد فقال: هؤلاء الصادُّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا فى بيوتهم فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ، حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ» (جـ ١ ص ٣٩٢).

● «عن أبى حمزة الثمالى قال: دخلتُ على علىّ بن الحسين عليهما السلام فاحتبستُ فى الدار ساعة، ثم دخلتُ البيت وهو يلتقط شيئاً، وأدخل يده من وراء الستر فناوله مَن كان فى البيت، فقلت جُعلتُ فداك، هذا الذى أراك تلتقطه أى شىء هو؟. فقال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحاً(١) لأولادنا، فقلت: جُعلتُ فداك، وإنهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة، إنهم ليزاحموننا على تكأتنا» (جـ ١ ص ٣٩٤).

● «وعن أبى الحسن عليه السلام قال: ما من مَلَك يُهبطه الله فى أمر ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر» (جـ ١ ص ٣٩٤).

● «عن زرارة قال: كنت عند أبى جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلونى عما شئتم فلا تسألونى عن شىء إلا أنبأتكم به». قال: إنه ليس أحد عنده علم شىء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاءوا، فوالله ليس الأمر إلا من ههنا، وأشار بيه إلى بيته» (جـ ١ ص ٣٩٩).

● «عن أبى عبد الله فى قول الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

---

(١) قال معلقه: بفتح المهملة وسكون المثناة التحتانية: ضرب من البرود. أو سبحاً (بالموحدة) من السبحة. أ هـ.

جَهُولاً ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام». (جـ ١ ص٤١٣)

● «عن أبي عبد الله في قوله-تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ ﴾ [طه: ١١٥]: كلمات في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام في ذُرِّيتهم، ﴿ فَنَسِيَ ﴾، هكذا والله نزلت على محمد ﷺ» (١).

● «عن أبي جعفر قال: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾: محمد، ﴿ بِمَا لا تَهْوَىٰ

---

(١) يرى الشيعة أن الرسول ﷺ وآل بيته كانوا معروفين عند الأمم السابقة، وكان لهم أشياع وأتباع يوالونهم، ويتوسلون بهم، وينالهم الخير والبركة بسبب حبهم.

وهذه الروايات لا نعتقد إلا أنها من قبيل الخرافات التي تسلّطت على عقول أولئك القوم، ومن هذه الروايات – مثلاً – ما ذكره سلطان محمد الخرساني في قصة قتيل بني إسرائيل المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ ..... الآيات (البقرة: ٦٧] إلى آخر القصة من أن موسى جمع أماثل القبيلة التي وجد القتيل فيها، وألزمهم أن يحلف خمسون منهم بالله القوي الشديد إله بني إسرائيل بفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً» (جـ ١ ص ٥٧).

وبعد ذلك بقليل يذكر أنهم طلبوا هذه البقرة المذكورة بأوصافها في القرآن فلم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محمداً وعلياً وطيبي ذريتهما فقالا: إنك كنت لنا محباً مفضلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك، فإن الله يلقنها ما يغنيك وعقبك، وجاء القوم يطلبون بقرته، فقالوا: بكم تبيع بقرتك هذه؟ قال: بدينارين، والخيار لأمي. قالوا: وضينا بدينار، فسألها، فقالت: بأربعة، فأخبرهم، فقالوا: نعطيك دينارين، فأخبر أمه: فقالت ثمانية.. فما زالوا يطلبون على النصف مما تقول أمه، ويرجع إلى أمه فتضعّف الثمن حتى بلغ ثمنها ملء مسك ثور أكبر ما يكون دنانير، فأوجب لهم البيع فذبحوها وما كادوا يفعلون..» (جـ ١ ص ٥٨).

وبعد ذلك بقليل يقول: «وفي تفسير الإمام أن أصحاب البقرة ضجوا إلى موسى وقالوا: افتقرت القبيلة، وانسخلتا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فأرشدهم موسى إلى التوسل بنبينا ﷺ، فأوحى الله إليه: ليذهب رؤساؤهم إلى خربة بني فلان ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ما هنالك، فإنه عشرة آلاف ألف دينار، وليردوا على كل مَن دفع من ثمن هذه البقرة ما دفع، لتعود أحوالهم على ما كانت، ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم، لتتضاعف أموالهم جزاء على توسلهم بمحمد وآله، واعتقادهم لتفضيلهم» (جـ ١ ص ٥٨).

كما يروى أنهم توسّلوا إلى الله تعالى بالنبي محمد وآله عند ضربهم للقتيل ببعض البقرة، لأجل أن يحييه لهم فاستجاب، وأن القتيل بعد حياته توسل إلى الله بمحمد وآله أن يبقيه في الدنيا متمتعاً بابنة عمه، ويجزي عنه أعداءه، ويرزقه رزقاً كثيراً طيباً، فوهب له سبعين سنة زيادة على السنين التي عاشها قبل ذلك، وعاش في الدنيا صحيحة حواسه، قوية شهواته، متمتعاً بحلال الدنيا، وعاش معها لم يفارقها ولم تفارقه، وماتا جميعاً معاً، وصارا إلى الجنة وكانا فيها زوجين ناعمين» (جـ ١ ص ٥٨ – وانظر التفسير والمفسرون: ٢ / ١٥٨ – ١٥٩).

أنفسكم ﴾: بموالاة عليّ، ﴿ استكبرتم ففريقًا ﴾: من آل محمد، ﴿ كذبتم وفريقًا تقتلون ﴾ [البقرة: ٨٧]. (جـ ١ ص ٤١٨).

● «عن عبد الله بن كثير، عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿ عمَّ يتساءلون * عن النبأ العظيم ﴾ [النبأ: ١ - ٢]، قال: النبأ العظيم: الولاية، وسألته عن قوله: ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾ [الكهف: ٤٤]، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام» (جـ ١ ص ٤١٨).

● «وعن إدريس بن عبد الله عن أبي عبد الله قال: سألته عن تفسير هذه الآية: ﴿ ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣]، قال: عنيَ بها: لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١]، أما ترى الناس يسمون الذى يلى السابق فى الحلبة مصلى، فذلك الذى عنى حيث قال: ﴿ لم نك من المصلين ﴾: لم نك من أتباع السابقين» (جـ ١ ص ٤١٩).

● «عن أبى جعفر فى قوله تعالى: ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا ﴾: بولاية عليّ، ﴿ قطعت لهم ثياب من نار ﴾ [الحج: ١٩] (جـ ١ ص ٤٢٢).

● «قرأ رجل عند أبى عبد الله عليه السلام: ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة: ١٠٥]، فقال: ليس هكذا هى، إنما هى: «والمأمونون»، ونحن المأمونون» (جـ ١ ص ٤٢٤).

● «عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى فى قوله تعالى: ﴿ وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ [الحج: ٤٥]، قال: البئر المعطلة: الإمام الصامت، والقصر المشيد: الإمام الناطق» (جـ ١ ص ٤٢٧).

● «حدَّث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده فى قوله عز وجل ﴿ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ﴾ [النحل: ٨٣]، قال: لما نزلت: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾ [المائدة: ٥٥]، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون فى هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فهذا ذل حين يُسلَّط علينا ابن أبى طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول ولكنا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ﴾، يعرفون: يعنى ولاية عليّ بن أبى طالب، وأكثرهم الكافرون بالولاية» (جـ ١ ص ٤٢٧).

● «عن عبد الله بن سليمان عن أبى عبد الله قال: سألته عن الإمام فوَّض الله إليه كما فوَّض إلى سليمان بن داود؟ فقال: نعم، وذلك أن رجلاً سأله عن مسألة فأجابه

فيها، وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير الجواب الأول، ثم سأله آخر فأجابه بغير جواب الأولين، ثم قال: «هذا عطاؤنا فامنن أو (أعط)، بغير حساب»[١]، وهكذا هى على قراءة علىّ عليه السلام، قال: قلت: أصلحك الله، فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام؟ قال: سبحان الله، أما تسمع الله يقول: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾، وهم الأئمة، ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٦]، لا يخرج منها أبداً... ثم قال لى: نعم، إن الإمام إذا أبصر الرجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف من هو، إن الله يقول: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]، وهم العلماء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلا عرفه، ناج أو هالك [هكذا بالأصل]، فلذلك يجيبهم بالذى يجيبهم» (جـ ١ ص ٤٣٩).

* * *

نُقُول من الجزء الثانى

● «عن أبى جعفر قال: بُنِىَ الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشىء كما نودى بالولاية[٢]، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعنى الولاية» (جـ ٢ ص ١٨).

● «وعن الصادق قال: أثافى الإسلام ثلاثة: الصلاة، والزكاة، والولاية، لا تصح واحدة منهن إلا بصاحبتيها» (جـ ٢ ص ١٨).

● «عن زرارة، عن أبى جعفر قال: بُنِىَ الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية، قال زرارة: فقلت: وأى شىء من ذلك أفضل؟ قال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالى هو الدليل عليهن...

وفيه: أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحج جميع دهره، ولم يعرف ولاية ولى الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جَلَّ وعَزَّ حق فى ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان» (جـ ٢ ص ١٨، ١٩).

● **التقيَّـــــة**[٣]:

«عن أبى عبد الله فى قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾

---

(١) يشير إلى قوله تعالى فى الآية ٣٩ من سورة ص: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

(٢) جاء فى حديث آخر: «ولم يناد بشىء ما نودى بالولاية يوم الغدير» (جـ ٢ ص ٢١).

(٣) التقية: معناها المداراة والمصانعة، وهى مبدأ أساسى عندهم، وجزء من الدين، يدعون لإمامهم المختفى، ويظهرون الطاعة لصاحب السلطان، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة فى وجه الدولة الظالمة - وقد سبق تعريفها.

[القصص: ٥٤]، قال: بما صبروا على التقية، ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾، قال: الحسنة التقية، والسيئة: الإذاعة» (جـ ٢ ص ٢١٧).

● «عن أبى عمر الأعجمى: قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا عمر، إن تسعة أعشار الدين فى التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية فى كل شىء إلا فى النبيذ والمسح على الخفين»(١) (جـ ٢ ص ٢١٧).

● «قال أبو عبد الله: التقية من دين الله، قلت: من دين الله؟ قال: إى والله من دين الله، ولقد قال يوسف: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، والله ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، والله ما كان سقيماً» (جـ ٢ ص ٢١٧).

● «قال أبو عبد الله: ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، إن كانوا ليشهدون الأعياد، ويشدون الزنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرتين» (جـ ٢ ص ٢١٨).

● «قال أبو جعفر: «خالطوهم بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية» (جـ ٢ ص ٢٢٠).

● **تحريف القرآن (٢):**

«عن أحمد بن محمد بن أبى النصر قال: دفع إلىّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأتُ فيه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [يقصد سورة البيِّنة]، فوجدتُ فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، قال: فبعث إلىّ ابعث إلىّ بالمصحف» (جـ ٢ ص ٦٣١).

---

(١) قال معلقه: ذلك لعدم مسيس الحاجة إلى التقيَّة إلا نادراً، أو يكون نفى التقيَّة فيهما باعتبار رعاية زمان هذا الخطاب ومكانه، وحال المخاطَب وعلمه عليه السلام بأنه لا يضطر إليها.

(٢) يرى الشيعة أن القرآن الذى جمعه علىّ عليه السلام. وتوارثه الأئمة من بعده، هو القرآن الصحيح الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل. أما ما عداه فمحرَّف أو مبدَّل، حُذف منه كل ما ورد صريحاً فى فضائل آل البيت، وكل ما ورد صريحاً فى مثالب أعدائهم ومخالفيهم..

يقول سلطان محمد الخراسانى فى كتابه «بيان السعادة فى مقامات العبادة» ما نصه: «اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع فى صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصة والتغيير إنما هى فى مدركاتهم من القرآن لا فى لفظ القرآن كلفة، ولا يليق بالكاملين فى مخاطباتهم العامة، لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص، وصرف اللفظ عن ظاهره من غير صارف، وما تواهموه صارفاً من كونه مجموعاً عندهم فى زمن النبى، وكانوا يحفظونه ويدرسونه، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير التبديل، حتى ضبطوا قراءات القُرَّاء وكيفيات قراءاتهم.

فالجواب عنه: أن كونه مجموعاً غير مُسَلَّم، فإن القرآن نزل فى مدة رسالته إلى آخر عمره نجوماً، وقد استفاضت الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات فى العام الآخر، وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته، وأن علياً جلس فى بيته مشغولاً بجمع القرآن، أكثر من أن يمكن إنكاره. =

● «عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبى عبد الله عليه السلام وأنا أسمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كفَّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام، قرأ كتاب الله عَزَّ وجَلَّ على جده، وأخرج المصحف الذى كتبه علىّ عليه السلام، وقال: أخرجه علىّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عَزَّ وجَلَّ كما أنزله الله على محمد ﷺ، وقد جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان على أن أخرجكم حين جمعته لتقرأوه» (جـ ١ ص ٦٣٣).

● «عن أبى عبد الله قال: إن القرآن الذى جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية» (جـ ٢ ص ٦٣٤).

= وكونهم يحفظونه ويدرسونه مُسَلَّم، لكن كان الحفظ والدرس فيما كان بأيديهم، واهتمام الأصحاب بحفظه وحفظ قراءات القُرَّاء وكيفيات قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه، وكما كانت الدواعى متوفرة فى حفظه، كذلك كانت متوفرة من المنافقين فى تغييره. وأما ما قيل: إنه لم يبق لنا حينئذٍ اعتماد عليه، والحال أنَّا مأمورون بالاعتماد عليه، واتباع أحكامه، والتدبر فى آياته، وامتثال أوامره ونواهيه. وإقامة حدوده، وعرض الأخبار عليه، لا يعتمد عليه صرف مثل هذه الأخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن ظواهرها، لأن الاعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه، وامتثال أوامره ونواهيه، وإقامة حدوده وأحكامه، إنما هى للأخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر، للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزّل على محمد ﷺ من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه. ويُستفاد من هذه الأخبار: أن الزيادة والنقيصة والتغيير إن وقعت فى القرآن لم تكن مخلة بمقصود الباقى منه، بل نقول: كان المقصود الاهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بهم، وفى الباقى منه حُجَّتهم أهل البيت، وبعد التوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حُجَّة قطعية لنا ولو كان مغيراً تغييراً مخلاً، وإن لم نتوسل بهم أو لم يأمروا باتباعه، وكان التوسل به، واتباع أحكامه، واستنباط أوامره ونواهيه، وحدوده، وأحكامه، من قِبَل أنفسنا كان من قبيل التفسير بالرأى الذى منعوا منه، ولو لم يكن مغيراً» (جـ ١ ص ١٢).

ولما كان المؤلف ممن يقولون بوقوع التحريف والتبديل فى القرآن، فإنَّا نجده عندما يصطدم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. يحاول أن يتخلص من هذا النص الذى يجبهه فيقول: «ولا ينافى حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقة التحريف فى صورة تدوينه، فإن التحريف إن وقع فى الصورة المماثلة له كما قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].. وكما قال: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨]..

كذلك نجد السيد عبد الله العلوى الشهير بـ«شبر» عندما يصطدم بهذه الآية، نجده يتفادى هذا الاصطدام بالتأويل فيقول: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾: عند أهل الذكر واحداً بعد واحد إلى القائم، أو فى اللوح.. وقيل: الضمير للنبى ﷺ».

(التفسير والمفسرون: ٢ / ١٥٠، ١٦٤)

● **فرض الرِّجْلَين «المسح»**(١) :

« قال أبو عبد الله : إنه يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة . قلت : وكيف ذاك؟ قال : لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه » (جـ ١ ص ٣١) .

---

(١) بل فرض الرجلين الغسل لا المسح . . يقول في « الفقه على المذاهب الأربعة » في كتاب الطهارة : « رابعها : غسل الرجلين مع الكعبين مرة ، وهما العظمان البارزان في أسفل الساق فوق القدم ، ويجب عليه أن يتعهد عقبيه بالغسل بالماء ، لقوله ﷺ : « ويل للأعقاب من النار » ، كما يجب عليه أن يتعهد الشقوق التي تكون في باطن القدم ، ومَن قُطِع من رجله بعض ما يجب غسله ، وجب عليه أن يغسل ما يبقى ، فإن قُطع موضع الفرض كله سقط الغسل » .

ويقول القرطبي في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة : ٦] .

« الثالثة عشرة – قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ، قرأ نافع وابن عامر والكسائي : « وأرجلَكم » بالنصب ، وروى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ : « أرجلُكم » بالرفع وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة : « وأرجلِكم » بالخفض . . وبحسب هذه القراءات اختلفت الصحابة والتابعون .

فمَن قرأ بالنصب جعل العامل « اغسلوا » وبنى على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح ، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء ، وهو الثابت من فعل النبي ﷺ ، واللازم من قوله في غير ما حديث ، وقد رأى قوماً يتوضأون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته : « ويل للأعقاب من النار ، أسبغوا الوضوء » .

ثم إن الله حدَّهما فقال : ﴿ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ كما قال في اليدين : ﴿ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ ، فدل على وجوب غسلهما ، والله أعلم . . .

ومَن قرأ بالخفض جعل العامل الباء ، قال ابن العربي : اتفقت العلماء على وجوب غسلهما ، وما علمتُ مَن رد ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين ، والرافضة من غيرهم ، وتعلق الطبري بقراءة الخفض » .

ثم يقول القرطبي : « قلت : قد روى عن ابن عباس أنه قال : الوضوء غسلتان ومسحتان .

وروى أن الحجاج خطب بالأهواز فذكر الوضوء فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤسكم وأرجلكم ، فإنه ليس شيء من ابن آدم من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما ، فسمع ذلك أنس بن مالك فقال : صدق الله وكذب الحجاج ، قال الله تعالى : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ . قال : وكان إذا مسح رجليه بلَّهما ، وروى عن أنس أيضاً أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسُّنَّة بالغسل ، وكان عكرمة يمسح رجليه وقال : ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح ، وقال عامر الشعبي : نزل جبريل بالمسح ، ألا ترى أن التيمم يُمسح فيه ما كان غسلاً ، ويلغى ما كان مسحاً ، وقال قتادة : افترض الله غسلتين ومسحتين . وذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح ، وجعل القراءتين كالروايتين [أي كالروايتين في الخبر ، يُعمل بهما إذا لم يتناقضا] . . قال الحسن : ومن أحسن ما قيل فيه : إن المسح والغسل واجبان جميعاً ، فالمسح واجب على قراءة مَن قرأ بالخفض ، والغسل واجب على قراءة مَن قرأ بالنصب ، =

. . . .

= والقراءتان بمنزلة آيتين، قال ابن عطية: وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح فى الرجلين هو الغسل».

ويعقب القرطبى على الرأى الأخير بقوله: «قلت: وهو الصحيح، فإن لفظ المسح مشترك، يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل، قال الهروى: أخبرنا الأزهرى، أخبرنا أبو بكر محمد ابن عثمان بن سعيد الدارى عن أبى حاتم عن أبى زيد الأنصارى قال: المسح فى كلام العرب يكون غسلاً ويكون مسحاً، ومنه يقال للرجل إذا توضأ فغسل أعضاءه: قد تمسَّح، ويقال: مسح الله ما بك، إذا غسلك وطهّرك من الذنوب.. فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح يكون بمعنى الغسل، فترجع قول مَن قال: إن المراد بقراءة الخفض الغسل، بقراءة النصب التى لا احتمال فيها، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل، والتوعد على ترك غسلها فى أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجها الأئمة..

ثم إن المسح فى الرأس إنما دخل بين ما يُغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين، التقدير: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم، فلما كان الرأس مفعولاً قبل الرجلين قُدِّم عليهما فى التلاوة – والله أعلم – لا أنهما مشتركان مع الرأس لتقدمه عليهما فى صفة التطهير.

وقد روى عاصم بن كليب عن أبى عبد الرحمن السلمى قال: قرأ الحسن والحسين – رحمة الله عليهما – «أرجلكم» – بكسر اللام – فسمع علىٌّ ذلك وكان يقضى بين الناس فقال: «وأرجلَكم» – بالنصب – هذا من المقدم والمؤخر من الكلام.

وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علىّ رضى الله عنه قال: اغسلوا الأقدام إلى الكعبين. وكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قرآ: «وأرجلَكم» بالنصب...

وقد قيل: إن الخفض فى الرجلين إنما جاء مفيداً لمسحهما لكن إذا كان عليهما خفان، وتلقينا هذا القيد من رسول الله ﷺ، إذ لم يصح عنه أن مسح رجليه إلا وعليهما خفان، فـ[بيّن] ﷺ بفعله الحال الذى تُغسل فيه الرجل والحال التى تمسح فيه، وهذا حسن.

فإن قيل: إن المسح على الخفين منسوخ بسورة المائدة – وقد قاله ابن عباس، وردَّ المسح أبو هريرة وعائشة، وأنكره مالك – فى رواية عنه – فالجواب: أن مَن نفى شيئاً وأثبته غيره فلا حُجَّة للنافى، وقد أثبت المسح على الخفين عدد كثير من الصحابة وغيرهم، وقد قال الحسن: حدثنى سبعون رجلاً من أصحاب النبى ﷺ أنهم مسحوا على الخفين، وقد ثبت بالنقل الصحيح عن همام قال: بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه، وأن رسول الله ﷺ بال ثم توضأ ومسح على خفيه. قال إبراهيم النخعى: كان يعجبهم هذا الحديث، لأن إسلام جرير كان بعد نزول المائدة، وهذا نص يرد ما ذكروه وما احتجوا به من رواية الواقدى عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، أن جريراً أسلم فى ستة عشر من شهر رمضان، وأن «المائدة» نزلت فى ذى الحجة يوم عرفات، وهذا حديث لا يثبت لوهاه، وإنما نزل منها يوم عرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. على ما تقدَّم، قال أحمد بن حنبل: أنا أستحسن حديث جرير فى المسح على الخفين، لأن إسلامه كان بعد نزول المائدة، وأما ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنهما فلا يصح، وأما عائشة فلم يكن عندها بذلك علم، ولذلك ردت السائل إلى علىّ رضى الله عنه، وأحالته عليه فقالت: «سله، فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ....» الحديث.

=

= وأما مالك، فما روى عنه من الإنكار فهو منكر لا يصح، والصحيح ما قاله عند موته لابن نافع: إنى كنت آخذ فى خاصة نفسى بالطهور، ولا أرى مَن مسح مقصراً فيما يجب عليه. وعلى هذا حمل أحمد بن حنبل ما رواه ابن وهب عنه أنه قال: لا أمسح فى حَضَر ولا سَفَر. قال أحمد: كما روى عن ابن عمر أنه أمرهم أن يمسحوا خفافهم وخلع هو وتوضأ. وقال: حُبِّبَ إلىَّ الوضوء، ونحوه عن أبى أيوب، وقال أحمد رضى الله عنه: فمَن ترك ذلك على نحو ما تركه ابن عمر وأبو أيوب ومالك لم أنكره عليه، وصلينا خلفه ولم نعبه، إلا أن يترك ذلك ولا يراه كما صنع أهل البدع، فلا يُصلَّى خلفه، والله أعلم.

وقد قيل: إن قوله: «وأرجلكم» - بالجر - معطوف على اللفظ دون المعنى، وهذا أيضاً يدل على الغسل فإن المراعى المعنى لا اللفظ، وإنما الخفض للجوار كما تفعل العرب، وقد جاء هذا فى القرآن وغيره..» [وساق أمثلة]..

ثم قال: «قلت: والقاطع فى الباب من أن فرض الرجلين الغسل ما قدمناه، وما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام: «ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار» [فى رواية أحمد]، فخوَّفنا بذكر النار من مخالفة مراد الله عَزَّ وجَلَّ، ومعلوم أن النار لا يُعذَّب بها إلا مَن ترك الواجب، ومعلوم أن المسح ليس شأنه الاستيعاب، ولا خلاف بين القائلين بالمسح على الرجلين أن ذلك على ظهورهما لا على بطونهما، فتبين بهذا الحديث بطلان قول مَن قال بالمسح، إذ لا مدخل لمسح بطونهما عندهم، وإنما ذلك يُدْرَك بالغسل لا بالمسح.

ودليل آخر من جهة الإجماع، وذلك أنهم اتفقوا على أن مَن غسل قدميه فقد أدَّى الواجب عليه، واختلفوا فيمن مسح قدميه، فاليقين ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه. ونقل الجمهور كافة عن كافة عن نبيهم ﷺ أنه كان يغسل رجليه فى وضوئه مرة واثنتين وثلاثاً حتى ينقيهما، وحسبك بذلك حُجَّة فى الغسل مع ما بيَّناه، فقد وضح أن قراءة الخفض المعنى فيها الغسل لا المسح، كما ذكرنا، وأن العامل فى قوله: «وأرجلكم» - بالنصب - قوله «فاغسلوا» والعرب قد تعطف الشىء على الشىء بفعل ينفرد به أحدهما، تقول: أكلت الخبز واللبن: أى وشربت اللبن»..

ثم ساق أمثلة، ثم قال: «فيكون قوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ عطف بالغسل على المسح حملاً على المعنى، والمراد الغسل، والله أعلم».. (انظر تفسير القرطبى، طبع الشعب ص٢٠٨٨ - ٢٠٩٣ بتصرف - البلتاجى).

ويقول فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى: «يقول الطبرسى - كغيره من علماء مذهبه - بأن المسح هو فرض الرجلين فى الوضوء، فلهذا نراه يجادل بكل قوة، ويدافع عن مذهبه وينصره بأدلة إن دلت على شىء فهو قوة عقلية هذا الرجل وسعة ذهنه وكثرة اطلاعه، فعندما فسَّر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].. يقول ما نصه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: اختلف فى ذلك، فقال جمهور الفقهاء: إن فرضهما الغسل، وقالت الإمامية: فرضهما المسح دون غيره، وبه قال عكرمة. وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين. كابن عباس، وأنس وأبى العالية والشعبى. وقال الحسن البصرى بالتخيير بين المسح والغسل، وإليه ذهب =

= الطبرى والجبائى إلا أنهما قالا: يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم. قال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية: يجب الجمع بين المسح والغسل، وروى عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمسح على رجليه. وروى عنه أنه قال: إن فى كتاب الله المسح، ويأبى الناس إلا الغسل. وقال: الوضوء غسلتان ومسحتان. وقال قتادة: فرض الله غسلتين ومسحتين. وروى ابن علية، عن حميد، عن موسى بن أنس: أنه قال لأنس ونحن عنده: إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم، وإنه ليس شئ من بنى آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال تعالى: ﴿ وَامْسَحُوا بِرءوسِكُمْ وَأَرجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ .. قال: فكان أنس إذا مسح قدميه بلّهما. وقال الشعبى: نزل جبريل عليه السلام بالمسح. وقال: إن فى التيمم يُمسح ما كان غسلاً، ويُلغى ما كان مسحاً. وقال يونس: حدثنى مَن صحب عكرمة إلى واسط. قال: فما رأيته غسل رجليه، إنما كان يمسح عليهما - وأما ما روى عن سادة أهل البيت فى ذلك فأكثر من أن يُحصى، فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الأهوازى، عن فضالة، عن حماد بن عثمان، عن غالب بن هذيل قال: سألت أبا جعفر عن المسح على الرجلين فقال: هو الذى نزل به جبريل. وعنه عن أحمد بن محمد قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحهما إلى الكعبين، فقلت له: لو أن رجلاً قال بأصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين؟ قال: لا. إلا بكفه كلها. وأما وجه القراءتين فى: «أرجلكم» فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على أنه عطف على رؤوسكم، وقال: المراد بالمسح هو الغسل. وروى عن أبى زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل، فقد قالوا: تمسحت للصلاة، وقوى ذلك بأن التحديد إنما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح، فلما وقع التحديد فى المسح عُلِم أنه فى حكم الغسل لموافقة الغسل فى التحديد، وهذا قول أبى على الفارسى.

وقال بعضهم: هو خفض على الجوار، كما قالوا:

جحر ضب خرب. وخرب من صفات الجحر لا الضب، وكما قال امرؤ القيس:

كأن ثبيراً فى عرانين وبله كبير أناس بجاد مزمل

وقال الزجاج: إذا قرئ بالجر يكون عطفاً على الرؤوس فيقتضى كونه ممسوحاً. وذكر عن بعض السَلَف أنه قال: نزل جبريل بالمسح، والسُنَّة فيه الغسل. قال: والخفض على الجوار لا يجوز فى كتاب الله تعالى، ولكن المسح على هذا التحديد فى القرآن كالغسل.

وقال الأخفش: هو معطوف على الرؤوس فى اللفظ، مقطوع فى المعنى، كقول الشاعر:

* علفتها تبناً وماءً بارداً *

المعنى: وسقيتها ماءً بارداً.

وأما القراءة بالنصب، فقالوا فيه: إنه معطوف على «أيديكم»، لأنّا رأينا فقهاء الأمصار عملوا على الغسل دون المسح، ولما روى أن النبى ﷺ رأى قوماً توضأوا وأعقابهم تلوح. فقال: «ويل للعراقيب من النار». ذكره أبو على الفارسى. وأما مَن قال بوجوب مسح الرجلين.. حمل الجر والنصب فى «أرجلكم» على ظاهره بدون تعسف، فالجر للعطف على الرؤوس، والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور، وأمثال ذلك فى كلام العرب أكثر من أن تحصى. قالوا: ليس فلان بقائم ولا ذاهباً، وأنشد:

=

= معاوى إننا بَشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

وقال تأبط شراً:

هل أنت باعث ديناراً لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق

فعطف «عبد» على موضع «دينار»، فإنه منصوب فى المعنى، ومن ذلك قول الشاعر:

جئنى بمثل بنى بدر لقومهم أو مثل إخوة منظور بن سيار

فإنه لما كان معنى «جئنى»: هات وأحضر لى مثلهم، عطف بالنصب على المعنى، وأجابوا الأولين عما ذكروه فى وجه الجر والنصب بأجوبة نوردها على وجه الإيجاز: قالوا: ما ذكروه أولاً من أن المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه:

أحدها: أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة، وقد فرَّق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة، فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً؟

وثانيها: أن الأرجل إذا كان معطوفاً على الرؤوس، وكان الفرض فى الرؤوس المسح الذى ليس بغسل بلا خلاف، فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك، لأن حقيقة العطف تقتضى ذلك.

وثالثها: أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبى ﷺ أنه توضأ وغسل رجليه، لأن على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فسموا المسح غسلاً وفى هذا ما فيه.

فأما استشهاد أبى زيد بقولهم: تمسَّحتُ للصلاة، فالمعنى فيه: أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز أن يقولوا: تغسَّلتُ للصلاة، لأن ذلك تشبيه بالغُسْل، قالوا بدلاً من ذلك تمسَّحتُ، لأن المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً فتجوّزوا لذلك تعويلاً على أن المراد مفهوم، وهذا لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل.

وأما ما قالوا فى تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى فى الجواب عنه: أن ذلك لا يدل على الغسل، وذلك لأن المسح فعل قد أوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل، ولو صرَّح سبحانه وتعالى فقال: وامسحوا أرجلكم وانتهوا بالمسح إلى الكعبين لم يكن منكراً. فإن قالوا: إن تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضى الغسل قلنا: إنَّا لم نوجب الغسل فى اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما، وليس كذلك فى الرجلين، وإن قالوا: عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام. قلنا: هذا لا يصح، لأن الأيدى محدودة وهى معطوفة على الوجوه التى ليست فى الآية محدودة، فإذن جاز عطف الأرجل وهى محدودة، على الرؤوس التى ليست بمحدودة، وهذا أشبه مما ذكرتموه، لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه، وعطف عضو محدود مغسول عليه، ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود، فيجب أن يكون «أرجل» ممسوحة محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره. ليتقابل الجملتان فى عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود، وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدودة. وأما مَن قال: إنه عطف على الجوار، فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوِّز ذلك فى القرآن، ومَن أجاز ذلك فى الكلام فإنما يجوِّز مع فقد حرف العطف، وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك. وأيضاً فإن المجاورة إنما وردت فى كلامهم عند ارتفاع اللَّبس والأمن من الاشتباه، فإن أحداً لا يشتبه عليه أن «خرباً» لا يكون من صفة الضب، ولفظة «مزمل» لا يكون من صفة البجاد، وليس كذلك الأرجل فإنها يجوز أن تكون ممسوحة =

= كالرؤوس. وأيضاً فإن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً في كلام العرب، وقالوا في «جحر ضب خرب»: أنهم أرادوا خرب جحره، ، فحذفوا المضاف الذى هو «جحر» وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن في «خرب». وكذلك القول في: «كبير أناس في بجاد مزمل»، فتقديره: مزمل كبيره، فبطل الإعراب بالمجاورة جملة، وهذا واضح لمن تدبره.

وأما مَن جعله مثل قول الشاعر: «علفتها تبناً وماءً بارداً»، كأنه قدَّر في الآية: واغسلوا أرجلكم، فقوله أبعد من الجميع، لأن ذلك لو جاز في كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام. فإنما يجوز إذا استحال حمله على ظاهر، فأما إذا كان الكلام مستقيماً ومعناه ظاهراً فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد؟

وأما ما قاله أبو على في القراءة بالنصب على أنه معطوف على الأيدى، فقد أجاب عنه المرتضى بأن قال: جعل التأثير في الكلام للقريب أولى من جعله للبعيد، فنصب الأرجل عطفاً على الموضع أولى من عطفها على الأيدى والوجوه، على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد انقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية، ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى أن تعطف على ما فيها، فإن ذلك يجرى مجرى قولهم: ضربتُ زيداً وعمراً، وأكرمتُ خالداً وبكراً، فإن رد بكر إلى خالد في الإكرام هو الوجه في الكلام لا يسوغ الذى سواه، ولا يجوز رده إلى الضرب الذى قد انقطع حكمه، ولو جاز ذلك أيضاً لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا تتنافيان.

فأما ما روى في الحديث أنه قال: «ويل للعراقيب من النار»، وغير ذلك من الأخبار التى رووها عن النبى ﷺ أنه توضأ وغسل رجليه، فالكلام في ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذى لا يوجب علماً وإنما يقتضى الظن، على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم، ونقلت عن شيوخهم، مثل ما روى عن أوس بن أبى أوس أنه قال: «رأيت النبى ﷺ يتوضأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى»، وعن حذيفة قال: «أتى رسول الله سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضأ ومسح على قدميه»، وذكره أبو عبيدة في غريب الحديث، إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وقوله: «ويل للعراقيب من النار»، فقد روى فيه أن قوماً من أجلاف الأعراب كانوا يبولون وهم قيام، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها، ويدخلون المسجد للصلاة، وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد.

وأما الكعبان فقد اختلف في معناهما، فعند الإمامية هما العظمان النابتان في ظهر القدم عند مقعد الشراك، ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة، وإن كان يوجب غسل الرجلين إلى هذا الموضع. وقال جمهور المفسرين والفقهاء: الكعبان هما عظما الساقين، قالوا: ولو كان كما قالوه لقال سبحانه: «وأرجلكم إلى الكعاب»، ولم يقل «إلى الكعبين»، لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان» (جـ ١ ص ٣١٤ – ٣١٦).

ويرى الكاشى أن فرض الرجلين في الوضوء مسحها لا غسلها، كما يرى عدم جواز المسح على الخفين، ولهذا نراه عند تفسيره لهذه الآية، يقول بوجوب وصول الماء إلى بشرة سائر الأعضاء كما هو مقتضى الأمر بالغسل والمسح، وعليه فلا يجزىء المسح على القلنسوة ولا على الخفين، ثم يروى ما جاء في التهذيب عن الباقر من أن عمر جمع أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علىّ =

● **المَذْىُ والوَدْىُ لا ينقض الوضوء** (١) :

« عن أبى عبد الله قال : إن سال من ذكرك شىء من مَذْى أو وَدْى وأنت فى الصلاة فلا تغسله ولا تقطع الصلاة ولا تنقض له الوضوء وإن بلغ عقبيك، فإنما ذلك بمنزلة النخامة، وكل شىء يخرج منك بعد الوضوء فإنه من الحبائل أو من البواسير وليس بشىء فلا تغسله من ثوبك إلا أن تقذره » (جـ ٣ ص ٣٩).

= فقال : ما تقولون فى المسح على الخفين؟ فقام المغيرة بن شعبة فقال : رأيت رسول الله ﷺ يمسح على الخفين، فقال علىّ : قبل المائدة أو بعد المائدة؟ قال : لا أدرى، فقال علىّ : سبق الكتاب الخفين، إنما نزلت المائدة قبل أن يُقبض بشهرين أو ثلاثة . وهنا يعقب ملا محسن على هذه الرواية فيقول : « أقول : المغيرة ابن شعبة هذا هو أحد رؤساء المنافقين عن أصحاب العقبة والسقيفة لعنهم الله . . ثم يقول : وفى الفقيه روت عائشة عن النبى أنه قال : « أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره » . وروى عنها أنها قالت : « لأن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحب إلىّ من أن أمسح على خفى » . ولم يعرف للنبى خف إلا خف أهداه النجاشى وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقاً، فمسح النبى ﷺ على رجليه وعليه خفاه، فقال الناس : إنه مسح على خفيه، على أن الحديث فى ذلك غير صحيح الإسناد » - انتهى كلام الفقيه (جـ ١ ص ١٥٤) .

وبعد هذا انتقل المؤلف إلى الكلام على فرض الرجلين فى الوضوء، فقال بعد ما بين أولاً أن قراءة نصب الأرجل : مردودة عندهم « . . ثم دلالة الآية على مسح الرجلين دون غسلهما أظهر من الشمس فى رابعة النهار، وخصوصاً على قراءة الجر، ولذلك اعترف بها جمع كثير من القائلين بالغسل، وفى التهذيب عن الباقر أنه سئل عن قول الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ . . على الخفض هى أم على النصب؟ قال : « بل هى على الخفض » ثم قال : « أقول : وعلى تقدير القراءة على النصب أيضاً تدل على المسح، لأنها تكون حينئذ معطوفة على محل الرؤوس، كما تقول : مررت بزيد وعمراً، إذ عطفهما على الوجوه خارج عن قانون الفصاحة، بل عن أسلوب العربية . . ثم روى من الأخبار عن أهل البيت ما يشهد لمذهبه » (ج ١ ص ١١٥) .

ويقول سلطان محمد الخراسانى فى كتابه « بيان السعادة » عند تفسيره لهذه الآية : « . . . وأرجلكم » بالجر عطف على « رءوسكم » وبالنصب على محل « رءوسكم »، وعطفه على وجوهكم مع جواز العطف على « رءوسكم » فى غاية البُعد، غاية الأمر أنها فى هذا العطف محتملة مجملة كسائر أجزاء الآية محتاجة إلى البيان، ولم يكن رأينا مبيناً للقرآن لاستلزامه الترجيح بلا مرجح، بل المبين : من نص الله ورسوله عليه، لا مَن نصبوه لبيانه، فإن نصب شخص إنسانى لبيان القرآن وخلافة الرحمن ليس بأقل من نصب الأصنام لعبادة الآنام، أو العجل المصنوع للعوام، وتفصيل الوضوء وكيفيته قد وصل إلينا مفصلاً مبيناً عن أئمتنا المعصومين من الله ورسوله، وقد فصّله الفقهاء رضوان الله عليهم، فلا حاجة إلى التفصيل ههنا » .

(التفسير والمفسرون : ٢ / ٨٦، ١٣٣، ١٤٤)

(١) المَذْى : ماء رقيق يخرج من القُبُل عند الملاعبة ونحوها، والوَدْى : ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول غالباً . والفرق بينهما أن المَذْى هو الماء الرقيق الذى تفرزه الغدد المبالية من غير بول، أما الوَدْى فهو ماء رقيق أبيض يخرج فى إثر البول من إفراز البروستاتة . . وفى « الفقه على المذاهب الأربعة » يقول فى مبحث نواقض الوضوء : « ينقض الوضوء أشياء، منها :الخارج من أحد السبيلين=

● النكاح :

«عن زرارة. عن أبى عبد الله فى تزويج أم كلثوم فقال: إن ذلك فرْج غُصبناه».
(جـ٥ ص ٣٤٦)

● «عن أبى عبد الله قال: لما خطب إليه قال أمير المؤمنين: إنها صبية، قال: فلقى العباس فقال: مالى، أبى بأس؟ قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردنى، أما والله لأعوِّرن زمزم[١] ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها ولأقيمن عليه شاهدين بأنه سرق، ولأقطعن يمينه، فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله إليه» (جـ٥ ص ٣٤٦).

● «عن أبى عبد الله أنه قال: تزوج اليهودية والنصرانية أفضل، أو قال: خير من تزوج الناصب والناصبية»[٢] (جـ٥ ص ٣٥٠).

● «عن الفضيل بن يسار قال: «سألت أبا عبد الله عن نكاح الناصب فقال: لا والله ما يحل، قال الفضيل: ثم سألته مرة أخرى فقلت: جُعلتُ فداك، ما يقولَ محمد فى نكاحهم؟ قال: والمرأة عارفة؟ قلت: عارفة، قال: إن العارفة لا توضع إلا عند عارف».
(جـ٥ ص ٣٥٠)

● «عن أبى عبد الله: لا تكون المتعة[٣] إلا بأمرين: أجل مسمى وأجر مسمى».
(جـ٥ ص ٤٥٥)

= وهو إما أن يكون معتاداً كالبول والمَذْى والوَدْى وكذا الهادى وهو ماء أبيض يخرج من قُبُل المرأة قرب ولادتها، والمنى الخارج بغير لذة، والغائط والريح، وإما أن يكون غير معتاد كالدود والحصا والدم والقيح والصديد وهى تنقض الوضوء سواء أكانت خارجة من القُبُل أو الدُبُر» (البلتاجى).

(١) تعوير البئر: فطيمه.

(٢) الناصب على حسب بيان كتب الشيعة هو من يُقدِّم الأول والثانى - يعنى: أبا بكر وعمر رضى الله عنهما - على علىّ كرَّم الله وجهه، أو يعتقد إمامتهما (البلتاجى).

(٣) نكاح المتعة: هو نكاح مؤقت عُمل به لظروف معينة ثم نهى عنه الرسول ﷺ، ولكن الشيعة يقولون بجوازه، ولا يعترفون بنسخه كغيرهم من المسلمين، فلهذا حاول الطبرسى أن يأخذ هذا المذهب بدليله من كتاب الله تعالى فعندما فسّر قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ..... الآية [النساء: ٢٤]، يقول ما نصه: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾ ..... الآية، قيل: المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة.. عن الحسن ومجاهد وابن زيد. فمعناه على هذا: فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن. وقيل: المراد نكاح المتعة، وهو النكاح المنعقد بمهر معيَّن إلى أجل معلوم.. عن أبى عباس والسدى وابن سعيد وجماعة من التابعين، وهو مذهب أصحابنا الإمامية، وهو الواضح، لأن أصل الاستمتاع والتمتع وإن كان فى الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار الشرع مخصوصاً بهذا العقد، لا سيما إذا أضيف إلى النساء، فعلى هذا يكون=

= معناه: فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن، ويدل على ذلك أن الله علّق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ، لأن المهر لا يجب إلا به. هذا، وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أبَىّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود: أنهم قرأوا: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن»... وفى ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة، وقد أورد الثعلبى فى تفسيره عن حبيب بن أبى ثابت قال: أعطانى ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبَىّ، فرأيت فى المصحف: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى».

وبإسناده عن أبى نضرة قال: سألت ابن عباس عن المتعة فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ فقلت: بلى، فقال: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»، قلت: لا أقرؤها هكذا. قال ابن عباس: والله هكذا أنزلها الله تعالى (ثلاث مرات)، وبإسناده عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»، وبإسناده عن شعبة بن الحكم بن عيينة قال: سألته عن هذه الآية: ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ أمنسوخة هى؟ قال: قال الحكم: قال علىّ بن أبى طالب: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقى [بالفاء: أى إلا قليل]. وبإسناده عن عمران بن الحصين قال: نزلت آية المتعة فى كتاب الله تعالى ولم تنزل آية بعدها تنسخها، فأمرنا رسول الله ﷺ، وتمتعنا مع رسول الله ﷺ، ومات ولم ينهنا عنها، فقال بعد رجل برأيه ما شاء. ومما أورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح قال: حدثنا الحسن الحلوانى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن جريح، قال: قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه فى منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثم ذكروا المتعة، فقال: استمتعنا على عهد رسول الله وأبى بكر وعمر. ومما يدل أيضاً على أن لفظ الاستمتاع فى الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع، أنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شىء من المهر مَن لا ينتفع من المرأة بشىء، وقد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزم نصف المهر، ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد، لأنه قال: ﴿فآتوهن أجورهن﴾: أى مهورهن، ولا خلاف فى أن ذلك غير واجب، وإنما يجب الأجر بكماله بنفس العقد فى نكاح المتعة.

ومما يمكن التعلق به فى هذه المسألة، الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ حلالاً، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله وأضاف النهى عنها إلى نفسه بضرب من الرأى، فلو كان النبى ﷺ نسخها أو نهى عنها أو أباحها فى وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه، وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء فى النهى، ولا خلاف فى أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرَّمة، فوجب أن يكون حكم متعة النساء حكمها. وقوله: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ [النساء: ٢٤].. من قال إن المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع، قال: المراد به ولا حرج ولا إثم عليه: عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر ونقصانه، أو حط، أو إبراء، أو تأخير. وقال السدى: معناه: لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل المضروب فى عقد المتعة، يزيدها الرجل فى الأجر وتزيده فى المدة، وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم» (جـ ١ ص ٢٥٥). =

= ونرى ملا محسن الكاشي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٤]. . يتأثر بما يراه من حل نكاح المتعة فيحمل الآية على هذا ويجعلها دليلاً على صحة مذهبه وذلك حيث يقول ما نصه: «فما استمتعتم به منهن فآتوهن مهورهن»، سمى أجراً لأنه في مقابلة الاستمتاع «فريضة» مصدر مؤكد، في الكافي عن الصادق: إنما أنزلت: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة»، والعياشي عن الباقر أنه كان يقرأها كذلك، ورواه العامة أيضاً عن جماعة من الصحابة: ﴿ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ . . من زيادة في المهر أو الأجل، أو نقصان فيهما، أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع. في الكافي مقطوعاً والعياشي عن الباقر: «لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما، تقول: استحللتك بأجل آخر برضى منها، ولا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها، وعدتها حيضتان . . ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بالمصالح، فيما شرع من الأحكام. في الكافي عن الصادق: المتعة نزل بها القرآن، وجرت بها السُنَّة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الباقر: كان عليّ يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنى إلا شقي [بالفاء – يعني إلا قليل]، أراد أنه لولا ما سبقني به عمر من نهيه عن المتعة وتمكن نهيه من قلوب الناس، لندبت الناس عليها، ورغّبتهم فيها، فاستغنوا بها عن الزنا، فما زنى منهم إلا قليل، وكان نهيه عنها تارة بقوله: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا محرمهما ومعاقب عليهما: متعة الحج، ومتعة النساء». وأخرى بقوله: «ثلاث كن على عهد رسول الله ﷺ أنا محرمهن ومعاقب عليهن: متعة الحج، ومتعة النساء، وحي على خير العمل في الأذان».

وفيه: جاء عبد الله بن عمر الليثي إلى أبي جعفر فقال له: ما تقول في متعة النساء، فقال: أحلّها الله في كتابه وعلى لسان نبيه، فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر؛ مثلك يقول هذا وقد حرّمها عمر ونهى عنها؟ فقال: وإن كان فعل، قال: فإني أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرّمه عمر، فقال له: فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله ﷺ، فهلم ألاعنك أن القول ما قال رسول الله ﷺ وأن الباطل ما قال صاحبك، وقال: فأقبل عبد الله بن عمر فقال: أيسرك أن نساءك، وبناتك، وأخواتك، وبنات عمك، يفعلن ذلك، فأعرض عنه أبو جعفر حين ذكر نساءه وبنات عمه. وفيه: سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق فقال: يا أبا جعفر؛ ما تقول في المتعة؟ أتزعم أنها حلال؟ قال: نعم. قال: فما يمنعك أن تأمر نساءك ليستمتعن ويكسبن عليك؟ فقال أبو جعفر: ليست كل الصناعات يُرغب فيها وإن كانت حلالاً، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنه حلال؟ قال: نعم، قال: فما يمنعك أن تقْعد نساءك في الحوانيت نبّاذات فيكسبن عليك؟ فقال أبو حنيفة: واحدة بواحدة، وسهمك أنفذ، ثم قال: يا أبا جعفر، إن الآية التي في «سأل سائل» تنطق بتحريم المتعة [يريد قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج: ٢٩ – ٣٠] والرواية عن النبي ﷺ قد جاءت بنسخها، فقال أبو جعفر: يا أبا حنيفة . . إن سورة «سأل سائل» مكية وآية المتعة مدنية، وروايتك شاذة ردية، فقال أبو حنيفة: وآية الميراث أيضاً تنطق بنسخ المتعة، فقال أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث، فقال أبو حنيفة: من أين قلت ذلك؟ فقال أبو جعفر: لو أن رجلاً من المسلمين تزوج بامرأة من =

= أهل الكتاب ثم توفى عنها. ما تقول فيها؟ قال: لا ترث منه، فقال: قد ثبت النكاح بغير ميراث.. ثم افترقا.

وعن الصادق أنه سأل أبو حنيفة عن المتعة فقال: عن أى المتعتين تسأل؟ فقال: سألتك عن متعة الحج فأنبئني عن متعة النساء أحق هي؟ فقال: سبحان الله.. أما تقرأ فى كتاب الله: ﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ﴾؟.. فقال أبو حنيفة: والله لكأنها آية لم أقرأها قط.

وفى الفقه عنه: ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا ويستحل متعتنا. أقول: الكرّة: الرجعة، وهى إشارة إلى ما ثبت عندهم من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعة من شيعتهم فى زمن القائم لينصروه، وقد مضت الإشارة إليه فيما سلف، ويأتى أخبار فيها إن شاء الله» أ هـ (جـ ١ ص ١٢٦ - ١٢٧). ونجد السيد عبد الله العلوى الشهير بـ «شبر» يتأثر برأيه الذى يقول بجواز نكاح المتعة وعدم نسخه.. فنراه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿.. وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن ﴾ ..... الآية [النساء: ٢٤]، يقول: «.. والمراد به نكاح المتعة بإجماع أهل البيت، ويدل عليه قراءة أبىّ وابن عباس وابن مسعود: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى».. ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾: مهورهن.. ﴿ فريضة ﴾ من الله ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾: من استئناف عقد آخر بعد انقضاء المدة بزيادة فى الأجر والمدة» (ص ١٢٢).

وعندما فسّر سلطان محمد الخراسانى هذه الآية نجده يقول: «وفى لفظ الاستمتاع وذكر الأجور، وذكر الأجل - على قراءة: «إلى أجل» - دلالة واضحة على تحليل المتعة.. ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به ﴾ من إعطاء الزيادة على الفريضة أو إسقاطهن شيئاً من الفريضة ﴿ من بعد الفريضة ﴾.. وفيه إشعار بكون الأجر من أركان عقد التمتع كما عليه مَن قال به. وعن الباقر: لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما، تقول: استحللتك بأجر آخر برضا منها ولا تحل لغيرك حتى تنقضى عدّتها.. وعدّتها حيضتان، ﴿ إن الله كان عليماً حكيماً ﴾.. فحلّل المتعة عن علم، ولغايات منوطة بالمصالح والحكم».

(التفسير والمفسرون: ٢ / ٨٤، ١٣٠، ١٤٤، ١٦٨)

ونقول: كان نكاح المتعة جائزاً فى أول الإسلام لمن اضطر إليه - كأكل الميتة - ثم حُرِّم يوم خيبر، ثم رُخِّص فيه عام الفتح أو عام حجة الوداع، ثم حُرِّم إلى يوم القيامة لأن الغرض منه هو مجرد التمتع دون التوالد وغيره من أغراض النكاح.. فقد روى البخارى عن يحيى بن قزعة، عن مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابنى محمد بن علىّ عن أبيهما عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل الحُمُر الإنسية»..

وفى تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما ﴾ [النساء: ٢٤] يقول القرطبى - بعد أن تحدّث عن أدلة الشيعة فى إباحة المتعة وناقش هذه الأدلة:

«اختلف العلماء كم مرة أبيحت المتعة ونُسخت.. فى صحيح مسلم عن عبد الله قال: =

● «عن أبى عبد الله فى حديث الدعاء عند إتيان الرجل أهله: « . . إنَّ الشيطان ليجىء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح . . قلت – أى أبو بصير راوى الحديث عن أبى عبد الله – بأى شىء يعرف

= «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك، ثم رَخَّصَ لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل».

قال أبا حاتم البستى فى صحيحه: قولهم للنبى ﷺ: ألا نستخصى؟ دليل على أن المتعة كانت محظورة قبل أن أبيح لهم الاستمتاع، ولو لم تكن محظورة لم يكن لسؤالهم عن هذا معنى، ثم رُخِّص لهم فى الغزو أن ينكحوا المرأة بالثوب إلى أجل، ثم نهى عنها عام خيبر، ثم أذن فيها عام الفتح، ثم حرَّمها بعد ثلاث، فهى مُحرَّمة إلى يوم القيامة.

وقال ابن العربى: وأما متعة النساء فهى من غرائب الشريعة، لأنها أبيحت فى صدر الإسلام ثم حُرِّمت يوم خيبر، ثم أبيحت فى غزوة أوطاس، ثم حُرِّمت بعد ذلك، واستقر الأمر على التحريم، وليس لها أخت فى الشريعة إلا مسألة القبْلة، فإن النسخ طرأ عليها مرتين ثم استقر بعد ذلك.

وقال غيره ممن جمع طرق الأحاديث فيها: أنها تقتضى التحليل والتحريم سبع مرات . . فروى ابن أبى عمرة أنها كانت فى صدر الإسلام. وروى سلمة بن الأكوع أنها كانت عام أوطاس. ومن رواية علىّ: تحريمها يوم خيبر، ومن رواية الربيع بن سبرة: إباحتها يوم الفتح».

يقول القرطبى: «وهذه الطرق كلها فى صحيح مسلم، وفى غيره عن علىّ نهيه عنها فى غزوة تبوك، ورواه إسحاق بن راشد عن الزهرى عن عبد الله بن محمد بن علىّ عن أبيه عن علىّ، ولم يتابع إسحاق ابن راشد على هذه الرواية عن ابن شهاب، قاله أبو عمر رحمه الله.

وفى مصنف أبى داود من حديث الربيع بن سبرة النهى عنها فى حجة الوداع، وذهب أبو داود أن هذا أصح ما روى فى ذلك.

وقال عمرو عن الحسن: ما حَلَّت المتعة قط إلا ثلاثاً فى عمرة القضاء، ما حلَّت قبلها ولا بعدها . . . وروى هذا عن سبرة أيضاً، فهذه سبع مواطن أحلَّت فيها المتعة وحُرِّمت.

قال أبو جعفر الطحاوى: كل هؤلاء الذين رووا عن النبى ﷺ إطلاقها أخبروا أنها كانت فى سفر، وأن النهى لحقها فى ذلك السفر بعد ذلك، فمنع منها، وليس أحد يخبر أنها كانت فى حَضَر . . . وكذلك روى عن ابن مسعود.

أما حديث سبرة الذى فيه إباحة النبى ﷺ لها فى حجة الوداع، فخارج عن معانيها كلها . . وقد اعتبرنا هذا الحرف فلم نجده إلا فى رواية عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز خاصة، وقد رواه إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فذكر أن ذلك كان فى فتح مكة، وأنهم شكوا إليه العُزْبة [بضم العين المهملة والزاى المعجمة: أى التجرد عن النساء، ويحتمل أن تكون بعين معجمة وراء مهملة: أى الفراق عن الأوطان لما فيه من فراق الأهل] فرخَّص لهم فيها، ومحال أن يشكوا إليه العُزْبة فى حجة الوداع، لأنهم كانوا حجوا بالنساء، وكان تزويج النساء بمكة يمكنهم، ولم يكونوا حينئذ كما كانوا فى الغزوات المتقدمة.

ويحتمل أنه لما كانت عادة النبى ﷺ تكرير مثل هذا فى مغازيه وفى المواضع الجامعة، ذكر تحريمها فى حجة الوداع لاجتماع الناس حتى يسمعه مَن لم يكن سمعه، فأكد ذلك حتى لا تبقى شبهة لأحد يدّعى تحليلها، ولأن أهل مكة كانوا يستعملونها كثيراً» (البلتاجى).

ذلك؟ قال: بحبنا وبغضنا، فمَن أحبنا كان نطفة العبد، ومَن أبغضنا كان نطفة الشيطان» (جـ ٥ ص ٥٠٢).

● «عن أبى عبد الله قال: إن الله عَزَّ وجَلَّ نزع الشهوة من نساء بنى هاشم وجعلها فى رجالهم، وكذلك فعل بشيعتهم، وإن الله عَزَّ وجَلَّ نزع الشهوة من رجال بنى أمية وجعلها فى نسائهم وكذلك فعل بشيعتهم» (جـ ٥ ص ٥٦٤).

● **فضل الشيعة :**

«وفى حديث لأبى عبد الله: «.. فوالله لقد مات الرسول ﷺ وهو على أمته ساخطاً إلا الشيعة. ألا وإن لكل شيء عزاً وعز الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء سيداً وسيد المجالس الشيعة، ألا وإن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة، والله لولا ما فى الأرض منكم ما رأيت بعين عشياً أبداً، والله لولا ما فى الأرض منكم ما أنعم الله على أهل خلافكم ولا أصابوا الطيبات، ما لهم في الدنيا ولا لهم في الآخرة من نصيب.. كل ناصب وإن تعبَّدَ واجتهَد منسوب إلى هذه الآية: ﴿ **عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً** ﴾ [الغاشية: ٣ – ٤]، فكل ناصب مجتهد فعمله هباء» (جـ ٨ ص ٢١٣).

● **تفسير بعض الآيات :**

«عن أبى جعفر فى قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** ﴾، قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴾ [ص: ٨٦ – ٨٨]، قال: عند خروج القائم عليه السلام.

وفى قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ** ﴾ [هود: ١١٠]. قال: اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة فى الكتاب، وستختلفون فى الكتاب الذى مع القائم الذى يأتيهم به حتى ينكره ناس كثير فيقدمهم فيضرب أعناقهم.

وأما قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [الشورى: ٢١]، قال: لولا ما تقدم فيهم من الله عزَّ وجَلَّ ما أبقى القائم عليه السلام منهم أحداً..

وفى قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [المعارج: ٢٦]، قال: بخروج القائم عليه السلام.

وقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام: ٢٣]، قال يعنون بولاية علىّ عليه السلام.

وفى قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** ﴾ [الإسراء: ٨١]، قال: إذا قام القائم عليه السلام، ذهبت دولة الباطل» (جـ ٨ ص ٢٨٧).

٦ – ترجمه مؤلف
«مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار» (١)

«الفاضل العريف، والباذل جهده في سبيل التكليف، أبو الحسن العاملي، ثم الأصفهاني، ابن المولى محمد طاهر بن عبد الحميد بن موسى بن علي بن معتوق بن عبد الحميد العاملي، وقد كان من أعاظم فقهائنا المتأخرين، وأفاخم نبلائنا المتبحرين، سكن ديار العجم طوالاً من السنين، وهاجر إلى النجف... وكان ميلاده ببلدة أصفهان(٢) لما أن والده المولى محمد طاهر كان قاطناً بها برهة من الزمان، وناكحاً فيها والدته المرضية العلوية التي هي أخت سيدنا الأمير محمد صالح بن عبد الواسع الحسيني.. كما أن تعبيره عن نسب نفسه في أواخر ما وجدناه من أرقامه المباركة: بأبي الحسين العاملي الشريف دليل على ذلك أيضاً وعلى أن البلدة المزبورة هي ميلاده المنيف».

ثم ذكر مشايخ إجازته وهم:

١ – العلامة الثقة الثبت: ملا محمد بن باقر بن محمد تقي المجلس، وتاريخ إجازته له: ثالث ربيع الأول سنة ١١٠٧ هـ.

٢ – الشيخ محمد حسين بن الحسن بن إبراهيم بن عليّ بن عبد العالي الميسي، وتاريخ إجازته له: شهر صفر سنة ١١٠٠ هـ.

٣ – الأمير محمد صالح بن عبد الواسع بن محمد صالح الحسيني (المتوفى سنة ١١١٦ هـ)، وتاريخ إجازته له: سنة ١١٠٧ هـ.

٤ – الشيخ عبد الواحد بن أحمد البوراني(٣)، وتاريخ إجازته له: ١٥ شوال سنة ١١٠٣ هـ.

---

(١) ملخصة من المقدمة التي كتبها محمود بن جعفر الموسوي الزرندي لمرآة الأنوار والتي ذيَّلها بتوقيعه وبأنه كتبها في طهران بتاريخ (٢٠ محرم سنة ١٣٧٥ هـ) – ومرآة الأنوار طبع كالمقدمة لتفسير البرهان للبحراني في طهران في سنة ١٣٧٤ هـ.

وكان المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي قد عرض هذا الكتاب وناقشه في الجزء الثاني من التفسير والمفسرون (ص ٣٥ – ٥٨)، على أنه للمولى عبد اللطيف الكازراني مولداً، النجفي سكناً، وأشار – رحمه الله – (في هامش ص ٣٥) إلى أنه لم يقف على ترجمة للمؤلف أكثر من ذلك.. ثم تأتي هذه النقول الجديدة، لتقرر أن هذا الكتاب لأبي الحسن العاملي الأصفهاني (المتوفى عام ١١٣٨ هـ)، وأن ناشراً إيرانياً كان قد حصل على نسخة خطية منه، فقام بنشرها في طهران عام ١٢٩٥ هـ، ناسباً إياه إلى المولى عبد اللطيف الكازراني (البلتاجي).

(٢) قال معلقه: لم نقف على شهر ولا سنة ولادته مع كثرة التتبع منا في كتب الترجمات، تراجع ترجمته في روضات الجنات، والزريعة: جـ ص ٤ – ١٤٩

(٣) قال معلقه: وفي الروضات: الشيخ عبد الحميد بن محمد التواني، وهو غلط.

٥ - الشيخ قاسم بن محمد الكاظمى نزيل النجف (المتوفى سنة ١١٠٠ هـ) .
٦ - الحاج محمود بن علىّ الميبدى (الميمندى) المشهدى، وتاريخ إجازته له : المحرّم سنة ١١٠٧ هـ .
٧ - محمد بن المرتضى المدعو بملا محسن الكاشى صاحب الوافى والصافى والشافى .
٨ - السيد البارع المحدِّث نعمت الله بن عبد الله الموسوى التسترى الجزائرى .
٩ - المولى المحقق صاحب التصانيف آقا حسين الخوانسارى .

. . قال : « إلا أن غالب رواياته الموجودة فى الإجازات المنتمية إلينا مقصورة على شيخه الأفعم الأقدم محمد باقر بن محمد تقى المجلس رضوان الله عليه .

ثم ذكر تلاميذه وهم :

١ - الشيخ أحمد بن إسماعيل بن الشيخ عبد النبى بن سعيد الجزائرى النجفى (المتوفى بعد سنة ١١٤٩ هـ) بقليل، وهو صاحب آيات الأحكام .
٢ - السيد السعيد نصر الله بن الحسين بن على الحسينى الفائزى الحايرى الشهيد فى حدود سنة ١١٦٨ هـ .
٣ - الشيخ محمد مهدى بن بهاء الدين محمد الملقب بالصالح الأفتونى العاملى الغروى ابن عم المولى أبى الحسن صاحب الترجمة .

. . . ثم نقل صاحب المقدمة « محمود بن جعفر الموسوى » عن العلامة النورى فى الفيض القدسى نبذة عن أبى الحسن العاملى (المترجم له) ما ملخصه :

« العالم العامل الفاضل الكامل المدقق العلامة أفقه المحدِّثين، وأكمل الربانيين الشريف العدل المولى أبو الحسن بن محمد طاهر بن عبد الحميد بن موسى بن علىّ بن معتوق بن عبد الحميد الفتونى النباطى العاملى الأصفهانى الغروى . . وهذا الشيخ جليل القدر عظيم الشان، أفضل أهل عصره فيما أعلم، وهو مؤلف « مرآة الأنوار » إلى أواسط سورة البقرة يقرب مقدماته من عشرين ألف بيت لا يوجد مثله، وكتاب « ضياء العالمين فى الإمامة » يزيد عن ستين ألف بيت أجمع وأجل ما كُتب فى هذا الفن، وغيرهما مما جمع بعضه فى اللؤلؤة . . توفى فى أواخر عشر الأربعين بعد المائة والألف (١١٣٨ هـ)، وكان له ولد عالم فاضل محقق متتبع فى غاية الذكاء وحسن الإدراك، متوسع فى العقليات والشرعيات اسمه المولى أبو طالب، كما صرّح به السيد عبد الله سبط الجزائرى فى إجازته » أ هـ .

. . . ثم ذكر مؤلفاته فقال ما ملخصه :

« وله من المصنفات المشهورة التى عثرنا عليها : كتاب لطيف طريف جعله فى

خصوص الأصوليين.. وسماه: الفوائد الغروية لكونه من بركات زمن مجاورته بأرض الغريين.. وعندنا الجزء المتأخر الذى هو فى أصول الفقه منه بخط مؤلفه المبرور.

وله أيضاً رسالة غرَّاء مبسوطة فى مسألة الرضاع. وكتاب كبير فى التفسير على النحو الذى ورد فى متون الأخبار سماه «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار»، لم يخرج منه سوى مجلدين: المجلد الأول يحوى مقدمات التفسير وعموم العلوم المتعلقة بالقرآن المجيد، وجاء فى المجلد الثانى تفسير سورة الفاتحة وما يقارب النصف من تفسير سورة البقرة».

ثم قال: قال شيخنا البحر المتلاطم الزخار الحاج ميرزا حسن النورى الطبرسى فى خاتمة كتابه «المستدرك» فى الفائدة الثالثة من (ص ٣٨٥) فى الحاشية: ومن الحوادث الطريفة والسرقات اللطيفة أن مجلد مقدمات تفسير هذا المولى الجليل المسمى بـ«مرآة الأنوار» موجودة الآن بخط مؤلفه فى خزانة كتب حفيده شيخ الفقهاء صاحب «جواهر الكلام» طاب ثراه واستنسخناه بتعب ومشقة، وكانت النسخة معى فى بعض أسفارى إلى طهران فأخذها منى بعض أركان الدولة وكان عازماً على طبع «تفسير البرهان» للعالم السيد هاشم البحراني، وقال لى: إن تفسيره خال عن البيان فيناسب أن نلحق به هذه النسخة ليتم المقصود بها فاستنسخها ورجعتُ إلى العراق، وتوفى هذا البانى قبل إتمام الطبع فاشترى ما طُبِع من التفسير ونسخة «المرآة» من ورثته بعض أرباب الطبع فأكمل الناقص وطبع «المرآة» فى مجلد، ولما عثرت عليه فى المشهد الغروى رأيت مكتوباً على ظهر الورقة الأولى منه: كتاب «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار»، وهو مصباح لأنظار الأبرار، ومقدمة للتفسير الذى صنف الشيخ الأجل والنحرير الأنبل العالم العلامة والفاضل الفهامة الشيخ عبد اللطيف كازرانى مولداً والنجفى سكناً.. إلخ، فتحيَّرتُ وتعجَّبتُ من هذه السرقة فكتبتُ إلى بانى الطبع ما معناه: إن هذا التفسير للمولى الجليل أبى الحسن الشريف، وأما عبد اللطيف فلم أسمع بذكره ولم نره فى كتاب، ولعل الكاتب السارق المطفىء لنور الله اشتبه عليه ما فى صدر الكتاب بعد الخطبة من قوله: «يقول العبد الضعيف الراجي لطف ربه اللطيف خادم كلام الله الشريف».. إلخ، فظن أنه أشار إلى اسمه فى ضمن هذه العبارة ولكن النسبة إلى كازران لا أدرى ما منشؤها، فوعدنى فى الجواب أن يتدارك ويغير ويبدل الصفحة الأولى ويكتب على ظهرها اسم مؤلفه وشرح حاله الذى كتبته سالفاً على ظهر نسختى من التفسير، وإلى الآن ما وفَّى بعهده وأعد نفسه لمؤاخذة المولى الشريف في غد، فليبلغ الناظر الغايب أن هذا التفسير المطبوع فى سنة (١٢٩٥ هـ) فى طهران المكتوب في ظهره ما تقدم للمولى أبى الحسن الشريف الذى يعبر عنه

في الجواهر بجدي العلامة لا لعبد اللطيف الكازراني الذي لم يتولد بعد .. إلى الله المشتكى وهو المستعان » أ هـ .

... ثم ذكر له ترجمة أخرى تتضمن ما سبق وفيها من مؤلفاته شرح على المفاتيح سماه : « شريعة الشيعة ودلائل الشريعة » .

« قال صاحب روضات الجنات : ويظهر من تضاعيف كتاب الأمل أن بيت بني موسى بن عليّ النباطيين العامليين بيت كبير من أهل الفقه والأدب والحديث، وأكثرهم كانوا متوطنين إما بمحروسة أصفهان أو مجاورين بالنجف الأشرف » أ هـ .

وفي خطبة الكتاب للمؤلف ما نصه :

« أما بعد .. فيقول العبد الضعيف الراجي لطف ربه اللطيف خادم كلام الله أبو الحسن الشريف » (جـ ١ ص ٣) .

وقال الناشر في آخر المقدمة ما نصه :

« والحمد لله على أن وفقنا لتجديد طبع هذا الكتاب الذي لم يأت بمثله ذوو العلوم من تأويلات آيات كتاب الله المبين والفرقان العظيم وحل مشكلاته مستدلاً فيما جاء به من التأويل بالأحاديث المأثورة عن النبي والأئمة عليهم السلام. جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وقد صحح بمعرفتي وطبع في مطبعة الأقتاب بطهران في يوم الاثنين عاشر شعبان المعظم من شهور سنة ١٣٧٤ هـ ، وعنى بطبعه ونشره الصالح الوفي خادم علوم الأئمة الطاهرين الحاج أبو القاسم بن محمد تقي المشتهر بالسالك، سلك الله به طريقاً إلى جنّاته ورضوانه آمين، وأنا الأحقر محمود بن جعفر الموسوي الزرندي » أ هـ .[1] .

---

(١) إتماماً للفائدة واستكمالاً للبحث رأينا أن نورد ما كتبه فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي في هذا الموضوع .. وقد استبدلنا كلمة « المؤلف » بكلمة « المولى »، حيث أثبتت هذه النقول الجديدة أن الكتاب لأبي الحسن العاملي، وليس للمولى عبد اللطيف الكازراني ..

يقول المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي :« هذا التفسير يعد في الحقيقة مرجعا مهما من مراجع التفسير عند الإمامية الإثني عشرية، وأصلا لا بد من قراءته لمن يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدة صاحبه ومن على شاكلته في فهمه لكتاب الله، وتنزيله لنصوصه على وفق ميوله المذهبية وهواه الشيعي .. ولكن كيف نحكم بأهمية هذا التفسير كمرجع من مراجع التفسير عند الإمامية الإثني عشر، ونحن لم نعثر عليه في مكتبة من مكاتبنا المصرية؟أليس هذا يعد من قبيل الحكم على ما نجهله، والقول فيما ليس لنا به علم؟؟ .. لا، فالكتاب وإن لم نظفر به ولم نطلع عليه، قد وجدنا ما هو عوض عنه إلى حد كبير، ذلك هو مقدمته التي قدم بها مؤلفه لتفسيره هذا.

وجدت هذه المقدمة في دار الكتب المصرية، فقرأتها، فرأيتها تكشف لنا عن منهج صاحبها في تفسيره ، وتوضح لنا كثيرا من آرائه في فهم كتاب الله،وتبين في صراحة تامة كيف تأثر المؤلف=

= بعقيدته الزائفة، فحمل كتاب الله ما لا يحتمله بأى حال من الأحوال. وها أنذا ألخص لك أهم المباحث التى تشتمل عليها هذه المقدمة. وبذلك نلقى ضوءا على هذا التفسير المفقود ونعطى القارئ فكرة واضحة إلى حد كبير عن طريقة المؤلف ومنهجه فى تفسيره.

ويجد القارئ أول ما يقرأ فى هذه المقدمة، بيانا مسهبا من المؤلف ومنهجه فى تفسيره.

ويجد القارئ أول ما يقرأ فى هذه المقدمة، بيانا مسهبا من المؤلف، يكشف لنا فيه عن الباعث الذى حمله على تأليفه لهذا التفسير، وعن المنهج الذى نهجه لنفسه فيه وسار عليه، و كما يكشف لنا فى أثناء بيانه هذا، عن نظرته لكتاب الله وموقفه من تفسيره، تلك النظرة التى لا نشك أنها نظرة رجل ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته، وذلك الموقف الذى لا نرتاب فى أنه موقف من أغراه مذهبه وخدعه هواه.

يقول المؤلف فى المقدمة ما نصه: (... أن من أبين الأشياء وأظهرها، وأوضح الأمور وأشهرها أن لكل آية من كلام الله المجيد.. وكل فقره من كتاب الله الحميد، ظهرا وبطنا، وتفسيرا وتأويلا، بل لكل واحدة منها - كما يظهر من الأخبار المستفيضة - سبعة بطون وسبعون بطنا، وقد دلت أحاديث متكاثرة، كادت أن تكون متواترة، على أن بطونها وتأويلها، بل كثيرا من تنزيلها وتفسيرها، فى فضل شأن السادة الأطهار، وإظهار جلالة حال القادة الأخيار، أنى النبى المختار. وآله الأئمة الأبرار، عليهم صلوات الله الملك الغفار - بل الحق المتين، والصدق المبين كما لا يخفى على البصير الخبير بأسرار كلام العليم القدير، المرتوى من عيون علوم أمناء الحكيم الكبير - أن أكثر آيات الفضل والإنعام، والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفى أوليائهم نزلت، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع، والتهديد والتفضيح، بل جملتها فى مخالفيهم وأعدائهم وردت. بل التحقيق الحقيق - كما سيظهر عن قريب - أن تمام القرآن إنما أنزل للإرشاد إليهم. والإعلام بهم، وبيان العلوم والأحكام لهم، والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم، وأن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن فى دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره فى دعوة التوحيد والنبوة والرسالة) (ص ٢ - ٣).

وهذه الدعاوى من المؤلف لا نكاد نسلمها له، إذ أنها لا تقوم على دليل صحيح، وما ادعاه من دلالة الأخبار المستفيضة والأحاديث المتكاثرة على ما ذهب إليه، أمر لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. لأن ما يعنيه من الأخبار، والأحاديث لا يعدو أن يكون موضوعا لا أصل له. ومن هذا يتضح لنا أن هذا الشيعى مبالغ فى تشيعه إلى حد جعله يحمل كتاب الله تعالى ما لا يحتمله، ويجعله موزعا بين دعوة الحق ودعوة الباطل، تلك بظاهر القرآن وهذه بباطنه!!

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك ما كان من تسامح مفسرى الشيعة الذين سبقوه، وسكوتهم عن ذكر ما ثبت عن الأئمة فى تفاسيرهم وبين عذرهم فى ذلك.

ثم ذكر أنه كان يجيش بصدره، ويدور بخاطره وخلده، أن يجمع ما تفرق من الأخبار المأثورة عن آل البيت ويشرح مضامينها، ثم يلحق نصوص كل آية بسورتها، وذلك كله فى كتاب مستقل، ولكن حال بينه وبين ما تطمح إليه نفسه - حقبة من الزمان - تفرق باله، وتشتت حاله، وكثرة أشغاله، ثم ظفر بعد ذلك بجملة من الآثار التى كان حريصا على جمعها، فرأى أن الذى تطمح إليه نفسه لا يصح التغافل والتسامح فيه، فاستخار الله واستعان بحوله وقوته على تحقيق مرامه فشرع فى جمع الروايات وتحريرها، وتفسير الآيات وتقريرها. =

= ثم بين لنا هدفه الذى يرمى إليه من وراء هذا التفسير، وهو أنه أراد أن يفسر آيات القرآن ويقرر معانيها على وجه منيف، وبيان لطيف، وطور رشيق، وطراز أنيق، بطريق الإيجاز والاختصار، مع ذكر لب المقصود من الآيات والأخبار، بحيث يوضح غوامض أسرارها، ويكشف عن خبايا أستارها، ويتبين طريق الوصول إلى ذخائر كنوزها، ويرفع النقاب عن وجوه رموزها، من غير تطويل ممل، ولا اختصار زائد مخل.

ثم بين لنا منهجه الذى سلكه فى تأليفه لهذا التفسير،وهو يتلخص فيما يأتى :

١ – بختصر الأخبار فلا يذكرها بتمامها، بل يقتصر على موضع الحاجة، ويحذف الأسانيد رغبة منه فى الاختصار.

٢ – أنه لا يتعرض لبيان جميع ما يتعلق بظاهر الآيات إلا إذا وجد أن التصريح بالمعنى الظاهر أمر لازم محتوم، وقد جعل مدار هذا التفسير على بيان ما يتعلق بالبطون لخلو أكثر التفاسير منها أو من جلها.

٣ – أنه إذا لم يعثر على نص يفسر به الآية اجتهد فى تفسيرها على وفق الأخبار العامة المطلقة التى يمكن استخلاص معنى الآية منها.

٤ – أنه يحرص كل الحرص على ذكر ما يعرفه من قراءة أهل البيت عند كل آية من القرآن.

ثم ذكر أنه وفق لما وفق إليه من كتابة التفسير (ببركات أول من آمن بالله بعين الإيقان، وثانى أول ما خلق الله قبل الكون والمكان، قاسم درجات الجنان ودركات النيران . . . إمام المشارق والمغارب. أمير المؤمنين أبى الحسنين على بن أبى طالب». ثم قال: «وكنت لا أرجو من الإقدام على هذا الأمر إلا أن يدخلنى فى شيعته الخاصين وأوليائه الخالصين، وأن تدركنى شفاعته المقبولة، وحمايته المأمولة، وجعلته خدمة لسدته السنية، وثوابه هدية إلى حضرته العلية، وسميته «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار» أهـ.

وبالجملة .. فهذا تفسير أشبه ما يكون بالتفسير المأثور، لالتزام صاحبه فيه بيان المعنى بما ورد من الأخبار عن علماء أهل البيت إما صريحا أو استخلاصا من عموم الأخبار، غاية الأمر أن هذه الأخبار أخبار لا يوثق بصحتها، ولا يعول على صدق نسبتها إلى من تنسب إليه من علماء آل البيت رضى الله عنهم.

بعد هذا البيان قال المؤلف :«ولنذكر قبل الشروع فى المقصود ثلاث مقدمات نافعة لابد من بيانها ههنا» ونستعرض هذه المقدمات الثلاث فنراه قد جعل المقدمة الأولى فى بيان ما يوضح حقيقة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة، كما أن ورود ظهره فيما يتعلق بدعوة التوحيد والنبوة والرسالة، وأن الأصل فى تنزيل آيات القرآن بتأويلها، إنما هو الإرشاد إلى ولاية النبى والأئمة صلوات الله عليهم وأعلام عز شأنهم وذل حال شانئهم، بحيث لا خير أخبر به إلا وهو فيهم وفى أتباعهم وعارفيهم، ولا سوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفى مخالفيهم قال :«ويستبين ذلك فى ثلاث مقالات».

المقالة الأولى : فى بيان ما يوضح المقصود بحسب الأخبار الواردة فى خصوص هذه المقدمة، وهى تتم بفصول، ثم ذكر ثلاثة فصول.

جعل الفصل الأول منها فى بيان نبذ مما يدل على أن للقرآن بطونا ولآياته تأويلات. وأن مفاد =

= فقرات القرآن غير مقصور على أهل زمان واحد، بل لكل منها تأويل يجرى فى كل أوان وعلى أهل كل زمان ... ثم ساق الروايات الدالة على ذلك وكلها مسندة إلى آل البيت، فمن هذه الرواسات ما رواه العياشي وغيره عن جابر قال: « سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من تفسير القرآن فأجابنى ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك، كيف أجبت فى هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لى: يا جابر، إن للقرآن بطنا، وللبطن بطنا وظهرا، يا جابر، وليس بشئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن.. إن الآية ليكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ وهو كلام متصل يتصرف على وجوه».

ثم عقب المؤلف على هذا الخبر فقال: « دلالة مبدأ هذا الخبر علي وجود تأويل له باطن وظاهر، وعلى تعدد تأويل آية واحدة، وعلى عدم تنافى تأويل أول الآية فى شئ وآخرها فى آخر، بل عدم تنافى التفسير بالظاهر فى أولها والباطن فى آخرها أو بالعكس ظاهرة، فإذا سمعت شيئا من ذلك فلا تنكره، لأنهم عليهم السلام أعلم بالتنزيل والتأويل، وما فيه إصلاح السائل والسامع، ولهذا ورد« إن القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه»، ويؤيده ما فى الكافى عن الصادق عليه السلام أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ** ﴾ [الرعد: ٢١]: هذه نزلت فى رحم آل محمد ﷺ وقد يكون فى قرابتك، فلا تكونن ممن يقول للشئ إنه فى شئ واحد ».

ومن هذه الروايات ما نقله عن كتاب العلل بإسناده إلى أبى حكيم الزاهد قال: حدثنى أبو عبد الله بمكة قال: « بينما أمير المؤمنين عليه السلام مار بفناء الكعبة إذ نظر إلى رجل يصلى فاستحسن صلاته، فقال: « يا هذا الرجل، إن الله تبارك وتعالى ما بعث نبيه ﷺ بأمر من الأمور إلا وله متشابه وتأويل وتنزيل، وكل ذلك على التعبد، فمن لم يعرف تأويل صلاته فصلاته كلها خداج ناقصة غير تامة».. ثم عقب المؤلف على هذا فقال: « والظاهر أن المراد بالمتشابه: الشبيه، وبالتأويل: الباطن، وبالتنزيل: الظاهر، وبالتعبد: سبيل الإطاعة، والمعنى: أن كل ما جاء به النبى ﷺ وأمر به فى الظاهر فله شبيه ونظير مأمور به فى الباطن، ويلزم الإيمان بهما جميعا. فمن لم يعرف شبيه الصلاة وباطنها الذى هو الإمام وإطاعته - كما سيأتى - فصلاته الظاهرية ناقصة» (ص ٣ - ٤).

وعند الفصل الثانى فى ذكر الأخبار الصريحة فى أن بطن القرآن وتأويله، إنما - هو بالنسبة إلى الأئمة - وولايتهم وأتباعهم وما يتعلق بذلك، فكان من جملة الأخبار التى ساقها: ما رواه الكلينى بإسناده إلى أبى بصير فقال: « قال الصادق عليه السلام: يا أبا محمد، ما من آية تقود إلى الجنة ويذكر أهلها بخير إلا وهى فينا وفى شيعتنا. وما من آية نزلت يذكر أهلها بشر وتسوق إلى النار إلا وهى فى عدونا ومن خالفنا».

وما نقله عن الكافى وتفسير العياشي وغيرهما، عن محمد بن ميمون، عن الكاظم عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].. قال: القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله فى الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل الله فى الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق. =

= وما رواه عن الباقر عليه السلام قال: قال النبي ﷺ في خطبته يوم الغدير: «معاشر الناس هذا على أحقكم بي. وأقربكم إلى، والله وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضا إلا فيه وما خاطب الذين آمنوا إلا بدأ به، وما نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه. معاشر الناس. إن فضائل على عند الله عز وجل، وقد أنزلها على في القرآن أكثر من أن أحصيها في مكان واحد فمن نبأكم بها وعرفها فصدقوه».

وما رواه عن عبد الله بن سنان أنه قال: قال ذريح المحاربي: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. فقال: المراد لقاء الإمام، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام وقلت له: جعلت فداك، قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾.. قال: أخذ الشارب، وقص الأظافر، وما أشبه ذلك، فحكيت له كلام ذريح فقال: صدق ذريح وصدقت، إن للقرآن ظاهرا وباطنا ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟ ثم عقب المؤلف على هذا فقال: «والكلام من الإمام عليه السلام صريح في أنهم — عليهم السلام — كانوا يكتمون أمثال هذه التأويلات عن أكثر الناس، حتى عن ابن سنان الذي كان من فضلاء أصحابه» (ص ٥).

وعقد الفصل الثالث في بيان نبذ مما يدل على وجود تناسب الظواهر مع البطون، وجهات تشابه أهل التأويل مع أهل التنزيل فقال: «اعلم أن ما دلت عليه الأخبار الماضية، وما تدل عليه الأخبار التي ستأتي من المعاني الباطنة والتأويلات. ليست جملتها مما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة، بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوز، ونهج الاستعارة، وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية، إذ أبواب التجوز في كلام العرب واسعة وموارده في عبارات الفصحاء سائغة، فلا استبعاد إن أراد الله عز وجل بحسب الاستعمال الذي يدل عليه ظاهر اللفظ معنى، وبحسب التجوز الذي تدل عليه القرائن ويجتمع مع الظاهر بنوع من التناسب معنى آخر، وسنشير إلى كثير من وجوه التناسب في المقدمة الثالثة وغيرها، ولكن نذكر في هذا المقام من كليات تلك الوجوه بعض ما يستفاد من أخبار الأئمة الأطياب، ونرفع عن وجوه الآيات لطالب تأويلها الحجاب. ،ونكشف عنها النقاب، تبصرة لمن أراد التبصر من أولي الألباب. وأما إحاطة العلم بالجميع، فهي للراسخين في العلم ومن عنده علم الكتاب... كما سيظهر في الفصل الأخير.

فاعلم أنه يمكن تبيين المرام في هذا المقام من وجوه وإن أمكن إرجاع بعضها إلى بعض، ثم ساق وجوها خمسة يرجع بعضها إلى بعض كما قال، فكان مما ذكره في الوجه الرابع ما جاء في البصائر عن نصر بن قابوس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠ — ٣٣]. .قال: يا نصر، إنه ليس حيث يذهب الناس، إنما هو العالم وما يخرج منه.

ثم قال المؤلف: «قال شيخنا العلامة — رحمه الله — » لعل المعنى ليس حيث يذهب الناس من انحصار جنة المؤمنين في الجنة الصورية الأخروية، بل لهم في الدنيا أيضا ببركة أئمتهم عليهم السلام جنات روحانية من ظل حمايتهم ولطفهم الممدود في الدنيا والآخرة، وماء مسكوب من علومهم الممتعة التي بها تحيا النفوس والأرواح، وفواكه كثيرة من أنواع معارفهم التي لا تنقطع شيعتهم ولا يمنعون منها، وفرش مرفوعة مما يتلذذون به من حكمهم وآدابهم بل لا يتلذذ =

= المقربون فى الآخرة أيضا فى الجنان الصورية إلا بتلك الملاذ المعنوية التى كانوا يتنعمون بها فى الدنيا كما تشهد به الأخبار- انتهى كلامه اعلى الله مقامه - فتأمل ولا تغفل عن جريان مثله فى ساير نعم الجنة، مثل أنهار الخمر وأمثالها، كما يشهد له ما سيأتى فى الأنهار واللبن من تأويل اللبن والخمر بعلوم الأئمة عليهم السلام. وسيأتى فى الجنة والنار وما بمعناها من تأويل الأولى بولاية الأئمة، والثانية بعداوتهم، وأمثال هذه التأويلات كثيرة ينادى بها كثير من الأخبار فى الترجمات الجائية المناسبة لها فافهم. وكذا كل ما ورد ظاهره فى العذاب، والمسخ والهلاك، والموت البدنى، ونحو ذلك، فباطنه فى الهلاك المعنوى بضلالاتهم وحرمانهم عن العلم والكمالات، وموت قلوبهم ومسخها وعميها عن إدراك الحق، فهم إن كانوا فى صور البشر لكنهم كالأنعام بل هم أضل، وإن كانوا ظاهرا بين الأحياء، فهم أموات، ولكن لا يشعرون، إذ لا يسمعون الحق، ولا يبصرونه ولا يعقلونه، ولا ينطقون به،ولا يأتى منهم أمر ينفعهم فى أخراهم، فهم شر من الأموات، وكذا كل ما كان فى القرآن مما ظاهره فى النهى عن القبائح الصورية، وتحريم الخبائث الظاهرية، كالزنا، والسرقة، والإيذاء، ونحوها مما هو علامة رذالة حال فاعله، ودليل خباثة طبع مرتكبه، كالخمر والميتة، والدم ونحوها مما تستقذر منه الطبائع السليمة، وتنفر منه القرائح المستقيمة، فبطنه فى النهى عن القبائح الباطنة التى هى معاداة الأئمة عليهم السلام، والزجر عن الخبائث المعنوية التى هى أعاديهم ومنكرو لايتهم، والفضائل التى هى فيهم، فإنهم أيضا - فى استقذار الأرواح، وتخبث القلوب، واستنفار العقول.. ونحو ذلك مثل الخبائث الظاهرة والقبائح الصورية، بل أشد كما لا يخفى، وهكذا حال بطون ما ظاهره فى الترغيب بالمبرات والأمر بالخيرات بالنسبة إلى الأئمة وولايتهم ومعرفتهم، وبالجملة المدار على تشبيه الأمور المعنوية بالصورية، كالحياة والموت والانتفاعات والتصورات الروحانية بالجسمية.. وهكذا فى البواقى. على أن فى هذا الأخير تناسبا آخر أيضا،وهو أنه لا خفاء فى كون النبى والأئمة صلوات الله عليهم وسائط معرفة العبادات والمأمورات، وأنهم الأصل فى قبولها فلا بعد إن أريدوا بها فى بطن القرآن، وكذا لا بعد فى كون أعدائهم من حيث مضادتهم لهم من المراد بالخبائث والمنهيات» (ص٨).

وفى الوجه الخامس من العلل، علل ما ورد من تأويل معرفة الله، وعبادته ومخالفته، وأسفه، وظلمه، ورضاه، وسخطه، وأمثاله بمعرفة الإمام،وإطاعته ومخالفته، وأسفه وظلمه ورضاه،وسخطه، وكذا تأويل الإمام: يد الله، وعينه ، وجنبه، وقلبه وسائر ما هو من هذا القبيل مما نسبه الله إلى نفسه وخصه به، بالإمام عليه السلام، وما ورد من الأخبار فى تأويل روح الله ونفسه، ولفظ الجلالة والإله والرب، الإمام عليه السلام... علل هذه التأويلات وما شاكلها بأن الذى جرى من عادة الأعاظم والملوك والأكابر أن ينسبوا ما وقع من خدمهم بأمرهم إلى أنفسهم تجوزوا، وكذا قد ينسبون مجازا ما يصيب خدمهم ومقربيهم من الإطاعة والخير والشر إلى أنفسهم، إظهارا لجلالة حال أولئك الخدم عندهم، وإشعارا بأنهم فى لزوم المراعاة والإطاعة ودفع الضر عنهم وجلب النفع إليهم بمنزلة مخاديمهم وفى حكمهم، بحيث أن كل ما يصل إليهم فهو كالواصل إلى المخاديم.

قال الصادق عليه السلام - كما سيأتى عن الكافى وغيره - إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ولكن خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنهم جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه... الخبر. =

= وفى رواية أخرى: ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، ثم أنزل بذلك قرآنا على نبيه . . . . .الخبر.

قال المؤلف: وسيأتى بقية الأخبار مفصلة، وهكذا كثيرا ما يطلق تجوزا على مقربى الرجل وأعوانه أسامى جوارحه وأعضائه وسائر ما يختص به فى النفع كما يقال للوزير الكامل المقرب عند السلطان النافع له جدا: إنه يده وسيفه وعينه . . .وهكذا بناء على أنه فى الدفع والنفع والقرب والعزة مثل ذلك، حتى إنه قد يقال: إنه روحه ونفسه، بل ربما يقال: إنه السلطان تجوزا ، بمعنى أنه جعل إطاعته إطاعته، ومخالفته مخالفته، بحيث لا يرضى بغير ذلك» (ص٩) .

ثم عقد الفصل الرابع فى بيان ما يدل على أن الواجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه، وتنزيله وتأويله معا،كما أن الواجب الإيمان بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وبسائر ما يتعل بذلك جميعا مفصلا أو على سبيل الإجمال إن لم يعلم التفصيل من طريق أهل البيت الذين هم أدرى بما فى البيت . وأن من أنكر الظاهر كافر وإن أقر بالباطن، كما هو مذهب الباطنية من ملاحدة الخطابية والإسماعيلية وغيرهم القائلين بسقوط العبادات كما سيظهر، وكذا بالعكس: أى إنكار الباطن وإن أقر بالظاهر، على كل مؤمن أن لا يجترئ بإنكاره ما نقل عن الأئمة عليهم السلام فى ذلك تفسيرا وتأويلا وأن لم يفهم معناه ولم يدرك مغزاه . . ثم ساق من الروايات ما يدل على ذلك، وكلها منسوبة إلى أهل البيت، فمن ذلك ما روى عن الباقر عليه السلام أنه قال: إن الله عز وجل قد أرسل رسله بالكتاب وبتأويله، فمن كذب بالكتاب أو كذب بما أرسل به رسله من تأويل الكتاب فهو مشرك» (ص٩) .

ومنها ما روى عن الهيثم التميمى، قال:(قال أبو عبد الله عليه السلام: يا هيثم،إن قوما آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئا،وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئا لا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا بباطن إلا بظاهر» (ص٩) .

وعقد الفصل الخامس: فى بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة عليهم السلام وما ذكر فى الأخبار الواردة فى المنع من تفسير القرآن بالرأى وبغير سماع من الأئمة، وفى الجمع بينها وبين ما يعارضها من الآيات والروايات وتوجيه ما هو الحق فى ذلك، فقال: اعلم أنه لا ريب فى اطلاع النبى ﷺ والأئمة على جميع وجوه آيات القرآن ومعانيها كلها، ظواهرها وبواطنها، تنزيلها وتأويلها، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله، كما أنزله الله فى بيتهم، فإن أهل البيت أدرى بما فى البيت، وقد دلت على هذا أخبار متواترة . . فمنها ما فى البصائر بسند صحيح عن أبى الصباح قال: والله لقد قال لى جعفر بن محمد عليهما السلام: أن الله علم نبيه ﷺ التنزيل والتأويل ،، قال: فعلم رسول الله ﷺ عليا عليه السلام، قال: وعلمنا . . . . .الخبر.

وما فيه أيضا بإسناده عن يعقوب بن جعفر قال: كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به، فقال أبو الحسن: فنحن نعرف حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضريه، وفى أى ليلة نزلت من آية، فى من نزلت، وفيم أنزلت . . .الخبر.

واستدل أيضا بما فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: ما يستطيع أحد يدعى أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأولياء . =

= ثم قال المؤلف بعد سياقه لهذه الروايات وغيرها: « وأما غيرها - عليهم السلام - فلا شبهة في قصور علومهم وعجز أفهامهم عن الوصول إلى ساحة إدراك كثير من تفسير الظواهر والتنزيل فضلا عن البواطن والتأويل، بلا إسناد من الأئمة العاملين، وعناية من الله رب العالمين ».

ثم بعد أن استدل على ذلك بما ذكره من روايات سابقة ولاحقه قال: « ولهذا ورد المنع من التفسير بغير الأخذ منهم عليهم السلام ». ثم استدل على عدم جواز تفسير القرآن بالرأى وضرورة الرجوع إلى الأئمة في فهم معانيه، فكان مما استدل به، ما رواه عن العياشي عن الصادق عليه السلام قال: « من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء » وما روى عن النبي ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »، وما ورد في تفسير الإمام عليه السلام من قوله: « أتدرون من المتمسك بالقرآن الذى له الشرف العظيم؟ هو الذى يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت، أو عن وسائط السفراء عنا إلى شيعتنا، لا عن آراء المجادلين، وقياس الفاسقين، فأما من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار » ص١١ - ١٢).

ثم بعد ذلك وفق بين الأخبار الدالة بظواهرها على حرمة التفسير بالرأى وبين ما ورد من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .. وقوله ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] .. وقوله عليه السلام: « القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه على أحسن الوجوه » وغير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على أن في معاني القرآن لأرباب الفهم متسعا بالغا ومجالا رحبا فقال: لنا في هذا المقام توجيهات عديدة نشير ههنا إلى ما هو الأكمل منها، وهو ما ذكره بعض محققي علمائنا، وقال« الصواب أن يقال: إن من أخلص الانقياد لله ورسوله ولأهل البيت، وأخذ علمه منهم، وتتبع آثارهم، واطلع على جملة من أسرارهم، بحيث يحصل له المراس في العلم والطمأنية في المعرفة وانفتح عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، فله أن يستفيد من القرآن غرائبه ويستنبط منه نبذا من عجائبه، وليس ذلك من كرم الله بغريب، ولا من جوده بعجيب، وليست السعادة وقفا على قوم دون آخرين، وقد عدوا - عليهم السلام - جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم كما قالوا: سلمان منا أهل البيت، فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في الراسخين في العلم، العالمين بالتأويل » (ص١٢ - ١٣).

ثم قال: « وأما التفسير المنهى عنه، فقد نزله المحقق أيضا على وجهين:

أحدهما: أن يكون للمفسر في الشئ رأى وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج به على تصحيح غرضه ومدعاه، فيكون قد فسر القرآن برأيه، أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وهذا كما أنه مع الجهل كأكثر تفاسير المخالفين مثلا كذلك قد يكون مع العلم، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك، ولكن يلبس على خصمه، ومن هذا ما مر من تأويلات الباطنية، وقد يصدر مثله عمن له غرض صحيح، لكن يطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به ذلك، كالذى يدعو مثلا إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: =

= قال الله تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٢٤]. . ويشير إلى قلبه ويومئ إليه أنه المراد بفرعون. قال ذلك المحقق، وهذا قد يستغله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع.

ثانيهما: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل عن الأئمة بما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيها من الاختصار والحذف والأضمار والتقديم والتأخير، وفيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والرخص والعزائم والمحكم والمتشابه. . . إلى غير ذلك من وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع، إذ من بادر إلى استنباط المعاني فيها بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فلابد له أولا من السماع وظاهر التفسير ليتقي مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لابد منها للفهم، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسراء: ٥٩]. . فإن معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، والناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدرى أنهم بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم بقتلها، والناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولا يدرى أنهم بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم، ومن ذلك الآيات التي سنشير إلى كونها واردة على سبيل الكناية والرموز بحيث لا يطلع على ما فيها إلا من تجرع كؤوس علوم آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، كما سيأتي في الفصل السادس من المقالة الأولى من المقدمة الثالثة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧]. . من أن المراد ظلم محمد وآله. ومنها ما سيأتي أيضا في الفصل الثالث من المقالة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٤]. . من أنه تعالى عنى بذلك غير النبي ﷺ كما قال الصادق عليه السلام: « ما خاطب الله به نبيه فهو يعني به من مضى»، وقد روى الكليني وغيره عنه عليه السلام أنه قال: «نزل القرآن بـ« إياك أعني واسمعي يا جارة». وعن الباقر عليه السلام: « إذا علم الله شيئا هو كائن أخبر عنه خبر ما قد كان»، وقد مر في حديث جابر قوله عليه السلام« وليس شئ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إنّ الآية ليكون أولها في شئ وآخرها في شئ» . . . . . الخبر، وسنذكر عن قريب في فصول المقالة المذكورة وغيرها، ما يوضح حال تفسير الآيات التي كذا شأنها، ليتبصر به الناظر فيما نذكره من تفسير تلك الآيات إن شاء الله تعالى».

(ص١٣)

ونحن لا نري أدني خلل فيما ذكره من الوجهين السابقين بصرف النظر عما ذكره من تفسير، ولكن نأخذ عليه أنه لم يأخذ بما قال، بل جعل القرآن تبعا لرأيه، ونزله علي معان تتفق وهواه، ورمي غيره بالداء الذي هو فيه.

ثم ذكر المقالة الثانية، فجعلها في بيان ما يوضح اشتمال كلام الله تعالي، الوارد فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة صريحا وتنزيلا، علي ما يتعلق بالولاية والإمامة بطنا وكناية وتأويلا، بحسب الأخبار الواردة في أن الولاية – أي الإقرار بنبوة النبي وإمامة الأئمة والتزام حبهم وطاعتهم وبغض =

= أعدائهم ومخالفيهم – أصل الإيمان، مع توحيد الله عز وجل، بحيث لا يصح الدين إلا بذلك كله، بل أنها سبب إيجاد العالم، وبناء حكم التكليف، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك، وأنها التي عرضت كالتوحيد علي الخلق جميعا، وأخذ عليهم الميثاق، وبعث بها الأنبياء، وأنزلت في الكتب، وكلف بها جميع الأمم ولو ضمنا، وأن نسبة النبوة إلي الإمامة كتسبتها إلي التوحيد في تلازم الإقرار بها وبقرينها، بحيث إن الكفر بكل في حكم الكفر بالآخر ولا يفيد الإيمان ببعض دون بعض، وأن الأئمة مثل النبي في فرض الطاعة والأفضلية بعده علي الخلائق أجمعين، وكونهم وسائط ووسائل لسائر عباد الله المكرمين، من الأنبياء والأوصياء والملائكة المقربين.... عقد هذه المقالة الثانية لهذا الغرض فقال: « اعلم أن الأحاديث الغير محصورة، تدل علي هذه الأمور المذكورة، بل أكثرها مما هو مجمع عليه عند علمائنا الإماميين وقد نص علي حقيقتها بل كون جلها من ضروريات هذا المذهب أعاظم أصحابنا المحدثين، وكفي في بيان ذلك ما ذكروه من مباحث الإمامة وكتب فضائل الأئمة، وسنذكر في هذا الكتاب لها شواهد كثيرة فلنكتف ههنا بنقل شئ من تصريحات محققي أصحابنا في هذا الباب، وذكر أقل قليل من نصوص الأئمة الأطياب إذ ليس هنا موضع البسط والإطناب ويكفي ما سنذكره في تبصرة من هو من أولي الألباب، فههنا فصول خمسة » .. ثم ساق الفصول الخمسة:

فجعل الفصل الأول منها في بيان نبذ من تصريحات علماء الشيعة الإمامية من عظم شأن الأمة وولايتهم وكفر منكريهم.

وجعل الفصل الثاني في بيان نبذ من الأخبار التي وردت في خصوص فرض ولاية أهل البيت وحبهم وطاعتهم، وأن ذلك مناط صحة الإيمان، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك، وأورد فيه ما جاء من ذم إنكار الولاية والشك فيهم، وكفر مبغضيهم ومخالفيهم.

وجعل الفصل الثالث في بيان بعض الأخبار التي وردت في أن الإقرار بإمامة الأئمة وحبهم وولايتهم يتلو الإقرار بنبوة النبي ﷺ في مدخلية صحة الدين وصدق الإيمان كما أن الإقرار بالنبوة بتلو التوحيد في ذلك، وأن نسبة النبوة إلي الإمامة، كنسبتها إلي التوحيد في تلازم الإقرار بها وبقرينها، بحيث أن الكفر بكل في حكم الكفر بالآخر ولا يفيد الإيمان ببعض دون الآخر.

وجعل الفصل الرابع في بيان بعض الأخبار التي وردت في خصوص أن الولاية عرضت مع التوحيد علي الخلق جميعا، وأخذ عليهم الميثاق، وبعث بها الأنبياء، وأنزلت في الكتب، وكلف بها جميع الأمم، وأورد فيه ما يدل علي أنها سبب إيجاد الخلق أيضا.

وجعل الفصل الخامس في بيان بعض الأخبار التي وردت في أن النبي صلي الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام أول المخلوقين، وأفضلهم وأكملهم، وأكرمهم بحيث كانت الملائكة والأنبياء تتوسل بهم وبولايتهم، وتفخر الملائكة بخدمتهم، وتعلموا التسبيح والتمجيد منهم، وأنهم وولايتهم العلة في الإيجاد، والأصل في الطاعة والمعرفة.

ثم ذكر المقالة الثالثة وجعلها في بيان ما يوضح ورود بطون القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة، بحسب الأخبار التي تدل علي أن هذه الأمة تقتفي سنن الأمم السالفة، وسيرة من كان قبلهم في كل أفعالهم وجميع أطوارهم وأعمالهم، كما أنه كان كذلك في سائر الأمم، قال: « فإنها بجملتها=

= – يعنى بطون القرآن – تقتضى بحسب لطف الله تعالى أن لا يترك الإنذار والتبشير فيهم، كما لم يترك بالنسبة إلى سابقهم، وأن يشير إلى الزين والشين فى كل أوان بالنسبة إلى أهل كل زمان. وحيث لم يكن وقت نزول القرآن بعض ما علم الله صدوره من هذه الأمة صار أبعد منهم، فلابد من ألطافه الكاملة أن يجعل ذلك تأويل كلامه البليغ، بحيث يستفاد من التنزيل والتبليغ، ولا شك أن هذا أبلغ فى الإعجاز وأجمل للإيجاز . . . » وقد أورد فى جملة ما أورد من الأخبار فى ذلك، ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن على عليه السلام أنه قال فى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]: أى لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء. وما رواه الكلينى فى الصحيح عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾ .. قال: يا زرارة، أى لتركبن هذه الأمة بعد نبيها طبقا عن طبق فى أمر فلان، وفلان . . . وفلان ».

قال المؤلف: « أقول: أى كانت ضلالتهم بعد نبيهم مطابقة لما صدر من الأمم السابقة فى ترك الخليفة واتباع العجل والسامرى وأشباه ذلك ».

قال: « ويحتمل أن يكون المعنى تطابق أحوال خلفاء الجور فى الشدة والفساد ».

(ص٢٣ – ٢٤)

ثم ذكر المقدمة الثانية فتكلم فى بيان ما يوضح وقوع بعض تغيير فى القرآن وأنه السر فى جعل الإرشاد إلى أمر الولاية والإمامة والإشارة إلى فضائل أهل البيت وفرض طاعة الأئمة بحسب بطن القرآن وتأويله، والإشعار بذلك على سبيل التجوز والرموز والتعريض فى ظاهر القرآن وتنزيله فقال: « اعلم أن الحق الذى لا محيص عنه بحسب الأخبار الواردة المتواترة الآتية وغيرها، أن هذا القرآن الذى فى أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شئ من التغييرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيرا من الكلمات والآيات، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر، الموافق لما أنزله الله تعالى ما جمعه علي عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام وهكذا إلى أن ينتهى إلى القائم عليه السلام، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه – ولهذا – كما قد ورد صريحا حديث سنذكره – لما أن الله عز وجل قد سبق فى علمه الكامل صدور تلك الأفعال الشنيعة من المفسدين فى الدين، وأنهم بحيث كما اطلعوا على تصريح بما يضرهم ويزيد فى شأن على عليه السلام وذريته الطاهرين، حاولوا إسقاط ذلك رأسا أو تغييره محرفين، وكان فى مشيئته الكاملة ومن ألطافه الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية، ومحارسة مظاهر فضائل النبى صلى الله عليه وآله والأئمة، بحيث تسلم عن تغيير أهل التضييع والتحريف ويبقى لأهل الحق مفادها مع بقاء التكليف، لم يكتف بما كان مصرحا به منها فى كتابه الشريف، بل جعل جل بيانها بحسب البطون على نهج التأويل، وفى ضمن بيان ما تدل عليه ظواهر التنزيل، وأشار إلى جمل من برهانها بطريق التجوز والتعريض، والتعبير عنها بالرموز والتورية وسائر ما هو من هذا القبيل، حتى تتم حجته على الخلائق جميعا ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل عليه صريحا بأحسن وجه وأجمل سبيل ». قال: « ويستبين صدق هذا المقال بملاحظة جميع ما نذكره فى هذه الفصول الأربعة المشتملة على هذه الأحوال.

ثم عقد الفصل الأول فى بيان نبذ مما ورد فى جمع القرآن ونقصه وتغييره، من الروايات التى نقلها أصحابه من الإمامية فى كتبهم.
=

= وعقد الفصل الثاني في بيان نبذ مما ورد في جمع القرآن ونقصه وتغييره، والاختلاف فيه من الروايات التي نقلها المخالفون في كتبهم.

وعقد الفصل الثالث فى بيان ما وعد به سابقا، من الخبر المشتمل على التصريح بتغيير القرآن وأنه هو السر فى الإشارة إلى ما يتعلق بالولاية والإمامة على سبيل الرمز والتعريض.

وعقد الفصل الرابع فى بيان خلاصة أقوال علمائهم فى تغيير القرآن وعدمه وتزييف استدلال من أنكر التغيير.

ثم ذكر المقدمة الثالثة وقد عقدها لبيان ما يوضح نبذا من التأويلات المأثورة عن الأئمة السادات والمفهومة من بعض الروايات، المرشدة إلى تأويل ما لم يظفر من تأويله على نص خاص من الكلمات القرآنية والآيات، قال: ويستبان بها أيضا ما بيته من صحة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة، وأن فى هذا الأمر تأويل ما ورد تنزيله فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة.. عقد هذه المقدمة لبيان ما تقدم فقال:

«اعلم أن التأويلات التى ظفرنا عليها من أخبار الأئمة الأطهار على ثلاثة أقسام:

الأول: ما ورد مختصا بكلمة أو آية مذكورة فى موضع واحد بحيث لا يجرى فى غيرها، ومحل ذكر مورده.

الثانى: ما ورد فى آية أو كلمة قرآنية لكنه بحيث يجرى فى غيرها. بل ربما يكون الورود على سبيل العموم أيضا، ونحن نذكر هذا القسم فى هذا المقدمة مع نصه أو الإشارة إلى موضع ذكر النص.

الثالث: ما لم يرد فى تأويل آية إلا أنه مما يجرى فيها، كقوله عليه السلام: «نحن يد الله» ونحوه، وهذا أيضا مما نذكره فى هذه المقدمة مع ذكر نصه أو الإشارة إليه، وفى هذين الأخيرين إذا وصلنا فى كتابنا هذا إلى موضع يجرى فيه أحدهما أولناه على وفقه بعد الإشارة إلى ورود التأويل وموضعه، بل مع إعادة ذكر أكثر النصوص فى مواردها. ثم من هذه التأويلات ما هو على نهج الكناية والتعريض والمجازات العقلية، ومنها ما هو من قبيل المجاز اللغوى، وها نحن نرتب هذه المقدمة على مقالتين نذكر فى إحداهما مظاهره على النهج الأول مما لا بد من إفراد ذكره، وفى الأخرى سائر التأويلات العامة مع نصوصها. ثم نلحقها بخاتمة نختم بها المقدمات» (ص٣٦).

ثم ذكر المقالة الأولى: فجعلها فى بيان بعض التأويلات التى لابد من إفراد ذكرها من حيث عظم فوائدها، وجلها من قبيل المجازات العقليه، والتجوز فى الاسناد، والكنايه، والتعريض، وإن أمكن التكلف فى إدخال بعضها تحت المجاز اللغوى، وقد جعل هذه المقاله مشتمله على سبعه فصول:

جعل الفصل الاول منها: فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله عز وجل كثيرا ما أورد فى كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهرا على سبيل العموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه، كالأئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك.. قال: «ويدل على هذا أحاديث كثيرة، منها ما سيأتى فى تأويل الكافرين بمن كفر بالولاية، والمنافقين بمن نافق فيها، والمشركين بمن أشرك مع الأمام من ليس بإمام، وأشباه ذلك».. ثم قال: «والحق أنه إذا تأمل بصير فى أكثر ما ورد من تفسير البطن علم أن معظم ذلك من هذا القبيل، وهو مجاز شائع ذائع استعماله فى كثير من الألفاظ العامة والمطلقة ونحوها».. إلخ (ص٣٦). =

. . . .

= وجعل الفصل الثانى : فى بيان ما يظهر من الأخبار أن الله تعالى كثيرا ما يخاطب بخطاب أو وصف صادق عن الماضين من أهل زمان النبى ﷺ والأمم السالفة بحسب الظاهر، ومراده، بحسب التأويل والباطن من صدق ذلك الخطاب أو الوصف عليه من هذه الأمة بالنظر إلى حال الإمامة والولاية وإن لم يكن في ذلك الزمان . . ثم ذكر فى ضمن ما رواه من الأخبار الدالة على ذلك ما جاء في تفسير العياشى عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٩] . . قال: قوم موسى هم أهل الإسلام . قال المؤلف : « والظاهر أن مراده عليه السلام : أن نظيره جار فيهم، وإنما ذكر فى الآية، تمثيلا لحال هذه الأمة، ويؤيده ما سيأتى فى الأئمة (لعله يريد قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ . . الآية، حيث يحمل على الأئمة الإثنى عشر) . فلا ينافى هذا ما هو الظاهر من الآية من وجود جماعة فى قوم موسى هادين إلى الحق صريحا كما يظهر من بعض الأخبار » (ص٣٧) .

وجعل الفصل الثالث : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله سبحانه وتعالى قد يريد بخطابه فى كتابه بحسب التأويل والبطن مخاطبا غير من يفهم من الظاهر كون الخطاب متوجها إليه، وكان ذلك فى أثناء الخطاب وبين الخطاب مع المخاطب المفهوم من الظاهر وفى آية واحدة، وذلك كما ورد فى خبر جابر من قوله عليه السلام : « أن الآية لتكون أولها فى شئ وآخرها فى شئ »، وما ورد فى الكافى وفى تفسير العياشى عن عبد الله بن بكير عن أبى عبد الله قال : « نزل القرآن بـ « إياك أعنى واسمعى يا جارة » وفيهما أيضا عن أبى عمير عمن حدثه عن أبى عبد الله قال : « ما خاطب الله به فهو يعنى به من قد مضى ذكره فى القرآن مثل قوله : ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤] . . عنى بذلك غيره . قال بعض المحدثين : لعل المراد من مضى ذكره فى القرآن من الذين أسقط أسماءهم الملحدون فى آيات . . قال : وفى كنز الفوائد عن الأعمش قال : سمعت عطاء بن أبى رباح يقول : سئل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق:٢٤] . فقال رسول الله ﷺ : « أنا وعلى نلقى فى جهنم كل من عادانا » . . . . الخبر . (ص٣٧) .

وجعل الفصل الرابع : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الضمير فى القرآن قد يكون بحسب التأويل راجعا إلى شئ ليس بمذكور صريحا، بل مقصود بحسب الباطن ومعهود تأويلا كالضمائر التى ورد رجوعها إلى الولاية أو إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو نحوذلك، بلا سبق ذكر ظاهرا . ثم ذكر ما ورد من الأخبار فى ذلك، ومنها : ما رواه الكلينى عن المفضل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس:١٥] . . قال : قالوا أو بدل عليا . . وما ورد فى كنز الفوائد للكراكجى من تأويل أهل البيت فى حديث أحمد بن إبراهيم عنهم عليهم السلام قالوا : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ : أى أن شكر النعمة التى رزقكم وما من عليكم بمحمد وآله : أى ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ أى بوصيه ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ . إلى وصيه على عليه السلام يبشر وليه بالجنة ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ : يعنى أقرب إلى أمير المؤمنين على منكم ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢ - ٨٥] أى لا تعرفون .

=

= ومنها ما ورد في تفسير القمي عن أبي الشمال عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إنها لإحدى الكبر * نذيرا للبشر ﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٦].. قال: يعنى فاطمة، وكذا قال في سائر الضمائر التي في السورة» (ص٣٨).

وجعل الفصل الخامس: في بيان ما يدل على أنه لا استبعاد في أن يحمل ما عبرعنه بالماضي على ما هو المستقبل الآتي كما يقتضيه كثير من التأويلات فقال: روى الكليني في الكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: إذا علم الله شيئا هو كائن أخبر خبر ما قد كان، يعني إذا كان في علم الله تعالى الكامل وقوع الشيء لا محالة وأنه سيكون قطعا، أخبر عنه على سبيل ما قد مضى وكان سواء أكان ذلك مما يدل عليه ظاهر القرآن وتنزيله، أو باطنه وتأويله، كما هو مقتضى التطابق كأحوال يوم القيامة مثلا، والثواب والعقاب وسائر ما هو من هذا القبيل كالرجعة وما يكون فيها، وما يصدر من الأمة بالنسبة إلى الإمامة وأمثال ذلك... قال: ولا يخفى أنه بناء على هذا يرتفع الاستبعاد المذكور» (ص ٣٨).

وجعل الفصل السادس: في بيان ما يظهر من الأخبار من أن إيراد أكثر الأشياء التي نسبها الله عز وجل إلى نفسه على صيغة الجمع وضميره كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ [الزخرف: ٥٥].. وقوله عز وجل: ﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ (الغاشية: ٢٥ - ٢٦).. وأمثالها من الكلمات القرآنية فإن السر فيه إدخال النبي ﷺ والأئمة فيها، بل إنهم هم المقصودون في كثير منها. وعد هذا من قبيل المجازات الشائعة في كلام الملوك والأعاظم.. ثم قال: فلنكتف ههنا بنقل بعض الأخبار الدالة عليه، وذكر أخبارا، منها: ما رواه الكليني في الصحيح عن حمزة بن بزيع عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾.. فقال: إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه.. إلخ، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك، وقد قال: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها»، وقال: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء: ١٠].. وقال: ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ﴾ [الفتح: ١٠] وقال: وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك الخبر ولا يخفى صراحة في المقصود ههنا.. قال: وفي الكافي وغيره عن زرارة عن أبي جعفر قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [البقرة: ٥٧].. فقال: إن الله أعظم وأجل من أن يظلم، ولكن خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ [المائدة: ٥٥].. يعني الأئمة منا» (ص٣٩).

وجعل الفصل السابع: في بيان ما يظهر من الأخبار من إطلاق لفظ الجلالة والإله والرب بحسب بطن الرآن وتأويله على الإمام في مواضع عديدة، بل هكذا حال بعض الضمائر الواجعة بحسب التنزيل إليه سبحانه وأن تأويل ما نسبه الله إلى نفسه بإضافته إلى هذه الألفاظ من العبادة، والإطاعة، والمعرفة، والرضا، والسخط، والمخالفة، والفقر، والغنى، إلى غير ذلك هو ما يتعلق =

= بالإمام كمتابعته، وإقامته، وإطاعته، ورضاه، وسخطه، وسبه، وأذاه، ومخالفته وغناه، وفقره، ونحو ذلك. وعد ذلك من قبيل المجازات العقلية والتجوز فى الإسناد. قال :لكن يظهر من بعض ما سنذكره من الأخبار أن فى ذلك ما هو من قبيل المجاز اللغوى أو التشبيه بالمعنى العرفى. ثم ذكر بعض ما هو نص فى بياد المقصود، فذكر من ذلك ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن على عليه السلام أنه قال فى حديث طويل: إن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]. .وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤] وقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧]. فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التى ركبها فيهم على جميع خلقه، وأن فعلهم فعله.... الخبر، وما رواه العياشى فى تفسيره عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل:٥١]. . يعنى بذلك لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد، وما جاء فى كنز الفوائد للكراكجى عن على بن أسباط عن إبراهيم الجعفرى عن أبى الجارود عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل: ٦١].. قال: أى إمام هدى مع إمام ضلال فى قرن واحد ؟وما رواه القمى فى تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩]. . أن الصادق عليه السلام قال: أى رب الأرض يعنى إمام الأرض، وما جاء فى تفسير القمى فى قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾. . .الآية [إبراهيم:١٨]، قال: من لم يقر بولاية على عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذى تجئ الريح فتحمله، وما جاء فى كنز الفوائد من تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف:٨٧]. . أن الامام عليه السلام قال: هو يرد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيعذبه عذابا نكرا، ثم يقول: ﴿ يَا لَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ:٤٠]. . أى من شيعة أبى تراب». (ص٤١).

وأما المقالة الثانية: فهى فى بيان سائر التأويلات العامة التى تجرى فى غير موضعها وتعم أكثر من موضع واحد من نصوصها وأدلتها. وقد رتب المؤلف ما فى هذه المقالة على ترتيب حروف الهجاء ونهج فيها منهج كتب اللغة بملاحظة الحرف الأول، ثم الآخر ثم الثانى. فمن ذلك الذى ذكروه ما يأتى:

(الإصر) قال هو فى سورة البقرة، وآل عمران، والأعراف. وفى أساس البلاغة، الإصر: الثقل. وفى القاموس: الإصر – بالكسر: الذنب، وسيأتى فى الذنب تأويله، وقد روى الكلينى أيضا عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف:١٥٧]. . .. أنه قال:«الإصر: الذنوب التى كانوا فيها قبل معرفة فضل الإمام. فلما عرفوا فضل الإمام وضع عنهم الإصر، قال: قال عليه السلام: الإصر الذنب، وهى الآصار».... الخبر. وتأويله ظاهر. وفى تفسر القمى عن الصادق عليه السلام أنه قال فى قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [آل عمران:٨١] أى عهدى أى عهد الإيمان بالنبى ﷺ ونصرة على عليه السلام» (ص٥٠). =

= «الباطل» قال: الباطل والمبطلون، والباطل ضد الحق، وقد ورد تأويله بأعداء الأئمة، وبدولة الباطل،وبما كان عليه بنو أمية وأشباههم من غاصبى الخلافة، كعداوة الأئمة وغيرها، ومنه يظهر المراد بالمبطلين، أى مدعى الباطل وأتباعهم ففى تفسير القمى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾ [محمد: ٣] قال: هم الذين اتبعوا أعداء على وآل الرسول».... الخبر. (ص ٧٠).

«الراجفة» قال: الراجفة، والرادفة، والرجفة، والمرجفون: أصل الرجفة الحركة والاضطراب ومنها الأرجوفة للكذب الذى يوقع فى الاضطراب. وفى سورة الأحزاب: ﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِى الْمَدِينَةِ ﴾ [الآية: ٦٠] قال: وسيأتى هناك عن الصادق عليه السلام: أن الراجفة الحسين عليه السلام، والرادفة أبوه على عليه السلام، وأن أول من ينفض التراب عن رأسه فى الرجفة الحسين عليه السلام، وقد فسرها المفسرون بالنفخ الأول، والرادفة بالنفخ الثانى.، وهو أيضا مناسب للتأويل المذكوز كما سيأتى فى السور. وربما أمكن إجراء ما ذكرنا من التأويل فى بعض موارد الرجفة على حسب التناسب، بل يمكن التأويل أيضا بقيام القائم ورجعة الناس فلا تغفل» (ص ١٠٩).

«الزيت والزيتون» قال: أما الزيتون فمعروف. وأما الزيت ففرد منه. ويأتي إن شاء الله في المشكاة، وفي سورة النور عند تأويل آية النور ما يدل علي تأويل الزيت بالعلم، وفي سورة «التين» ما يدل علي تأويل الزيتون بالحسين، وقد أوله القمي أيضا بعلي عليه السلام كما سيظهر في السورة المذكورة، ولعله يمكن إجراء ذلك في غير تلك السورة أيضا. وقد قيل في وجه هذه الاستعارة: إن الزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن مبارك لطيف، وعلي عليه السلام وكذا الحسين عليه السلام كل واحد ثمرة فؤاد المقربين، وعلومه قوة قلب المؤمنين، وبنوره ونور أولاده الطاهرين اهتدي جميع المهتدين، وقد مثل الله نوره بأنوارهم كما شاع في أخبارهم، ثم قد ورد تأويل الزيتون ببيت المقدس كما يأتي في «الطور» (ص ١١٣).

«القبلة» قال في القاموس: القبلة التي يصلي نحوها، والجهة، والكعبة، وكل ما يستقبل.. يقال: ما له قبلة ولا دبرة – بكسرهما – أي وجهة. هذا وقد مر في الصلا ما يدل علي تأويل القبلة بالأئمة عليهم السلام،وأنهم المراد بها بحسب بطن القرآن، واستقبالها كناية عن التمسك بهم واتباعهم ونحو هذا، وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام:«نحن قبلة الله ونحن كعبة الله» وسيأتي بعض المزيد في «الكعبة» و«الله الهادي». (ص ١٨٣).

ثم ذكر الخاتمة، وجعلها مشتملة علي فصلين:

الفصل الأول: في بيان نبذ مما ورد من تأويلات الحروف المقطعة التي في أوائل بعض السور فقال:«اعلم أن أصل تركيب مقطعات أوائل السور من غير ملاحظة ما تكرر منها أربع عشرة بعدد المعصومين الأربعة عشرة: النبي ﷺ، وفاطمة، والأئمة الإثني عشر. والسور هي هذه: الم المص. الر.المر. كهيعص. طه. طسم. طس. يس. ص. حم. حمعسق. ق. ن» ثم قال: وفي معاني الأخبار بإسناده إلي أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:«الم» حروف من حروف اسم الله الأعظم المقطع في القرآن، الذي يؤلفه النبي ﷺ والإمام عليه السلام، فإذا دعا به أجيب»، قال بعض الأفاضل: في هذا الحديث دلالة علي أن الحروف المقطعات أسرار بين الله ونبيه، ورموز لم يقصد بها إفهام غيره وغير الراسخين في العلم من ذريته. أقول:ويؤيده ما في تفسير الإمام عليه =

= السلام: أن معني «آلم» : أن هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها « أ ل م » وهي بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين. ثم قال: وسنشير فيما ورد في « ص » إلي ما يدل علي أن جميع المقطعات القرآنية اسم للنبي ﷺ، ولنذكر بعض ما يتعلق بتأويلها علي ترتيبها. فما ورد في « الم ، والمص، والر، والمر » ما قيل من أن معنى « الم » أنا الله أعلم وأري . « المص » : أنا الله أعلم وافصل . وعلي هذا يمكن التأويل بأنه علم حيث اختار محمداً وعلياً وآلهما الطيبين للنبوة والإمامة وأنزل لهم وفيهم كتابه المجيد ، وعلى هذا القياس تأويل ما يأتي بعده ... » إلخ. (ص ٢٣١).

ثم قال: وأما « كهيعص » فمعناه أنا الكافى الهادى، والوالى العالم الصادق الوعد.

أقول: تأويل هذا: ما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: اى كاف لشيعتنا، هاد لهم، ولى لهم، وعده الحق، يبلغ بهم المنزلة التى وعدهم إياها فى بطن القرآن - وما فى الاحتجاج والمناقب وإكمال الدين عن سعد بن عبد الله عن الحُجَّة القائم عليه السلام أنه سأل عن تأويل « كهيعص » فقال: إن هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم فصلها على محمد ﷺ، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه بأسماء الخمسة، فأهبط الله عليه جبريل عليه السلام، فعلَّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً، وعلياً، وفاطمة، والحسن، سرى عنه همه وانجلى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة. فقال ذات يوم: إلَهى، ما بالى ذكرتُ أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومى، وإذا ذكرتُ الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال: « كهيعص » فالكاف: اسم كربلاء: والهاء هلاك العترة، والياء: يزيد لعنه الله - وهو ظالم الحسين - والعين: عطشه، والصاد: صبره، فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيها الناس من الدخول عليه ..... الخبر.

قال: وسيأتى تتمته فى سورته » . (ص ٢٢٣).

وجعل الفصل الثانى من الخاتمة فى ذكر بعض الفوائد.

فالفائدة الأولى: بيَّن فيها أن دأبه فى هذا التفسير على شيئين:

أحدهما: تأويل ما ورد بحسب التنزيل بالنسبة إلى الأمم السابقة وما صدر منهم بالنسبة إلى إطاعة أنبيائه وعصيانهم، بأن المراد الإطاعة وعدمها فيما بلغوا إليهم وأمروهم به من الإقرار بولاية النبى والأئمة، والاعتراف بحقهم، والتمسك بهم، مع التبرى من أعدائهم. بعد الإقرار بالله ورسله. وتصديقهم فيما بلَّغوا جميعاً، لا سيما الولاية.

وثانيهما: تطبيق كثير مما ورد بالنسبة إلى تلك الامم وإلى طاعتهم وإلى معصيتهم وما ورد عليهم من الشر والنقم والخير ، والنعم وغير ذلك علي طوائف هذه الآية فيما صدر منهم بالنسبة إلي إطاعة النبى والأئمة فى أمر الولاية وعدمها، وما ورد ويرد عليهم من الشر والخير لذلك، وذلك بتمثيل الأخيار بالأخيار، والأشرار بالأشرار، وتبيان وجه الشبه فى تنظيم أفعالهم بأفعالهم، كتنظير أصحاب السبت بقتلة ذُرِّية النبى كبنى أمية وبنى العباس مثلاً، وأصحاب الكهف بأبى طالب ونظرائه مثلاً، وأصحاب العجل بأهل السقيفة، وغير ذلك » (ص ٢٣٥).

والفائدة الثانية: بيَّن فيها أن المراد فى الباطن بجميع ما حرّم الله فى القرآن أئمة الجور، وبما =

= أحلَّ أئمة الحق، وأنهم أصل كل خير، ومن فروعهم كل بر، وأعداؤهم أصل كل شر، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة، وأن أعداءهم المراد بالفواحش والمناهى وما يُعبد من دون الله » (ص٢٣٦) .

والفائدة الثالثة قال فيها : « إنه تقدم وجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه معاً، وأن كلاً منهما مقصود البارى، ولكن لما كانت التفاسير المتداولة مشتملة على جُلّ ما يتعلق بالظاهر، وكان مقصدنا بالذات من وضع هذا الكتاب إبراز خبايا التأويلات المستفادة من الأئمة السادة، لخلو أكثر التفاسير عنها جميعاً، ومن أكثرها، جعلنا مدار كلامنا على تبيين هذا الأمر وبيان ما يتعلق بالبطون فلا نتعرض لما يتعلق بالظواهر مفصلاً، حذراً من التطويل والخروج عن المقصود الأصلى » (ص ٢٣٦) .

والفائدة الرابعة : بيَّن فيها أن كل ما ذكره من تأويل الآيات والكلمات القرآنية فى تفسيره، فمبناه على التجوّز فى المعنى، أو الإسناد، أو نحو ذلك من وجوه الاستعارات وأمثالها . قال : « ومع هذا لا يجوز ذلك فى موضع إلا بعد وجدان مستند له فيه وفى مثله، أو بحسب العموم والإطلاق الشامل » (ص ٢٣٦) .

والفائدة الخامسة : بيَّن فيها أنه اقتصر في نقل الأخبار على موضع الحاجة منها وما يدل على المراد، مخافة التطويل .

قال : « فربما فرقنا مضمون خبر على مواضع، وربما نقلنا خلاصة مضمون روايته، ولكن كل ذلك بحيث لا يخل بالحديث ولا يتغير منه معناه » (ص ٢٣٦) .

والفائدة السادسة : بيَّن فيها أن كل ما ذكره فى تفسيره من التأويلات فهو غير خال من المستند المستفاد من الأئمة عليهم السلام » (ص ٢٣٦) .

والفائدة السابعة : بيَّن فيها أن الرجعة من ضروريات مذهب الشيعى، وادعى تواتر الأحاديث المثبتة لها فى الجملة، وإن كانت مختلفة فى تفصيلها، وقال : لقد وقفت على زيد من مائتى حديث فيها، ثم ذكر من الأخبار ما يدل على ذلك » (ص ٢٣٧ – ٢٣٩) .

ثم قال : وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده فى مقدمات تفسيرنا، ونشرع بعد هذا فى أصل التفسير إن شاء الله تعالى ويحوله وقوته وتوفيقه، حامداً ومصلياً ومُسَلِّماً، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الأئمة المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين، حمداً وصلاة وتسليماً كثيراً كثيراً » . أ هـ .

ولكن أين هذا التفسير؟؟ . . قلنا : لم نعثر عليه فى مكتبه من مكاتبنا المصرية . وقلنا : إنه لو وقع لنا لكان خير مرجع يصوِّر لنا معالم التفسير عند الإمامية الإثنى عشرية . . . ولكن الستُ معى فى أن هذه المقدمة التى لخصتُ لك أهم مباحثها، تكشف لنا إلى حد كبير عن مذهب صاحبها فى تفسيره، وعن مقدار تأثره بعقيدته فى فهمه لكتاب الله؟ أظن أنك معى فى هذا وإليك أسوق أهم القواعد التى سار عليها المؤلف فى تفسيره، وهى قواعد استخلصتها ولخصتها من مقدمة تفسيره، ولا أحسب أنه تخطاها أو شذ عنها بعد ما دافع عنها وقوَّاها بما استطاع من الأدلة . وهذه هى أهم القواعد :

أولاً : القرآن له ظهر وبطن، بل كل فقرة من كتاب الله لها سبعة وسبعون بطناً، وجملة باطن =

= الكتاب في الدعوة إلى الإمامة والولاية، وجملة ظاهره في التوحيد والنبوة والرسالة، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على المدح والإكرام ففى أئمتهم، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على التهديد والوعيد والتوبيخ والتقريع ففى مخالفيهم وأعدائهم نزلت.

ثانياً: لا تقتصر معانى الآيات القرآنية على أهل زمان واحد، بل لكل آية تأويل يجرى فى كل أوان وعلى أهل كل زمان.

ثالثاً: معانى القرآن الظاهرة متناسبة مع معانيه الباطنة.

رابعاً: المعانى الباطنة ليست جملتها مما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوز ونهج الاستعارة وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية، وهذا فى تقديره أمر لا غرابة فيه ولا استبعاد، إذ أن أبواب التجوز فى كلام العرب واسعة، وموارده فى عبارات الفصحاء سائغة.

خامساً: يجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكم القرآن ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وبسائر ما يتعلق بذلك تفصيلاً أو إجمالاً إن لم يعلم التفصيل من أهل البيت، ومَن أنكر الظاهر وأقر بالباطن أو العكس فهو ملحد كافر، بل ويجب على كل إنسان أن يصدق بكل ما نُقل عن الأئمة من تفسير وتأويل وإن لم يفهم معناه، ومن الجرأة أن ينكر أحد شيئاً من ذلك لخفائه عليه.

سادساً: علم تأويل القرآن جميعه عند الأئمة، وهذا أمر اختصوا به دون مَن عداهم، فلهذا لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه وبدون سماع منهم: لأنهم لا شبهة فى أن مَن عداهم تقصر علومهم وتعجز أفهامهم عن الوصول إلى كثير من ظواهر القرآن فضلاً عن بواطنه وتأويله.

سابعاً: ما علم الله صدوره من هذه الأمة المحمدية فى الأزمنة المستقبلة - أى بعد نزول القرآن - أشار الله إليه ونبه عليه فى كتابه الكريم، فكل ما جَدَّ ويجِّد من الحوادث بعد نزول القرآن يستفاد من آياته عن طريق تأويلها، وهذا أبلغ فى الإعجاز وأجمل للإيجاز، فقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].. تأويله الإخبار من الله بأن هذه الأمة ستسلك سبيل مَن كان قبلها من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء.

ثامناً: القرآن الذى جمعه علىّ عليه السلام وتوارثته الأئمة من بعده هو القرآن الصحيح، وما عداه وقع فيه التغيير والتبديل، فكل ما ورد صريحاً فى مدح أهل البيت وذم شانئيهم أسقط من القرآن أو حُرِّف وبُدِّل، ولعلم الله بما سيكون من التغيير والتبديل لم يكتف الله تعالى بالإرشاد إلى أمر الإمامة والولاية وفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم بما صرَّح به القرآن، بل أرشد إلى ذلك أيضاً بحسب ما يدل عليه باطن اللفظ وتأويله، لتقوم بذلك الحجّة على الناس وإن حُرِّف القرآن وبُدِّل.

تاسعاً: كثيراً ما يريد الله فى كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهراً على سبيل عموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه، كالأئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك، كما ورد فى تأويل «المشركين»: بمن أشرك مع الإمام مَن ليس بإمام.

عاشراً: ما ورد من الخطاب للأمم السابقة كثيراً ما يراد به بحسب الباطن ما يصدق عليه =

٧ - البرهان .. فى تفسير القرآن

للسيد هاشم بن السيد سليمان بن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد الحسينى البحرانى التوبلى الكتكانى (المتوفى سنة ١١٠٧ - أو ١١٠٩ هـ) .. والكتاب طبع للمرة الأولى على الحجر فى طهران سنة ١٢٩٥ هـ فى مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما ١١٤٨ صحيفة، وطبع للمرة الثانية فى أربع مجلدات تبلغ عدد صفحاتها ١٩٩٦ صحيفة، وذلك فى سنة ١٣٧٥ هـ.

وها نحن نعتمد فى نقولنا على الطبعة الثانية، التى جعلت مقدمة «مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار» مقدمة لها وإن كانت فى مجلد وحدها.

● **التعريف بالمؤلف** [١] :

«مؤلف هذا الكتاب هو السيد هاشم بن السيد سليمان بن سيد إسماعيل بن سيد عبد الجواد بن سيد على بن سيد سليمان بن سيد ناصر الحسينى الكتكانى[٢] .

ولد - رحمه الله تعالى - فى كتكان من قرى بلدة توبلى من أعمال البحرين، لم يذكر مترجموه تاريخ ولادته ولم يشيروا إلى ما يوضح ذلك، ولكنهم ذكروا سنة وفاته وقد توفى سنة ١١٠٧ (أو سنة ١١٠٩ هـ) فى قرية النعيم ونقل إلى قرية التوبلى ودفن بها..

= الخطاب من هذه الأمة بحسب الإمامة والولاية وغيرهما، مع إرادة الظاهر أيضاً مثل: ﴿ **وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٩] .. أراد فى الباطن بقوم موسى: أهل الإسلام.

الحادية عشرة: قد يراد بالخطاب فى الباطن مخاطباً غير من نفهم من الظاهر كون الخطاب له، كما ورد عن أبى عبد الله أنه قال: نزل القرآن بـ «إياك أعنى واسمعى يا جارة» فقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** ﴾ [الإسراء: ٧٤] .. عنى به غير النبى.

الثانية عشرة: قد يرجع الضمير بحسب التأويل والباطن إلى ما لم يسبق له ذكر صريحاً، مثل قوله تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ [يونس: ١٥] ... يعنى أو بدِّل علياً.

الثالثة عشرة: ما نسبه الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو ضميره كقوله: ﴿ **فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ** ﴾ [الزخرف: ٥٥] ... السر فيه إدخال النبى ﷺ والأئمة فى مفهومه وهذا مجاز شائع معروف.

الرابعة عشرة: لفظ الجلالة وما شاكله والضمائر الراجعة إلى الله فى الظاهر مراد به الإمام باطناً وتأويلاً، وهذا مجاز شائع معروف.

هذه هى أهم القواعد التى سار عليها المؤلف فى تفسيره، وهى كما ترى ملخصة من مقدمة تفسيره. (التفسير والمفسرون: ٢ / ٣٥ - ٥٨).

(١) نقلاً عن الترجمة المذكورة له فى آخر المجلد الرابع ص ٥٥٥ وما بعدها.

(٢) قال معلقه: ريحانة الأدب: جـ ٥ ص ١٤١ عن الكنى والألقاب: جـ٣ ص ٧٨

وذكر صاحب اللؤلؤة «أنه كان فاضلاً محدِّثاً جامعاً متتبعاً للأخبار بما لم يسبق له سابق سوى شيخنا المجلى وقد صنَّف كتباً عديدة تشهد بشدة تتبعه واطلاعه».
ومؤلفاته تبلغ خمسة وسبعين كتاباً بين صغير وكبير ووسيط.

قال صاحب اللؤلؤة: «إنى لم أقف له على كتاب «فتاوى الأحكام الشرعية» بالكلية ولو في مسألة جزئية، وأن ما كتبه مجرد جمع وتأليف ولم يتكلم فى شىء منها مما وقفتُ عليه على ترجيح في الأقوال أو اختيار مذهب وقول فى ذلك المجال، ولا أدرى أن ذلك لقصور درجته عن مرتبة النظر والاستدلال أم تورعاً من ذلك كما نقل عن السيد الزاهد العابد رضى الدين بن طلوس».

قال المترجم: ولكن أعتقد أن المرجح هو ورعه لا قصوره وقد استدل على ذلك بدليلين: ثانيهما ما جاءفى اللؤلؤة عنه: «وانتهت رياسة البلد بعد الشيخ محمد بن ماجد (المتقدم) إلى السيد المذكور، فقام بالقضاء فى البلاد وتولى الأمور الحسبية أحسن قيام وقمع أيدى الظلمة والحكام، ونشر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبالغ فى ذلك وأكثر، ولم تأخذه لومة لائم فى الدين، وكان من الأتقياء المتورعين شديداً على الملوك والسلاطين».

وها هى جملة من مؤلفاته :

١ – إثبات الوصية (ذكر المعلق أن صاحب الذريعة يستظهر أن هذا الكتاب هو كتاب البهجة المرضية الآتى بعد).
٢ – احتجاج المخالفين على إمامة أمير المؤمنين.
٣ – إرشاد المسترشدين.
٤ – الإنصاف فى النص على الأئمة الأشراف من آل عبد مناف.
٥ – إيضاح المسترشدين فى بيان تراجم الراجعين إلى ولاية أمير المؤمنين.
٦ – البرهان فى تفسير القرآن.
٧ – البهجة المرضية فى إثبات الخلافة والوصية.
٨ – تبصرة الولى فيمن رأى المهدى فى زمان أبيه أو فى غيبته الصغرى أو الكبرى.
٩ – تحفة الإخوان. ١٠ – ترتيب التهذيب.
١١ – تفضيل الأئمة على الأنبياء الذين كانوا قبل جدهم النبى الخاتم ﷺ.
١٢ – تفضيل علىّ على أولى العزم من الرسل.
١٣ – تنبيه الأريب وتذكرة اللبيب فى إيضاح رجال التهذيب.
١٤ – التيمية فى بيان نسب التيمى.
١٥ – التنبيهات فى تمام كتاب الفقه من كتاب الطهارة إلى الديّات.
١٦ – ثاقب المناقب فى المعجزات.

١٧ – نزهة الأبرار فى خلق الجنة والنار.
١٨ – حقيقة الإيمان.
١٩ – حلية الآراء (قال المترجم: والظاهر أنه مصحف الأبرار الآتى).
٢٠ – حليه الأبرار فى أحوال محمد وآله الأطهار.
٢١ – حلية النظر فى فضل الأئمة الإثنى عشر.
٢٢ – الدر النضيد فى خصائص الحسين الشهيد.
٢٣ – سلاسل الحديد، منتخب من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد.
٢٤ – عمدة النظر فى الأئمة الإثنى عشر.
٢٥ – غاية المرام وحُجَّة الخصام فى تعيين الإمام من طريق الخاص والعام.
٢٦ – لوامع الأنوار فى التفسير.
٢٧ – مدينة المعجزات.
٢٨ – المَحجَّة فيما نزل فى القائم الحُجَّة.
٢٩ – معالم الزلفى فى النشأة الأخرى.
٣٠ – معجزات النبى ﷺ.
٣١ – مناقب أمير المؤمنين.
٣٢ – مناقب الشيعة.
٣٣ – مولد القائم.
٣٤ – الميثمية.
٣٥ – نور الأنوار فى التفسير.
٣٦ – نزهة الأبرار ومنار الأفكار فى خلق الجنة والنار.
٣٧ – نهاية الآمال فى ما يتم به الأعمال.
٣٨ – نسب عمر بن الخطاب.
٣٩ – الهادى وضياء النادى (مجلدان فى تفسير القرآن).
٤٠ – وفاة الزهراء.
٤١ – وفاة النبى ﷺ.
٤٢ – روضة العارفين.
٤٣ – الهداية فى تفسير القرآن.

قال المترجم: «وهذا السيد كان يروى عن جملة من المشايخ منهم السيد عبد العظيم بن السيد عباس الإسترابادى الأخبارى، والشيخ محمود بن عبد السلام، والشيخ فخر الدين الطريحى النجفى صاحب كتاب مجمع البحرين. واعلم أن كتابه «البرهان فى تفسير القرآن» ستة أجزاء قد جمع فيه جملة الأخبار الواردة فى التفسير من الكتب القديمة العربية وغيرها». أ هـ.

قال المؤلف فى مقدمة تفسيره[1] بعد أن ذكر فضل القرآن الكريم ما نصه: «غير أن أسرار تأويله لا تهتدى إليه العقول، وأنوار حقائق خفياته لا تصل إليه قريحة المفضول،

---

(١) الجزء الأول ص ٢ وما بعدها.

ولهذا اختلف فى تأويله الناس، وصاروا فى تفسيره على أنفاس وانعكاس، قد فسَّروه على مقتضى أديانهم، وسلكوا به على موجب مذاهبهم واعتقادهم، وكل حزب بما لديهم فرحون، ولم يرجعوا فيه إلى أهل الذكر صلى الله عليهم وسلم أجمعين، أهل التنزيل والتأويل القائل فيهم جَلَّ جلاله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ٧] لا غيرهم، وهم الذين أوتوا العلم وأولوا الأمر وأهل الاستنباط وأهل الذكر الذين أمر الناس بسؤالهم كما جاءت به الآثار النبوية والأخبار الإمامية، ومَن ذا الذى يحوى القرآن غيرهم ويحيط تنزيله وتأويله سواهم؟ ففى الحديث عن مولانا باقر العلم أبى جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام قال: «ما يستطيع أحد أن يدّعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء». وفى حديث آخر عن جابر قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما من أحد من الناس ادّعى أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله إلا علىّ بن أبى طالب والأئمة من بعده». وفى الحديث عن مولى الأمة وإمامها أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام: «أن عبد الله بن عباس جاءه عليه السلام يسأله عن تفسير القرآن فوعده بالليل، فلما حضر قال: ما أول القرآن؟ قال: الفاتحة، قال: وما أول الفاتحة؟ قال: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، قال وما أول ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾؟ قال: ﴿ بِسْمِ ﴾، قال: وما أول ﴿ بِسْمِ ﴾؟ قال: الباء، فجعل عليه السلام يتكلم فى الباء طول الليل، فلما قرب الفجر قال: لو زادنا الليل لزدنا». وقال عليه السلام فى حديث آخر: «لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً فى تفسير فاتحة الكتاب».

ثم ساق أحاديث أخرى ثم قال:

«إذا عرفتَ ذلك فقد رأيتَ عكوف أهل الزمان على تفسير مَن لم يرووه عن أهل العصمة سلام الله عليهم الذى أنزل التنزيل والتأويل فى بيوتهم وأوتوا من العلم ما لم يؤته غيرهم، بل كان يجب التوقف حتى يأتى تأويل عنهم لأن علم التنزيل والتأويل فى أيديهم مما جاء عنهم عليهم السلام فهو النور والهدى، وما جاء عن غيرهم فهو الظلمة والعمى، والعجب كل العجب من علماء علمى المعانى والبيان حيث زعموا أن معرفة هذين العلمين يطلع على مكنون سر الله جُلَّ جلاله من تأويل القرآن، قال بعض أئمتهم: ويل، ثم ويل، ثم ويل لمن تعاطى التفسير وهو فى هذين العلمين راجل، وذلك أنهم ذكروا أن العلمين مأخوذان من استقراء تراكيب كلام العرب البلغاء، باحثان عن مقتضيات الأحوال والمقام كالحذف، والإضمار، والفصل، والوصل، والحقيقة، والمجاز، وغير ذلك.

ولا ريب أن محل ذلك من كتاب الله جَلَّ جلاله يحتاج معرفته إلى العلم به من

أهل التنزيل والتأويل، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين علَّمهم الله سبحانه وتعالى فلا ينبغى معرفة ذلك إلا منهم، ومَن تعاطى معرفته من غيرهم ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنَّى تُصرفون؟

« وقد كنت أولاً قد جمعت فى كتاب « الهادى » كثيراً من تفسير أهل البيت عليهم السلام قبل عثورى على تفسير الشيخ الثقة محمد بن مسعود العياشى. وتفسير الشيخ الثقة محمد بن العباس بن ماهيار المعروف بابن الحجام ما ذكره عنه الشيخ الفاضل شرف الدين النجفى وغيرهما من الكتب الآتى ذكرها فى الباب الخامس عشر فى ذكر الكتب المأخوذ منها الكتاب وذكر مصنفيها فى مقدمة الكتاب، وهذه الكتب من الكتب المعتمَد عليها، والمعوّل والمرجع إليها، مصنفوها مشايخ معتبرون، وعلماء منتجبون.

« وربما ذكرت فى الكتاب التفسير عن ابن عباس على قلَّة إذ هو تلميذ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وربما ذكرت التفسير من طريق الجمهور إذا كان موافقاً لرواية أهل البيت عليهم السلام، أو كان فى فضل أهل البيت عليهم السلام.. عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال: « القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع حلال، وربع حرام، وربع فرائض وأحكام، والله أنزل فينا كرائم القرآن ». والعجب من مصنفى تفسير الجمهور مع روايتهم هذه الرواية أنهم لم يذكروا إلا القليل فى تفاسيرهم من فضل أهل البيت ولا سيما متأخرى [هكذا] مفسريهم كصاحب الكشاف والبيضاوى.

« ثم إن لم أعثر على تفسير الآية من صريح رواية مسند عن أهل البيت ذكرت ما ذكره الشيخ أبو الحسن علىّ بن إبراهيم الثقة فى تفسيره، إذ هو منسوب إلى مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام.

« وكتابى هذا يطلعك على كثير من أسرار علم القرآن، ويرشدك إلى ما جهله متعاطى التفسير من أهل الزمان، ويوضح لك عن ما ذكره من العلوم الشرعية والقصص والأخبار النبوية وفضائل أهل البيت الإمامية، إذ صار كتاباً شافياً ودستوراً وافياً ومرجعاً كافياً، حُجَّة فى الزمان، وعيناً من الأعيان، إذ هو مأخوذ من تأويل أهل التنزيل والتأويل الذين نزل الوحى فى دارهم عن جبريل عن الجليل، أهل بيت الرحمة، ومنبع العلم والحكمة، صلى الله عليهم أجمعين ».

ثم ذكر المؤلف أنه ألَّف تفسيره خدمة للسلطان شاه بهادر خان الذى أثنى عليه بالغ الثناء، ووصل نسبه بنسب المصطفى عليه السلام، ثم قال: « واعلم أيها الراغب فيما جاء عن أهل البيت عليهم السلام من التفسير، والطالب لما سنح منهم من الحق المنير، أنى قد جمعت ما فى تفسير « الهادى ومصباح النادى » الذى ألَّفته أولاً إلى زيادات هذا الكتاب ليعم النفع ويسهل أخذه على الطلاب، إن فى ذلك لعبرة لأولى

الألباب، وشفاء للمؤمنين، ونوراً لمن استضاء به منْ خُلَّص الأصحاب، فهو كتاب عليه المعوَّل، وإليه المرجع لا تفاسير الجمهور، فهذا التفسير الظل وتفاسيرهم الحرور.

«فيقول مؤلفه فقيراً إلى الله الغنى، عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسينى البحراني: إنى جعلت قبل المقصود مقدمة فيها أبواب تشتمل على فوائد في الكتاب، وسميته «البرهان فى تفسير القرآن» وهو قد اشتمل على كثير من أهل البيت عليهم السلام، الذين نزل القرآن فى منازلهم، فمرجع تنزيله وتأويله إليهم، والله سبحانه نسأل أن يجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

ثم ذكر عدة أبواب :

الباب الأول: فى فضل العالم والمتعلم.

والباب الثانى: فى فضل القرآن.

والباب الثالث: فى الثقلين وهما: كتاب الله والعترة.

(ويعنى بالعترة الأئمة الإثنى عشر كما صرّح بذلك فى الحديث الثالث رواية عن علىّ، وقيل: أهل بيت النبى ﷺ عامة).

والباب الرابع: فى معنى الثقلين من طريق المخالفين وفى أنه ما من شىء يحتاج إليه العباد إلا وهو فى القرآن وفيه تبيان كل شىء.

والباب الخامس: فى أن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا الأئمة، عليهم السلام وعندهم تأويله، وذكر أحاديث منها: عن أبى عبد الله قال: «إنَّا أهل بيت لم ينبعث منا إلا مَن يعلم كتابه من أوله إلى آخره».

وعن أبى عبد الله أيضاً قال: «والله إنى لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه فى كفى، فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله تعالىٰ: ﴿ فيه تبيان كل شىء ﴾ [1]».

وعن يعقوب بن جعفر قال: «كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة، فقال له رجل: إنك لتفسر من كتاب الله ما لم يُسمع، فقال: علينا نزل قبل الناس ولنا فُسر قبل أن يُفسر فى الناس، فنحن نعلم حلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، وسفريه وحضريه، وفى أى ليلة نزلت من آية، وفيمن نزلت، فنحن حكماء الله فى أرضه، وشهداؤه على خلقه، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]، فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه، فهذا قد أنهيته». وعن أبى عبد الله قال: «إنَّا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا مَن يعلم كتابه من أوله إلى آخره، وإن عندنا من حلاله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدِّث به أحداً».

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

والباب السادس: فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى والنهى عن الجدال، ويروى فيه عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر: بلغنى أنك تفسِّر القرآن. قال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر: فإن كنتَ تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسائلك، قال قتادة: سل، قال: أخبرنى عن قول الله عزَّ وجَلَّ فى سبأ: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨].

فقال قتادة: ذاك مَن خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر: ناشدتك الله يا قتادة، هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وكراء حلال يريد هذا البيت فتُقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويُضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللَّهم نعم، فقال أبو جعفر: ويحك قتادة، إن كنتَ إنما فسَّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة، ذلك مَن خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عزَّ وجَلَّ: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ولم يعن البيت فيقول: : «إليه»، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التى مَن هواها قُبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة، فإن كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جَرَم والله لا فسرتها إلا هكذا، فقال أبو جعفر: ويحك يا قتادة، إنما يعرف القرآن مَن خوطبَ به» (جـ١ ص ١٨).

والباب السابع: فى أن القرآن له ظهر وبطن، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، والنبى ﷺ وأهل بيته يعلمون ذلك وهم الراسخون فى العلم، وروى فيه عن أبى جابر قال: سألتُ أبا جعفر عن شىء فى تفسير القرآن فأجابنى، ثم سألته ثانية فأجابنى بجواب آخر، فقلت: جُعلتُ فداك، كنتَ أجبتَ فى هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال لى: يا جابر، إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها فى شىء وأوسطها فى شىء، وآخرها فى شىء، وهو كلام متصل ينصرف على وجوه» (جـ١ ص ٢٠).

«وروى فيه أيضاً عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن الأحاديث تختلف عنكم، قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، وأدنَ للإمام أن يفتى على سبعة وجوه، ثم قال: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩] (جـ١ ص ٢١).

والباب الثامن: فيما نزل عليه القرآن من الأقسام. وروى فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنزل القرآن أثلاثاً، ثلث فينا وفى عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام» (جـ ١ ص ٢١).

والباب التاسع: فى أن القرآن نزل بـ «إياك أعنى واسمعى يا جارة». وروى فيه عن أبى عبد الله قال: نزل القرآن بـ: «إياك أعنى واسمعى يا جارة»، ثم قال الكلينى: وفى رواية أخرى عن أبى عبد الله عليه السلام، معناه: ما عاتب الله عَزَّ وجَلَّ به نبيه ﷺ فهو يعنى به ما قد مضى فى القرآن مثل قوله: ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٤] (جـ ١ ص ٢٢).

والباب العاشر: فيما عنى به الأئمة فى القرآن، وروى فيه عن أبى جعفر قال: «إذا سمعتَ الله ذكر أحداً من هذه الأمة بخير فهم نحن، وإذا سمعتَ الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا» (جـ ١ ص ٢٢).

«وروى عن أبى عبد الله قال: لو قرىء القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين» (جـ ١ ص ٢٢).

«وعن أبى جعفر قال: لولا أنْ زِيدَ في كتاب الله ونقص منه ما خفى حقنا على ذى الحجى، ولو قد قام قائمنا فنطق صدَّقه القرآن» (جـ ١ ص ٢٢).

«روى عن داود بن فرقد قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة فى كتاب الله عزَّ وجَلَّ، وأنتم الزكاة، وأنتم الحج؟ فقال: يا داود، نحن الصلاة فى كتاب الله عزَّ وجَلَّ، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قِبْلة الله، ونحن وجه الله، ونحن الآيات، ونحن البيِّنات، وعدونا فى كتاب الله الفحشاء والمنكر والبغى والخمر والميسر والأنصاب والأزلام والأصنام والأوثان والجبت والطاغوت والميتة والدم ولحم الخنزير، يا داود؛ إنَّ الله خلقنا وأكرم خلقنا، وفضَّلنا، وجعلنا أمناءه وحفظته وخُزَّانه على ما فى السموات وما فى الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداء، فسمانا فى كتابه وكنَّى عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدو[1]، وسمى أضدادنا وأعداءنا فى كتابه، وكنّى عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال فى كتابه فى أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين» (جـ ١ ص ٢٣).

والباب الحادى عشر: فى معنى الباب العاشر.

والباب الثانى عشر: فى معنى الثَقَلين والخليفتين من طريق المخالفين.

(١) كأنه أيضاً يأخذ بالتقية !!

والباب الثالث عشر: في العلّة التى من أجلها انّ القرآن باللسان العربى، وأن المعجز فى نظمه، ولِمَ صار جديداً علىٰ مر الأزمان.

والباب الرابع عشر: فى أن كل حديث لا يوافق القرآن فهو مردود.

والباب الخامس عشر: فى أول سورة نزلت وآخر سورة.

والباب السادس عشر: فى ذكر الكتب المأخوذ منها الكتاب، وعدَّ ما يزيد عن ستين كتاباً منها ما هو في التفسير كتفسير الحسن العسكرى، والطوسى، والطبرسى، والزمخشرى، ومنها ما هو فى الحديث كالكافى، ومَن لا يحضره الفقيه، والاستبصار، ومنها ما هو في المناقب، ومنها ما هو فى الزهد والمواعظ.

ثم ذكر انّ فى القرآن ناسخا ومنسوخا، ومحكما ومتشابها، وعاما وخاصا... الخ وذكر امثلة لكل ذلك، كما ذكر ان في القرآن ما هو علي خلاف ما أنزل الله وضرب مثلا لذلك قوله تعالي: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ،قال أبو عبد الله لقارئ هذه الآية: خير أمة يقتلون أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين ابني علي عليهم السلام؟ فقيل له: وكيف أنزلت يا بن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت: « كنتم خير أئمة أخرجت للناس » ألا تري مدح الله لهم في آخر الآية: ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾. (جـ ١ ص ٣٤)

● ومثله أنه قرئ علي أبي عبد الله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٣٤]، فقال أبو عبد الله: لقد سألوا الله عظيما أن يجعلهم المتقين إماما، فقيل له: يا بن رسول الله، كيف نزلت هذه الآية؟ فقال: إنما نزلت: « الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إماما ».

وقوله: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]، فقال أبو عبد الله: كيف يحفظ الشئ من أمر الله؟ وكيف يكون المعقب من بين يديه؟ فقيل له: وكيف يكون ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: إنما نزلت: « له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ». قال: ومثله كثير » (جـ ١ ص ٣٤).

● ثم ذكر ما هو محرف في القرآن، وذكر من أمثلة ذلك قوله: « لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي » – كذا أنزلت – ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾(١).

---

(١) يشير إلي قوله تعالي: ﴿ لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦]

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَه ﴾[المائدة:٦٧] (١).

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ [النساء:١٦٨] (٢).

وقوله: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٧] (٣).

وقوله: «ولو تري الذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت» [الأنعام:٩٣] (٤).. قال: ومثله كثير نذكره في مواضعه» (جـ١ ص ٣٤).

● ثم ذكر أن بعض الآيات في سورة وتمامها في سورة أخري، فقوله في سورة البقرة في قصة بني إسرائيل «حين عبر بهم موسي البحر وأغرق الله فرعون وأصحابه وأنزل موسي بني إسرائيل [هكذا] وأنزل عليهم المن والسلوي فقالوا لموسي: ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة:٦١]، فقال لهم موسي: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [البقرة:٦١]، فقالوا له: ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة:٢٢]، فنصف الآية في سورة البقرة، ونصفها في سورة المائدة».

(جـ١، ص٣٤)

وقوله: ﴿ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥]، فرد عليهم: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٨]، فنصف الآية في سورة الفرقان ونصفها في سورة العنكبوت. قال: ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله».

● ثم ذكر أن في القرآن ردا علي الزنادقة والثنوية وعبدة الأوثان والدهرية والمعتزلة و...و...و... وعلي من أنكر الرجعة، وهنا عرض لقوله تعالي: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ [النمل:٨٣]، فروي عن حماد عن أبي عبد الله قال: ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾، يقولون إنها في القيامة؟ قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، يحشر الله في القيامة من كل أمة فوجا ويدع الباقين؟ إنما

---

(١) يشير إلي قوله تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾.

(٢) يشير إلي قوله تعالي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾.

(٣) يشير إلي قوله تعالي ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

(٤) يشير إلي قوله تعالي: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾.

آية يوم القيامة قوله: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٧]، وقوله: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [الانبياء:٩٥]، فقال الصادق عليه السلام: كل قرية أهلك أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، والذين محضوا الإيمان محضا وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضا يرجعون» (جـ١ ص ٣٩).

«روي عن أبي عبد الله في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران:٨١]، قال: ما بعث الله نبيا من لدن آدم إلا ويرجع إلي الدنيا فينصر أمير المؤمنين وهو قوله: «لتؤمنن به» يعني رسول الله ﷺ، «ولتنصرنه» يعني أمير المؤمنين»

(جـ١ ص ٤٠).

«وروي عن معمر بن شمر قال: ذكر عند أبي جعفر عليه السلام جابر فقال: رحم الله جابرا، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥]، يعني الرجعة، قال: ومثله كثير نذكره في مواضعه» (جـ١ ص ٤٠).

وفي خاتمة الكتاب ذكر ابوابا هي:

اتباب الاول: في أن المعوذتين من القرآن.

والباب الثاني: في رد متشابه القرآن إلي تأويله، وساق امثلة كثيرة من الآيات التي توهم الاختلاف والتناقض ووفق بينها بما يتفق مع اللغة و الشرع تارة، وبما يتفق مع مذهبه الشيعي تارة أخري (١).

والباب الثالث: في فضل القرآن، وساق فيه رواية عن علي عليه السلام أنه قال: «والذي بعث محمدا ﷺ بالحق، واكرم أهل بيته، ما من شئ تطلبونه من حرز: من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه». ثم ذكر أن رجالا سألوا عليا عما يؤمنهم من الغرق والحرق وغير ذلك فكان عليه السلام يعلم كل واحد من القرآن ما يدفع عنه هذا المكروه، في روايات متعددة.

(جـ٤ ص ٥٤٦ – ٥٤٧).

والباب الرابع: في أن حديث أهل البيت صعب مستصعب، وساق روايات متعددة

---

(١) نقل المؤلف هذا الباب من كتاب الاحتجاج عن أبي طالب الطبرسي، قال: جاء بعض الزنادقة إلي أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له: لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم، فقال له عليه السلام: وما هو؟ قال قوله: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف: ٥١]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]... إلخ (جـ٣ ص ٥٣٢).

في هذا المعني، منها: «عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ« إن حديث آل محمد ﷺ صعب متصعب لا يؤمن به إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد ﷺ فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلي الله وإلي الرسول وإلي العالم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم بشئ منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر» (جـ ٤ ص ٥٤٧).

والباب الخامس: في وجوب التسليم لأهل البيت فيما جاء عنهم عليهم السلام وساق روايات كثيرة... منها:

«عن أبي سفيان بن السمط قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، يأتينا الرجل من قبلكم يعرف بالكذب فيحدث بالحديث فنستبشعه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يقول لك أني قلت الليل إنه نهار والنهار إنه ليل؟ قلت: لا، قال: «فإن قال لك هذا أني قلته فلا تكذب به فإنك إنما تكذبني» (جـ٤ ص ٥٤٨).

«وروي عن علي بن سويد السائي. عن أبي الحسن الأول عليه السلام أنه كتب إليه في رسالته: ولا تقل لما يبلغك عنا أو ينسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدري لم قلناه وعلي أي وجه وضعناه».

(جـ ٤ ص ٥٤٨).

«وروي عن كامل التمار عن أبي جعفر قال: كنت عنده فهو يحدثني إذ نكس رأسه إلي الأرض فقال: قد أفلح المسلّمون [1]، إن المسلمين هم النجباء، يا كامل: الناس كلهم بهائم إلا قليلا من المؤمنين، والمؤمن غريب» (جـ ٤ ص ٥٤٩).

ثم قال المؤلف:

« ثم اعلم أيها الأخ في الدين، والطالب للحق المستبين، والراغب في علوم أهل اليقين محمد وآله والأئمة الراشدين والأمناء المعصومين حجة الله علي الخلق أجمعين، وأفضل الأولين والآخرين، فقد اشتمل الكتاب علي كثير من الروايات عنهم عليهم السلام في تفسير كتاب الله العزيز، وانطوي علي الجم الغفير من فضلهم وما نزل فيهم عليهم السلام واحتوي علي كثير من علوم الأحكام والآداب، وقصص الأنبياء وغير ذلك مما لا يحتويه كتاب، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب، فليس لأحد أن يعمل بتفسير المخالفين بعد إظهار الحق وزهوق الباطل، والالتماس من الإخوان الناظرين في هذا الكتاب إن صح عندهم ما هو أصح من الأصول التي أخذت منها هذا الكتاب فليصلحوا ما تبين فيه من الخلل، لأن بعض الكتب التي أخذت منها هذا الكتاب

---

(١) يجر اللام مع تشديدها.

كتفسير علي بن إبراهيم وكان يحضرني فيه نسخ عديدة، والعياشي وكان يحضرني منه نسختان من أول القرآن إلي آخر سورة الكهف فأصلحت وصححت بحسب الإمكان من ذلك، والله سبحانه هو الموفق» (جـ٤ ص ٥٥١).

ثم ذكر اصطلاحاته ورموزه إلي من نقل عنهم، ثم ذكر أن كتابه هذا مبني علي كتب المشايخ الثلاثة: الشيخ محمد بن يعقوب، والشيخ محمد بن علي بن الحسين ابن بابويه، والشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ثم ذكر طريقه إليهم.

وفي آخر الكتاب ما نصه:

«وكان الفراغ من تسويد هذا الكتاب المبارك المسمي بـ« البرهان في تفسير القرآن» علي يد مؤلفه الفهامة العلامة بحر العلوم الكامل العالم السيد هاشم ابن السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الحسيني البحراني لخزانة مولفه (هكذا) وفقه الله تعالي لتأليف مثله بحق محمد وآله - باليوم الثالث من شهر ذي الحجة الحرام سنة الخامسة والتسعين بعد الألف من الهجرة المحمدية علي مهاجرها وآله الصلاة والسلام» (جـ ٤ ص ٥٥١ - ٥٥٢).

* * *

● **الكتاب في جملته تفسير بالرواية عن آل البيت :**

من سورة الفاتحة

« روي عن أبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ [الفاتحة : ٦]، قال : الطريق هو معرفة أمير المؤمنين، ومعرفة الإمام » .

(جـ ١ ص٤٦) .

– « وفي رواية أخرى عنه قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته ، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله : ﴿ **وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الزخرف : ٤] وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله : ﴿ **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ (جـ ١ ص ٤٧) .

– « وعن أبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ [الفاتحة : ٧] ،قال : المغضوب عليهم الغصاب ، والضالين الشكاك الذين لا يعرفون الإمام » (جـ١ ص ٤٧) .

* * *

سورة البقرة

« عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة : ١ – ٢] . قال : الكتاب علّي لاشك فيه ، ﴿ **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** ﴾ ، قال : فيه تبيان لشيعتنا » (جـ ١ ص ٥٣) .

– « وعنه في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** ﴾ [البقرة : ٣] قال : من آمن بقيام القائم عليه السلام أنه حق » (جـ ١ ص ٥٣) .

– « وفي رواية عن الصادق : أن الغيب هو الحجة الغائب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ** ﴾ [يونس : ٢٠] (جـ١ ص ٥٣ – ٥٤) .

– « وعند قوله تعالى : ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة : ٧] ، روي عن الإمام العسكري قال : قال رسول الله ﷺ : « أيكم وقي بنفسه نفس رجل مؤمن البارحة » ؟ فقال علي عليه السلام : أنا هو يا رسول الله ، وقيت بنفسي نفس ثابت بن قيس ابن شماس الأنصاري .

فقال رسول الله ﷺ : « حدث بالقصة إخوانك المؤمنين ولا تكشف عن اسم المنافقين الكائدين لنا فقد كفاكم الله شرهم وأخرهم للتوبة لعلهم يتذكروا أو يخشوا » .

فقال علي عليه السلام : إنني بينا أسير في بني فلان بظاهر المدينة وبين يدي بعيدا

مني ثابت بن قيس، إذ بلغ بئرا عارية قديمة بعيدة القعر، وهناك رجل من المنافقين فدفعه ليرميه في البئر فتماسك ثابت بي، ثم عاد فدفعه والرجل لا يشعر بي حتي وصلت إليه وقد اندفع ثابت في البئر، فكرهت أن أشتغل بطلب المنافقين خوفا علي ثابت فوقعت في البئر لعلي آخذه، فنظرت فإذا أنا قد سبقته إلي قرار البئر.

فقال رسول الله ﷺ: «وكيف لا تسبقه وأنت أرزن منه، ولو لم يكن من رزانتك إلا ما في جوفك من علم الأولين والآخرين الذي أودع الله ورسوله لكان من حقك أن تكون أرزن من كل شئ، فكيف كان حالك وحال ثابت»؟

قال: يا رسول الله، فصرت إلي البئر واستقررت قائما وكان ذلك أسهل علي وأخف علي رجلي من خطاي التي كنت أخطوها رويدا رويدا، ثم جاء ثابت فانحدر فوقع علي يدي وقد بسطتها إليه، وخشيت أن يضرني سقوطه علي أو يضره، فما كان إلا كطاقة ريحان تناولتها بيدي، ثم نظرت فإذا ذلك المنافق ومعه آخران علي شفير البئر وهو يقول لهما: أردنا واحدا فصارا اثنين فجاءوا بصخرة فيها مائة «من» فأرسلوها فخشيت أن تصيب ثابتا فاحتضنته وجعلت رأسه إلي صدري وانحنيت عليه فوقعت الصخرة علي مؤخر رأسي فما كانت إلا كترويحة بمروحة تروحت بها في حمارة القيظ، ثم جاءوا بصخرة أخري فيها قدر ثلاثمائة «من» فأرسلوها علينا وانحنيت علي ثابت فأصابت مؤخر رأسي فكان كماء صب علي رأسي وبدني في يوم شديد الحر، ثم جاءوا بصخرة ثالثة فيها قدر خمسمائة «مَن» يديرونها علي الأرض لا يمكنهم أن يقلبوها فأرسلوها علينا فانحنيت علي ثابت فأصابت مؤخر رأسي وظهري فكانت كثوب ناعم صببته علي بدني ولبسته فنعمت به، فسمعتهم يقولون: لو أن لابن أبي طالب وابن قيس مائة ألف روح ما نجت منها واحدة من بلاء هذه الصخور، ثم انصرفوا فدفع الله عنا شرهم، فأذن الله لشفير البئر فانحط، ولقرار البئر فارتفع، فاستوي القرار والشفير بعد بالأرض فخطونا وخرجنا.

فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، إن الله عز وجل أوجب لك من الفضائل والثواب ما لا يعرفه غيره، ينادي مناد يوم القيامة: أين محبو علي بن أبي طالب؟ فيقوم قوم من الصالحين فيقال لهم: خذوا بأيدي من شئتم من عرصات يوم القيامة فأدخلوهم الجنة، وأقل رجل منهم ينجو بشفاعته من أهل تلك العرصات ألف ألف رجل، ثم ينادي مناد: أين البقية من محبي علي بن أبي طالب؟ فيقوم قوم مقتصدون فيقال لهم: تمنوا علي الله ما شئتم فيتمنون فيفعل بكل واحد منهم ما تمناه ثم يضعف له مائة ألف ضعف، ثم ينادي مناد: أين البقية من محبي علي بن أبي طالب؟ فيقوم قوم ظالمون لأنفسهم معتدون عليها، ويقال: أين المبغضون لعلي بن أبي طالب؟

فيؤتي بهم جم غفير وعدد كثير، فيجعل كل ألف من هؤلاء فداء لواحد من محبي علي بن أبي طالب عليه السلام ليدخلوا الجنة، فينجي الله عز وجل محبيك ويجعل أعداءهم فداءهم.

ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «انظر» فنظر إلي عبد الله ابن أبي وإلي سبعة من اليهود، قال: قد شاهدت، ختم الله علي قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فقال رسول الله ﷺ: «أنت يا علي أفضل شهداء الله في الأرض بعد محمد رسول الله ﷺ»، قال فذلك قوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها، ويبصرها رسول الله ﷺ، ويبصرها خير خلق الله بعده علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧]: في الآخرة: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠] من كفرهم بالله وكفرهم بمحمد رسول الله ﷺ».

(جـ١ ص ٥٨- ٥٩)

- وعند قوله تعالي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، يروي عن جعفر الصادق أنه قال: إن رسول الله ﷺ لما أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف، ثم قال: «يا عباد الله، انسبوني»، فقالوا: أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ثم قال: «أيها الناس الست أولي بكم من أنفسكم، فأنا مولاكم أولي بكم من أنفسكم»؟ قالوا: بلي يا رسول الله، فنظر رسول الله ﷺ إلي السماء فقال: «اللهم إني أستشهدك بقول هؤلاء» - ويقول ذلك ثلاثا - ثم قال: «ألا فمن كنت مولاه وأولي به، فهذا مولاه وأولي به، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، ثم قال: «قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين»، فقام ففعل ذلك وبايع له، ثم قال: «قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين»، فقام وبايع له، ثم قال بعد ذلك لتمام التسعة ثم لرؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب عليه اللعنة [1].

---

(١) مرة ثانية نعود لنؤكد أنه لا يجوز سب الصحابة رضوان الله عليهم - فضلا عن لعنهم لقوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه» (متفق عليه).

فضلا عن أنه قد وردت في كتب السنن الكثير من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر علي رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش بكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر رضي الله عنه قمن يبتدون الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، ورسول الله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله! قال: «عجبت من =

= هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: فأنت يا رسو ل الله كنت أحق أن يهبن. ثم قال: أي عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» (متفق عليه).

وقد شهد له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وضع عمر علي سريره فتكنفه الناس، يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي، فترحم علي عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقي الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» (متفق عليه).

كيف يجيز هؤلاء القوم لأنفسهم سب عمر رضي الله عنهم ولعنه، وقد مات الرسول ﷺ وهو عنه راض؟ (البلتاجي).

وقد دأبت الشيعة علس سب الصحابة رضوان الله عليهم – ممن خالفوا عليا كرم الله وجهه – وطعنوا فيهم...

فهذا ملا محسن الكاشي يطعن في تفسيره علي أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ، ويرميهم بما لايليق بمؤمن فضلا عن صحابي جاهد مع رسول الله ﷺ وبذل في سبيل نصرته دمه وماله، كما يطعن في بني أمية ويرميهم بكل نقيصة، وهو في حملته هذه مدفوع بدافع الخصومة المذهبية والنزعة الشيعية.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالي: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤ – ٨٥]... نجده يفسر الآية تفسيرا مختصراً مقبولاً، ثم يروي عن القمي: «أنها نزلت في أبي ذر – رحمة الله عليه – وفيما فعل به عثمان بن عفان وكان سبب ذلك: أنه لما أمر عثمان بنفي أبي ذر – رحمة الله عليه – إلي الربذة، دخل عليه أبو ذر وكان عليلا وهو متكئ علي عصاه، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم أتته من بعض النواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال: حمل إلينا من بعض الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضم إليها مثلها ثم أري فيها رأيي.. قال أبو ذر: يا عثمان، أيما أكثر؟ مائة ألف درهم أم أربعة دنانير؟ قال عثمان: بل مائة ألف درهم، فقال: أما تذكر إذ أنا وأنت دخلنا علي رسول الله ﷺ عشاء فوجدناه كئيبا حزينا فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكا مستبشرا، فقلت له: بأبي أنت وأمي.... دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيبا حزينا، وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكا مستبشرا، فقال: نعم.. قد بقي عندي من فئ المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي، وقد قسمتها اليوم فاسترحت.، فنظر عثمان =

= إلي كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق، ما تقول في رجل ادي زكاة ماله المفروضة.. هل يجب عليه فيها بعد ذلك شئ؟ فقال: لا ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شئ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، فقال: يابن اليهودية المشركة، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين؟ قول الله عز وجل أصدق من قولك حيث قال ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.. إلي قوله: ﴿ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].. قال عثمان: يا أبا ذر، إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله ﷺ لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان. ويلك... أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ فقال: «لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك».. أما عقلي فقد بقي منه ما أذكرني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قاله فيك وفي قومك، قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ فيّ وفي قومي؟ قال: سمعته يقول - وهو قوله ﷺ - إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثون رجلا صيروا مال الله دولا، وكتاب الله دغلا، وعباد الله خولا، والصالحين حزبا، والفاسقين حزبا» قال عثمان: يا معشر أصحاب محمد، هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول الله؟ قالوا لا، ما سمعنا هذا من رسول الله ﷺ. قال عثمان: ادعوا عليا.. فجاء أمير المؤمنين فقال له عثمان: يا أبا الحسن، أسمع ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال أمير المؤمنين يا عثمان لا تقل كذابا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء علي ذي لهجة أصدق من أبي ذر». قال أصحاب رسول الله: صدق علي، سمعنا هذا من رسول الله، فعند ذلك بكي أبو ذر، وقال: ويلكم.. كلكم قد مد عنقه إلي هذا الماء، ظننتم أني أكذب علي رسول الله ﷺ، ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا، قال: نعم.. خلفت حبيبي رسول الله ﷺ وهو علي بعيره، وأنتم قد أحدثتم أحداثا كثيرة، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني. فقال عثمان: يا أبا ذر، اسألك بحق رسول الله إلا ما أخبرتني عما أنا سائلك عنه؟ فقال أبو ذر: والله لو لم تسألني بحق رسول الله ﷺ لأخبرتك، فقال: أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقال: مكة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتي يأتيني الموت، فقال: لا ولا كرامة لك، قال: المدينة حرم رسول الله، فقال: لا ولا كرامة لك، قال: فسكت أبو ذر، فقال: وأي البلاد أبغض إليك أن تكون بها؟ قال: الربذة التي كنت بها علي غير دين الإسلام، فقال عثمان: سر إليها، فقال أبو ذر: قد سألتني فصدقتك، وأنا أسألك فاصدقني، قال: نعم، قال: أخبرني لو أنك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلي المشركين فأسروني وقالوا لا نفديه إلا بثلث ما تملك؟ قال: كنت أفديك قال: فإن قالوا: لا نفديه إلا بكل ما تملك قال: كنت أفديك، فقال أبو ذر: الله أكبر... قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوما: «يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فتقول مكة حرم الله وحرم رسوله.... أعبد الله فيها حتي يأتيني الموت، فيقال: لا ولا كرامة لك، فتقول المدينة حرم رسول الله فيقال: لا ولا كرامة لك، ثم يقال لك فأي البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ فتقول: الربذة التي كنت بها علي غير دين الإسلام، فيقال لك: سر إليها»، فقلت: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال: والذي نفسي بيده إنه لكائن»، فقلت: يا رسول الله أفلا أضع سيفي علي عاتقي فأضرب به قدما قدما؟ قال: «لا... اسمع واسكت ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله فيك وفي عثمان خصمك آية، فقلت وما هي يا رسول الله؟ فقال قول الله.... وتلا الآية». (جـ ١ ص ٤٢ - ٤٣) =

= ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ . . .الآية [التوبة: ٤٠]، تجده لا يعترف بهذه المنقبة لأبي بكر، رضي الله عنه بل ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغمزا وطعنا على أبي بكر، وذلك حيث يقول ما نصه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: وهو أبو بكر ﴿لا تَحْزَنْ﴾: لا تخف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: بالعصمة والمعونة. . في الكافي عن الباقر أن رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإن الله معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، وإلى جعفر وأصحابه يغوصون فأضمر تلك الساعة أنه ساحر. . ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: أمنته التي تسكن إليها القلوب ﴿عَلَيْهِ﴾ . . في الكافي عن الرضا: أنه قرأها «على رسوله» قيل له: هكذا؟ قال: هكذا نقرؤها، وهكذا تنزيلها. والعياشي عنه: إنهم يحتجون علينا بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ وما لهم في ذلك من حجة، فوالله لقد قال الله: «فأنزل الله سكينته على رسوله» وماذكره فيها بخبر، قيل: هكذا تقرأونها؟ قال: هكذا قرأتها» (جـ ١ ص ٢٥٧).

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الآيات إلى قوله ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ١ - ٣]. . نراه ينقل عن القمي في سبب نزول هذه الآية: «أن رسول الله ﷺ كان في بعض بيوت نسائه، وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه، وكانت ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها، فتناول رسول الله مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت، وأقبلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسو الله. . في يومي؟ وفي داري وعلى فراشي؟ فاستحي رسول الله منها فقال: كفى فقد حرمت مارية على نفسي، ولا أطؤها بعد هذا أبدا، وأنا أفضي إليك سرا إن أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقالت: نعم. . ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي، ثم بعده أبوك، فقالت: ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾؟ قال: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشئ ولا أثق بقولها فاسأل أنت حفصة، فجاء إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة، فأنكرت ذلك وقالت: ما قلت لها من ذلك شيئا، فقال لها عمر: إن ذلك حق فأخبرتنا حتى نتقدم فيه، فقالت: نعم. . . . قد قاله رسول الله ﷺ، فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله، فنزل جبريل على رسول الله بهذه السورة، قال: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: يعني أظهره على ما أخبرت به وما هموا به من قتله. . ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾: أخبرها وقال: لم أخبرت بما أخبرتك؟ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾. . قال: لم يخبرهم بما يعلم مما هموا به من قتله».

(جـ ٢ ص ٢٣٠)

ويطعن السيد عبد الله العلوي الشهير بـ «شبر» على الصحابة ويرميهم بالكفر أو ما يقرب منه، ويجردهم من كل فضل نسب إليهم في القرآن تنقيصا لهم، وحطا من قدرهم.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ =

فقال: بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولي كل مؤمن ومؤمنة، ثم تفرقوا عن ذلك وقد وكدت عليهم العهود والمواثيق. ثم إن قوما من متمردي جبابرتهم تواطئوا بينهم إن كان لمحمد ﷺ كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علي عليه السلام ولا يتركونه له، فعرف الله ذلك في قلوبهم، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ويقولون: لقد أقمت علينا أحب خلق الله إلي الله وإليك وإلينا، وكفيتنا مؤنة الظلمة والجبابرة في سياستنا، وعلم الله في قلوبهم خلاف ذلك مواطأة بعضهم لبعض أنهم

= **﴿اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾** .. الآية [التوبة: ٤٠] نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبي ﷺ في هجرته، وهو أبو بكر، ثم يصرح أو يلمح بما ينقص من قدره، أويذهب بفضلة المنسوب إليه والمنوه به في القرآن الكريم فيقول: **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾** : حال أي معه واحد لا غير.. **﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾** : نقب في ثور، وهو جبل بقرب مكة، **﴿إِذْ﴾** بدل ثان **﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾** : ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما قال: **﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾** [الكهف: ٣٧].. **﴿لَا تَحْزَنْ﴾** : فإنه خاف علي نفسه وقبض واضطرب حتي كاد أن يدل عليهما فنهاه عن ذلك. **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** : عالم بنا: **﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾**... إلي قوله: **﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾** [المجادلة: ٧]: أي عالم بهم.. **﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾**: طمأنينته **﴿عَلَيْهِ﴾** : علي الرسول.. وفي إقرائه ﷺ ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفي، وجعل (الهاء) لصاحبه بنفيه كونها للرسول قبل وبعد. (التفسير والمفسرون :جـ٢، ص ١٢١، ١٢٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٦٦، ١٦٧).

ويقول فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي: «بدهي أن هذا الاتجاه في تفسير ما سبق من الآيات، إنما دفع قائليه إليه ما يعتقدون في الإمامية والأئمة.

ولسنا بحاجة إلي الإطالة في إبطال هذا الاتجاه، بعد ما أثبت لنا علماء الحديث ونقاده، أن كل الروايات في ولاية علي ليس لها أساس من الصحة، وأنها من وضع الشيعة أنفسهم ليروجوا بها مذهبهم في الإمامية والأئمة.

ثم ألا تري معي أن ما ذكره البحراني في آخر روايته لحديث الولاية من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «والله لقد تصدقت بأربعين خاتما وأنا راكع لينزل الله في ما نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام فما نزل» فيه رائحة الكذب والافتراء علي عمر رضي الله عنه؟ (الاتجاهات المنحرفة ص ٥٨).

ولا يفوتنا أن ننبه علي أن الكثير من الأحاديث التي يرويها الشيعة في تفاسيرهم عن رسول الله أو عن أهل البيت كشاهد لصحة ما يقولون: هي في الغالب مكذوبة موضوعة لا أصل لها، وقد مر بك الكثير من هذه الروايات، وهي ناطقة علي نفسها بالوضع، فلست في حاجة إلي بيان وضعها بميزان نقد الرواة، إذ نحن في غني عن هذا بعد ما حمل الحديث تكذيب نفسه بنفسه في ثنايا ألفاظه ومعانيه. والمصنف بعد هذا لا يفوته أن يذكر في نهاية تفسير كل سورة من الروايات عن أهل البيت ما يشهد لفضل هذه السورة، وما أعد الله لقارئها من الأجر والثواب، وفي اعتقادي أن هذه الروايات لا تعدو أن تكون مكذوبة كالروايات المنسوبة إلي أبي وابن عباس في فضائل السور.

علي العداوة مقيمون، ولدفع الحق عن مستحقه مؤثرون، فأخبر الله عز وجل محمدا عنهم فقال: يا محمد: ﴿ **من الناس من يقول آمنا بالله** ﴾ الذي أمرك بنصب علي عليه السلام إماما وسائسا لأمتك ومدبرا، ﴿ **وما هم بمؤمنين** ﴾ بذلك ولكنهم مواطئون علي هلاكك وإهلاكه، يواطئون أنفسهم علي التمرد علي علي عليه السلام إن كانت بك كائنة». (جـ١ ص ٥٩).

ثم ساق تفسير الآيات بعد علي هذا النحو الغريب العجيب، وذكر أن «الجبال انقلبت لعلي بن أبي طالب فضة، ثم ذهبا، ثم مسكا وعنبرا وجواهر ويواقيت، ونادته أنها مسخرات له فليأمرها بما يشاء، وأنها نادته بأن له عند الله من الشأن العظيم ما لو سأل الله أن يحط السماء إلي الأرض أو ينقل الأرض إلي السماء لفعل...... وأن هذا كله وغيره وقع أمام القوم وشاهدوه فمرضت قلوبهم بالإضافة إلي مرض أجسامهم لما شاهدوه من فضل علي، فقال الله عند ذلك: ﴿ **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا** ﴾.. إلخ» (جـ١ ص ٦٠، ٦١).

وعند تفسيره لقوله تعالي في سورة البقرة: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧].. قال ما نصه: «علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن معلي بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام أن هذا المثل ضربه الله لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فالبعوضة: أمير المؤمنين عليه السلام، وما فوقها: رسول الله ﷺ، والدليل علي ذلك قوله: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ يعني أمير المؤمنين كما أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم له، ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** ﴾ فرد الله عليهم فقال: ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ** ﴾ في علي ﴿ **وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ** ﴾ يعني من صلة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ﴿ **وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (جـ١ ص ٧٠).

● **انتقام الله والقائم من ذرية قتلة الحسين:**

وعند تفسيره لقوله تعالي في سورة البقرة: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقره: ١٩٣] قال ما نصه: «.. عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالي: ﴿ **فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ قال: أولاد قتلة الحسين عليه السلام».

- «وعن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسي الرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم عليه السلام، قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائها، فقال: هو كذلك، قلت: فقول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ما معناه؟ فقال: صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرضون فعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئا كان كمن أتاه، ولو أن رجلا قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم، قال: فقلت له: بأي شئ يبدأ القائم فيكم؟ [هكذا] قال: يبدأ ببني شيبة ويقطع أيديهم لأنهم سراق بيت الله عز وجل» (جـ١ ص ١٩١).

* * *

سورة آل عمران

● **النقص في القرآن:**

«وعند تفسيره لقوله تعالي في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] قال ما نصه:

«الشيخ في أماليه عن أبي محمد الفحام قال: حدثني محمد بن عيسي عن هارون قال: حدثني جعفر بن محمد عليه السلام يقرأ [هكذا]: «إن الله اصطفي آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد علي العالمين» قال: هكذا نزلت.

«علي بن إبراهيم قال العالم عليه السلام: نزل: «آل عمران وآل محمد علي العالمين» فأسقطوا آل محمدا من الكتاب» (جـ١ ص ٢٧٧).

* * *

سورة النساء

وعند تفسيره لقوله تعالي في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٣٧]، قال ما نصه: «عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل «إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم» [هكذا في الأصل] قال: نزلت في فلان وفلان وفلان؛ آمنوا بالنبي في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم كفروا حيث مضي رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفرا

بأخذهم من بايعهم بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شئ» (جـ١ ص ٤٥١).

* * *

سورة المائدة

وعند قوله تعالي في أول سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١] يقول ما نصه: «عن عكرمة أنه قال: ما أنزل الله جل ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلا ورأسها علي بن أبي طالب عليه السلام».

– «عن عكرمة عن ابن عباس قال: «ما نزلت آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلا وعلي شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في غير مكان، وما ذكر عليا إلا بخير».

– « وفي صحيفة الرضا عليه السلام قال: ليس في القرآن آية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إلا في حقنا».

– « ...عن أبي جعفر في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾، قال: إن رسول الله ﷺ عقد عليهم لعلي عليه السلام بالخلافة في عشرة مواطن، ثم أنزل الله: « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود التي عقدت عليكم لأمير المؤمنين عليه السلام» (جـ١ ص ٤٣١).

– وعند قوله في سورة المائدة: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥] يقول ما نصه: « ...عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عن قول الله تبارك وتعالي: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ قال: تفسيرها في بطن القرآن: ومن يكفر بولاية علي عليه السلام، وعلي هو الإيمان» (جـ١ ص ٤٥٠).

– وعند قوله تعالي في سورة المائدة: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة ٤٧]، قال ما نصه: « ...العياشي عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال: قد فرض الله في الخمس نصيبا لآل محمد فأبي أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسدا وعداوة، وقد قال الله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾، وكان أبو بكر أول من منع من آل محمد حقهم فظلمهم وحمل الناس علي رقابهم، ولما قبض أبو بكر استخلف عمر علي غير شوري من المسلمين ولا رضا من آل محمد فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمد حقهم وصنع ما صنع أبو بكر». (جـ١ ص ٤٧٧ – ٤٧٨)

– وعند تفسيره لقوله تعالي في سورة المائدة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ... الآية [المائدة:٥٥] يقول ما نصه: «...عن أبي جعفر عليه السلام قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال: إن رهطا من اليهود أسلموا، منهم عبد الله بن سلام، وأسيد بن ثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله، إن موسي أوصي إلي يوشع بن نون، فمن وصيك يا رسول الله ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ... إلي قوله: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: «قوموا»، فقاموا وأتوا المسجد فإذا سائل خارج فقال: «يا سائل، ما أعطاك أحد شيئا»؟ قال: نعم؟ هذا الخاتم، قال: «ومن أعطاكه»؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي، قال: «علي أي حال أعطاك»؟ قال: راكعا.. فكبر النبي ﷺ وكبر أهل المسجد، فقال النبي ﷺ: «علي بن أبي طالب وليكم بعدي»، قالوا: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، وبعلي بن أبي طالب وليا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة:٥٦]، فروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: والله لقد تصدقت بأربعين خاتما وأنا راكع لينزل الله فيَّ ما نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، فما نزل».

(جـ ١ ص ٤٨٠).

= وليس بغريب أن يذكروا مثل هذه الروايات المكذوبة في تفاسيرهم بعد ما سوَّدوا كتبهم من أولها بالأحاديث الموضوعة على رسول الله ﷺ وعلى آل بيته عليهم رضوان الله.

كما لا يفوتنا أن نقول: إن الطبرسى – مثلاً – لم يكن صادقاً فى وصفه لكتابه هذا بأنه محجة للمحدِّث، ذلك لأنَّا تتبعناه فوجدناه غير موفق فيما يروى من الأحاديث فى تفسيره، فقد أكثر من ذكر الموضوعات، خصوصاً ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبى ﷺ أو إلى أهل البيت مما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشيعهم. وإذا نحن تتبعنا ما يرويه من الأحاديث فى فضائل السور لوجدناه قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاغترار بما جاء من الأحاديث فى فضائل السور مسنداً إلى أبىّ وغيره، ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وهى أحاديث موضوعة باتفاق أهل العلم.

كذلك لو تتبعنا هذا التفسير لوجدنا صاحبه يروى فى تفسيره من الأحاديث ما يشهد لمذهبه أو يتصل به، وهى أخبار نقرؤها ولا نكاد نرى عليها صبغة الصدق ورواء الحق.

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].. نجد أنه يذكر من الروايات ما هو موضوع على السنة الشيعة، ثم يمر عليها بدون تعقيب منه، مما يدل على أنه يصدقها ويقول بها. فهو بعد أن ذكر أقوالاً أربعة فى معنى هذه الآية نقل عن ابن عباس أنه قال: «لما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلىّ الهادى من بعدى، يا علىّ... بك يهتدى المهتدون». ونقل بسنده إلى أبى بردة الأسلمى أنه قال: «دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعنده علىّ بن أبى طالب، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علىّ بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال: =

= ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ .. ثم ردها إلى صدره، ثم قال: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .. ثم قال: إنك منارة الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرى، وأشهد على ذلك أنك كذلك » (جـ٢ ص ٥).

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] .. نجده يذكر أقوالاً ثلاثة فى معنى هذه الآية: أحدها: لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً إلا التوادد والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح.

وثانيها: أن معناه: إلا أن تودُّونى فى قرابتى منكم وتحفظونى لها.

وثالثا: إلا أن تودوا قرابتى وتحفظونى فيهم .. وهنا يسوق من الروايات عن أهل البيت وغيرهم مما يصرح بأن الذين أمر الله بمودتهم: علىّ وفاطمة وولدهما، ويروى فيما يروى هذا الحديث الغريب الذى نقله من كتاب « شواهد التنزيل لقواعد التفضيل » مرفوعاً إلى أبى أمامة الباهلى .. قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخُلقت أنا وعلىّ من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلىّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمَن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبدَ الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالى، ثم لم يدرك محبتنا كبَّه الله على منخريه فى النار، ثم تلا: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (جـ ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩).

وكثيراً ما يروى الطبرسى فى تفسيره الروايات الإسرائيلية معزوة إلى قائليها ونلاحظ عليه أنه يذكرها بدون أن يعقب عليها .. اللّهم إلا إذا كانت مما يتنافى مع العقيدة، فإنه ينبه على كذب الرواية، ويبين ما فيها من مجافاتها للحق وبُعدها عن الصواب، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ ﴾ ... الآيات [سورة ص: ٢١ - ٢٢] نجده يقول: « واختلف فى استغفار داود من أى شىء كان، إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود، كما أخبر سبحانه عن إبراهيم بقوله: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢]. وأما قوله: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ﴾: فالمعنى: أنّا قبلناه منه وأثبتناه، فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله: ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] .. وقوله: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]. فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل فى جوابه: غفرنا. وهذا قول مَن ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم. ومن جوَّز على الأنبياء الصغائر قال: إن استغفاره كان لذنب صغير وقع منه، ثم إنهم اختلفوا فى ذلك على وجوه:

أحدها: أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضاً فزوجها منه، فقدَّموه على أوريا، فعوتب داود على الدنيا ... عن الجبائى.

وثانيها: أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقُتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملكين.

وثالثها: أنه كان فى شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأته فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج، فلما قُتل أوريا خطب داود امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته أولياءه من أن يخطبوها فعوتب على ذلك.

ورابعها: أن داود كان متشاغلاً بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين فنظر إلى المرأة ليعرفها =

= بعينها وذلك مباح، فمالت نفسه إليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه، فشغله الفكر فى أمرها عن بعض نوافله فعوتب.

وخامسها: أنه عوتب على عجلته فى الحكم قبل التثبت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يحكم عليه قبل ذلك، وإنما أنساه التثبت فى الحكم فزعه من دخولهما عليه فى غير وقت العادة.

وأما ما ذكر فى القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال: يا رب فضَّلتَ علىَّ إبراهيم فاتخذته خليلاً، وفضَّلتَ على موسى فكلمته تكليماً. فقال: يا داود إنَّا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتُلتَ، فقال: نعم يا رب فابتلنى، فبينما هو فى محرابه ذات يوم وقعت حمامة، فأراد أن يأخذها فَطارت إلى كوة المحراب، فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا بامرأة أوريا بن حيان تغتسل فهواها وهَمَّ بتزوجها، فبعث بأوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه أمام التابوت الذى فيه السكينة ففعل ذلك وقُتل، فلما انقضت عدّتها تزوجها وبنى بها فُولدَ له منها سليمان، فبيّنا هو ذات يوم فى محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ... إلى قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ص: ٢٢ - ٢٤]، فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك، فتنبه داود على أنهما مَلكان بعثهما الله إليه فى صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه، مما لا شبهة فى فساده، فإن ذلك مما يقدح فى العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله تعالى الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة مَن لا تُقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع إليه والقبول منه؟ جَلَّ أنبياء الله عن ذلك. وقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال: لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين، حداً للنبوة وحداً للإسلام» (جـ٢ ص ٣٤٩).

والطبرسى مع أنه فى كتابه هذا يفسر القرآن تفسيرا يتمشى مع الظاهر المتبادر إلى الذهن، إلا أنَّا نلاحظ عليه أحياناً أنه يذكر المعانى الباطنية، أو بعبارة أخرى يذكر التفسير الرمزى الذى يقول به الشيعة، وهو وإن كان ناقلاً لهذه الأقوال إلا أنه يرتضيها ولا يرد عليها، وكثيراً ما يؤيدها بأدلة من عنده.

مثال ذلك أنه عندما فسر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ... الآية [النور: ٣٥]، نجده يقول بعد كلام طويل: «واختلف فى هذا المشبه والمشبه به على أقوال... ثم ذكر هذه الأقوال، فكان من جملة ما ذكره هذه الروايات التى لا تعدو أن تكون من وضع الشيعة، وهى ما روى عن الرضا أنه قال: «نحن المشكاة فيها المصباح محمد ﷺ يهدى الله لولايتنا مَن أحب». وما نقله من كتاب التوحيد لأبى جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر فى قوله: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: قال: نور العلم فى صدر النبى ﷺ، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾: الزجاجة صدر علىّ، صار علم النبى إلى صدر علىّ، علّم النبى علياً، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾: نور العلم، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: قال: يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يُسئل، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: أى إمام مؤيَّد بنور العلم والحكمة فى إثر إمام من آل محمد ﷺ، ذلك من النبى آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة. فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله =

وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة" ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾ ... إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، قال ما نصه: « ... عن أبي الجارود قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: فرض الله عَزَّ وجَلَّ على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة، قلت: أتسميهن لى، جعلتُ فداك؟ فقال: الصلاة، وكان الناس لا يدرون كيف يعملون فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلواتهم، ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد، أخبرهم عن زكاتهم مثل ما أخبرتهم عن صلاتهم، ثم نزل الصوم فكان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عاشوراً بعث إلى مَن حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوَّال، ثم نزل الحج فنزل جبريل فقال: أخبرهم عن حجهم مثل ما أخبرتهم عن صلاتهم وزكاتهم وصومهم، ثم نزلت الولاية، وإنما آتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، وكان كمال الدين بولاية عليّ بن أبي طالب فقال عند ذلك رسول الله ﷺ: إنّ أمتي حديثو عهد بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عَزَّ وجَلَّ بتلة أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني [هكذا العبارة بالأصل] فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فأخذ الرسول ﷺ بيد عليّ عليه السلام فقال:

= خلفاء في أرضه، وحججه على خلقه، لا تخل الأرض في كل عصر من واحد منهم، ويدل عليه قول أبي طالب:

أنت الأمير محمد	قرم أغر مسوّد
لمسوّدين أطاهر	كرموا وطاب المولد
أنت السعيد من السعو	د تكنفتك الأسعد
من لدن آدم لم يزل	فينا وصي مرشد
ولقد عرفت صادقاً	والقول لا يتفند
ما زلتَ تنطق بالصوا	ب وأنت طفل أمرد

تحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان، شجرة أصلها النبوة، وفروعها الإمامية، وأغصانها التنزيل، وأوراقها التأويل، وخدمها جبريل وميكائيل».

« يا أيها الناس، إنه لم يكن نبى من الأنبياء فيمَن كان قبلى إلا وقد عمَّره الله تعالى ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أدْعَى فأجيب، وأنا مسئول وأنتم مسئولون، فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلَّغْتَ ونصحتَ وأديتَ ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين. فقال: « اللَّهم اشهد » - ثلاث مرات - ثم قال: « يا معشر المسلمين، هذا وليكم من بعدى فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . قال أبو جعفر عليه السلام: كان والله أمين على خلقه وعيبة علمه ودينه الذىَّ ارتضاه لنفسه، ثم إن رسول الله ﷺ حضره الذى حضره فدعا علياً فقال: « يا علىّ، إنى أريد أن أئتمنك على ما ائتمننى الله عليه من غيبة علمه ومن خلقه ومن دينه الذى ارتضاه لنفسه، فلم يشرك والله فيها - يا زياد - أحداً من الخلق، ثم إن علياً حضره الذى حضره فدعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكراً، فقال لهم: يا بنىّ، إن الله عَزَّ وجَلَّ قد أبى إلا أن يجعل فىّ سُنَّة من يعقوب، وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثنى عشر ذكراً فأخبرهم بصاحبهم ألا أنى أخبركم بصاحبكم، الا إنَّ هذين ابنا رسول الله ﷺ الحسن والحسين، فاسمعوا لهما وأطيعوا ووازروهما فإنى قد أئتمنتهما على ما ائتمننى عليه رسول الله ﷺ مما اءتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الذى ارتضاه لنفسه، فأوجب الله لهما من علىّ عليه السلام ما أوجب لعلىّ من رسول الله ﷺ، فلم يكن لأحد منهما فضل على صاحبه إلا بكبره، وإنّ الحسين عليه السلام كان إذا حضر الحسن عليه السلام لم ينطق فى ذلك المسجد حتى يقوم، ثم إنّ الحسن حضره الذى حضره فسلّم ذلك إلى الحسين، ثم إنَّ حسيناً حضره الذى حضره فدعا ابنته الكبري فاطمة بنت الحسين عليها السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علىّ بن الحسين عليه السلام مبطوناً لا يرون إلا أنه لمَا به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علىّ بن الحسين عليه السلام، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا » (جـ ١ ص ٤٨٨).

* * *

● **فضائل السور :**

سورة الأعراف

فى أول تفسيره لسورة الأعراف يذكر روايات فى فضائل السورة منها: « ... عن أبى عبد الله عليه السلام قال: مَن قرأ سورة الأعراف فى كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فإن قرأها فى كل جمعة كان ممن لا يُحاسَب

يوم القيامة لأن فيها محكماً، فلا تدعوا قراءتها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها» (جـ٢ ص ٢).

– وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «مَن قرأ هذه السورة جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان لآدم رفيقاً، ومَن كتبها بماء ورد وزعفران وعلّقها عليها لم يضرّ به سبع ولا عدو ما دامت عليه بإذن الله» (جـ٢ ص ٢).

– وعند تفسيره لقوله تعالى فى أول سورة الأعراف: ﴿آلمص﴾ قال ما نصه: «...أتى رجل من بنى أمية – لعنهم الله[1] وكان زنديقاً – إلى جعفر بن محمد عليه السلام فقال له: قول الله عزَّ وجَلَّ في كتابه: ﴿المص﴾ أى شيء أراد بهذا؟ وأى شيء فيه من الحلال والحرام؟ وأى شيء فيه مما ينتفع به الناس؟ قال: فاغتاظ عليه السلام من ذلك فقال: إمسك ويحك: الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، كم معك؟ فقال الرجل: مائة وإحدى وستون. فقال عليه السلام: إذا انقضت سنة إحدى وستين ومائة ينقضى مُلْك أصحابك، قال: فنظرنا، فلما انقضت سنة إحدى وستين ومائة، يوم عاشوراء، دخل المسوِّدة الكوفة وذهب مُلْكهم» (جـ ٢ ص ٣).

سورة الرعد

وفى سورة الرعد عند قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [الرعد: ١٩]، يقول: «... عن مروان عن السدى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ قال عليّ عليه السلام: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾: قال: الأول» (جـ ٢ ص٢٨٧).

سورة إبراهيم

وعند قوله تعالى فى سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ .[إبراهيم: ٢٤ وما بعدها] إلى آخر الآية ، يقول ما نصه: «... عن عمرو بن حريث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أصلها، وأمير المؤمنين فرعها، والأئمة من ذُرِّيتهما أغصانها، وعلم الأئمة

---

[1] (١) وهذا شأنهم دائماً مع مخالفيهم، تراهم يوزعون اللعنات بغير حساب (البلتاجى).

ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها» هلى فى هذا فضل؟ قال: قلت: لا والله، قال: والله، وإنّ المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإنّ المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها» (جـ ٢ ص ٣١٠).

- وساق رواية أخرى بعد ذلك وفيها: «إن المولود ليولد من شيعتنا فتورق ورقة منها، وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها» (جـ ٢ ص ٣١٠).

- وفي رواية بعدها قال: «قلت له: جُعلتُ فداك، قوله: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ قال: هو ما يخرج من الإمام من الحلال والحرام فى كل سنة إلى شيعته» (جـ ٢ ص ٣١٠).

- وقال: «... عن أبى عبد الله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ ... الآيتين، قال: هذا مثل ضربه الله لأهل بيت نبيه، ولمن عاداهم هو: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (جـ ٢ ص ٣١١).

سورة الحجر

وفى سورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر: ٣٦ - ٣٨]. روى عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبليس: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ قال له وهب: جُعلتُ فداك، اى يوم هو؟ قال: يا وهب، أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان فى مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم الوقت المعلوم» (جـ ٢ ص ٣٤٣).

سورة النحل

وفى سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، روى بسنده إلى داود الجصاص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ قال: النجم: رسول الله ﷺ، والعلامات: الأئمة عليهم السلام» (جـ ٢ ص ٣٦٢).

سورة الإسراء

وفى سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] يروى بسنده إلى يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ قال: يدعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم، قلت: فيجيء الرسول

ﷺ فى قرنه، وعلىّ فى قرنه، والحسن فى قرنه، والحسين فى قرنه، وكل إمام فى قرنه الذى هلك بين أظهرهم؟ قال: نعم» (جـ ٢ ص ٤٢٩).

سورة الكهف

وفى سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ﴾ ... إلى قوله" ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٧]، يروى عن أبى عبد الله أنه قال: دخل أبو بكر على علىّ عليه السلام فقال له: إن رسول الله ﷺ لم يحدث إلينا فى أمرك حدثاً بعد يوم الولاية، وأنا أشهد أنك مولاى، مقر بذلك، وقد سلَّمتُ عليك على عهد رسول الله ﷺ بإمرة المؤمنين، وأخبرنا رسول الله ﷺ أنك وصيه ووارثه وخليفته فى أهله ونسائه، ولم يخبرنا بأنك خليفته من بعده ولا جَرَم لنا فى ذلك فيما بيننا وبينك ولا ذنب بيننا وبين الله، فقال له عليه السلام: أرأيتك إن رأيت رسول الله ﷺ حتى يخبرك بأنى أولى بالمجلس الذى أنت فيه، وإن لم تنح عنه كفرت فما تقول؟ فقال: إن رأيت رسول الله حتى يخبرنى ببعض هذا اكتفيت به، قال: فوافنى إذا صليت المغرب، قال: فرجع بعد المغرب فأخذه بيده وأخرجه إلى مسجد قباء فإذا رسول الله ﷺ جالس فى القبْلة فقال: «يا عتيق، وثبتَ على علىّ عليه السلام وجلستَ مجلس النبوة وقد تقدمت إليك فانزع هذا السربال الذى تسربلته فخله لعلىّ وإلا فموعدك النار»، ثم أخذ بيده فأخرجه فقام النبى ﷺ عنهما، وانطلق أمير المؤمنين إلى سلمان فقال: يا سلمان، أما علمت أنه كان من الأمر كذا وكذا؟ فقال سلمان: ليشهرن بك وليبد منه إلى صاحبه وليخبرنه بالخبر، فضحك أمير المؤمنين وقال: أما أن يخبر صاحبه فيفعل، ثم قال: لا والله لا يذكرانه أبداً إلى يوم القيامة مما نظرا إلى أنفسهما من ذلك، فلقى أبو بكر عمر فقال: إن علياً أتى كذا وكذا لموضع كذا وكذا وقال رسول الله ﷺ كذا وكذا. فقال له عمر: ويلك، ما أقل عقلك، فوالله ما أنت فيه الساعة إلا من بعض سحر ابن أبى كبشة، قد نسيتَ بنى هاشم؟ تقلدْ هذه السربال ومَن فيه» (جـ ٢ ص ٤٧٦).

سورة النور

وفى سورة النور عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ .. إلخ [النور: ١١]، يروى عن علىّ بن إبراهيم أنه قال: إن العامة روت أنها نزلت فى عائشة وما رُميت به فى غزاة بنى المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت فى مارية القبطية وما رمتها به عائشة، ثم قال علىّ بن إبراهيم: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن عيسى عن الحسن بن علىّ بن فضالة قال: حدثنا عبد الله بن

بكير عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما هلك إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذى يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام وأمره بقتله، فذهب علىّ عليه السلام ومعه السيف وكان جريج القبطى فى حائط فضرب علىّ عليه السلام باب البستان فأقبل جريج ليفتح الباب، فلما رأى علياً عليه السلام عرف فى وجهه الشر فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان، فوثب علىّ عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان واتبعه، وولى جريج مدبراً، فلما خشى أن يرهقه صعد فى نخلة وصعد علىّ عليه السلام فى إثره، فلما دنا منه رمى جريج بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء، فانصرف علىّ عليه السلام إلى النبى ﷺ فقال له: يا رسول الله، إذا بعثتنى فى الأمر أكون فيه كالمسمار المحمى فى الوبر أم أثبت؟ قال: بل اثبت. فقال: والذى بعثك بالحق، ما له ما للرجال ولا ما للنساء، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذى يصرف عنا السوء أهل البيت» (جـ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧).

سورة الفرقان

وفى سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] روى عن الباقر أنه قال: هو محمد وعلىّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام».

- وفى رواية: «البَشر والنسب: فاطمة، والصهر: علىّ صلوات الله وسلامه عليهما» (جـ٣ ص ١٧١).

سورة القصص

وفى سورة القصص عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، قال: «... عن أبى جعفر أنه سئل عن جابر فقال: رحم الله جابراً، بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعنى الرجعة» (ج ٣ ص ٢٣٩).

سورة الشورى

وعند تفسيره لسورة الشورى يقول: «... ومن خواص القرآن روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن قرأ هذه السورة صلّت عليه الملائكة وترحّموا عليه بعد موته، ومَن كتبها بماء المطر وسحق بذلك الماء كحلاً واكتحل به مَن بعينه بياض قلعه وزال عنه كل ما كان عارضاً بعينه من الآلام بإذن الله»، وقال الصادق عليه السلام: مَن كتبها وعلّقها عليه أمن من الناس، ومَن شربها فى سفر أنس» (جـ ٤ ص ١١٥).

سورة الجاثية

وفي سورة الجاثية عند قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الجاثية: ٢١]، يروى: «عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية: الذين آمنوا: بنو هاشم وبنو عبد المطلب، والذين اجترحوا السيئات: بنو عبد شمس» (جـ ٤ ص ١٦٨).

سورة الأحقاف

وفي سورة الأحقاف عند قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾... إلخ [الأحقاف: ١٥]، يروى: «عن أبى عبد الله قال: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين عليه السلام جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن فاطمة تلد غلاماً تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لم تر فى الدنيا أم تلد غلاماً تكرهه، ولكنها كرهته لما علمت أنه سيُقتل، وفيه نزلت هذه الآية» (جـ ٤ ص ١٧٢).

سورة الفتح

وعند تفسيره لسورة الفتح يقول: «ومن خواص القرآن روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ هذه السورة كتب الله له من الثواب كمن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة. وأوفي بيعته، وكمن شهد مع النبي ﷺ يوم فتح مكة، ومن كتبها وجعلها تحت رأسه أمن من اللصوص، ومن كتبها في صحيفة وغسلها بماء زمزم وشربها كان عند الناس مسموع القول ولا يسمع شيئا يمر عليه إلا وعاه».

(جـ ٤ ص ١٩١).

سورة الذاريات

وفي سورة الذاريات عند قوله تعالي: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ * يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ [الذاريات: ٨، ٩]، يروي: «عن أبي جعفر أنه قال: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴾: اختلف في ولاية هذه الأمة، فمن استقام على ولاية علي دخل الجنة، ومن خالف ولاية علي دخل النار، وأما قوله: ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ قال: يعني عليا، من أفك عن ولايته أفك عن الجنة، فذلك قوله ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ (جـ ٤ ص ٢٣١).

سورة المدثر

وعند قوله تعالي في سورة المدثر: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾...إلي قوله:

﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٣٨ -٤٣]، روي «عن أبي جعفر عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي، قوله عز وجل:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ *مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾: فالمجرمون هم المنكرون لولايتك، ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ [المدثر:٣٨ – ٤٥] :فيقول لهم أصحاب اليمين: ليس من هذا أوتيتم، فما الذي سلككم في سقر يا أشقياء؟ قالوا:﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر:٤٦ – ٤٧] : فقالوا لهم: هذا الذي سلككم في سقر يا أشقياء، ويوم الدين: يوم الميثاق، حيث جحدوا وكذبوا بولايتك وعتوا عليك واستكبروا» (جـ٤ ص ٤٠٤).

سورة النبأ

وفي سورة النبأ عند قوله تعالي: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ : ٣٨]، يروي «عن أبي عبد الله أنه قال:﴿ لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صوابا، قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال : نحمد ربنا ونصلي علي نبينا، ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا» (جـ ٤ ص ٤٢٤).

* * *

«تمت بحمد الله النقول التي كتبها فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله، وقد راعينا – بقدر الإمكان – أن تكون التعليقات عليها مما كتبه فضيلته في الجزء الثاني من التفسير والمفسرون حيث لم يتيسر له – رحمه الله – التعليق علي هذه النقول في حياته».

والله نسأل أن يتغمد الفقيد برحمته، وأن يجعل عملنا – في هذا الكتاب في الميزان..

﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتي الله بقلب سليم ﴾... وآخر دعوانا: ﴿ أن الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

محمد الانور احمد البلتاجي

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

مطبعة المدني
المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٤٨٢٧٨٥١